إقليم كوردستان - العراق

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة صلاح الدين – أربيل

إبن الدواداري مؤرخاً للدولة الأيوبية من خلال كتابه (كنز الدرر و جامع الغرر) دراسة تأريخية

أطروحة

مقدمة إلى مجلس كلية الآداب في جامعة صلاح الدين - أربيل

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه آداب في التأريخ الإسلامي

من قبل

آري كاكل محمد طاهر ، بكالوريوس التأريخ - جامعة صلاح الدين - أربيل ٢٠٠٣

ماجستير التأريخ الإسلامي - جامعة الموصل ٢٠٠٧

بإشراف

أ .م . د . أحمد عبدالعزيز محمود

ريبندان ٢٧١١ الكردية   صفر ١٤٣٣ الهجرية   كانون الثاني ٢٠١٢ الميلادية

آري كاكل محمد طاهر

إبن الدواداري مؤرخاً للدولة الأيوبية من خلال كتابه (كنز الدرر و جامع الغرر)

الدكتوراه 2012



إقليم كوردستان - العراق

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة صلاح الدين – أربيل

إبن الدواداري مؤرخاً للدولة الأيوبية
من خلال كتابه (كنز الدرر و جامع الغرر)
دراسة تأريخية

أطروحة

مقدمة إلى مجلس كلية الآداب في جامعة صلاح الدين - أربيل

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه آداب في التأريخ الإسلامي

من قبل

آري كاكل محمد طاهر ، بكالوريوس التأريخ - جامعة صلاح الدين - أربيل ٢٠٠٣

ماجستير التأريخ الإسلامي - جامعة الموصل ٢٠٠٧

بإشراف

أ . م . د . أحمد عبدالعزيز محمود

ريبندان ٢٧١١ الكردية صفر ١٤٣٣ الهجرية كانون الثاني ٢٠١٢ الميلادية

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد الأطروحة الموسومة بـ (إبن الدواداري مؤرخاً للدولة الأيوبية من خلال كتابه (كنز الدرر و جامع الغرر) دراسة تأريخية) قد جرى تحت إشرافي في جامعة صلاح الدين ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتورا في التأريخ الإسلامي .

التوقيع :

الاسم : أ . م . د . أحمد عبدالعزيز محمود

التاريخ : / / ٢٠١١ م

إقرار رئيس قسم التأريخ

بناء على التوصيات المقدمة من قبل المشرف أرشح هذه الأطروحة للمناقشة .

التوقيع :

الاسم : أ . د . آرسن موسى رشيد

التاريخ : / / ٢٠١١ م

قرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة التقويم و المناقشة بأننا أطلعنا على الأطروحة الموسومة بـ (**إبن الدواداري مؤرخاً للدولة الأيوبية من خلال كتابه (كنز الدرر و جامع الغرر) دراسة تأريخية**) ، وناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها بتاريخ (٢١ / ١ / ٢٠١٢) ، وأنها جديرة لنيل شهادة دكتورا في التاريخ الاسلامي ولإجله وقعنا .

التوقيع
أ . د . آرسن موسى رشيد
رئيس لجنة المناقشة

التوقيع
أ . د . فوزية يونس فتاح
عضو لجنة المناقشة

التوقيع
أ . د . سلطان جبر سلطان
عضو لجنة المناقشة

التوقيع
أ . م . د . كرڤان حمد محمد
عضو لجنة المناقشة

التوقيع
أ . م . د . قادر محمد حسن
عضو لجنة المناقشة

التوقيع
أ . م . د . أحمد عبدالعزيز محمود
عضوًا و مشرفاً

قرار مجلس الكلية

إجتمع مجلس كلية الآداب بجلسته .... المنعقدة بتاريخ / / ٢٠١٢
وقرر التوصية بمنحه شهادة دكتورا في التاريخ الاسلامي .

التوقيع
عميد الكلية
أ . د . عبدالحميد علي سعيد
التاريخ / / ٢٠١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا أُوتِيتمْ مِن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾

سورة الإسراء (٨٥)

الإهداء :

أهدي ثمرة هذا الجهد إلى كل من :

- والدي الكريمين براً و حباً .
- زوجتي العزيزة (أم ئالا) وفاءاً .
- إبنتي العزيزيتين ئالا و رونيا .
- أخواتي العزيزات .
- مشرفي القدير عرفاناً بالجميل .

شكر و عرفان

يطيب لي أن أقدم جزيل شكري و عرفاني إلى أستاذي الفاضل و مشرفي (**أ . م . د . أحمد عبدالعزيز محمود**) الذي بذل معي جهداً كبيراً ، لاسيما في توجيهاته و إرشاداته العلمية ، كما أقدم شكري الى كل من ساعدني في مرحلة جمع المصادر ، ولاسيما الذين قدموا لي ملاحظاتهم القيمة خدمة لهذه الدراسة ، و منهم :

- أ . د . **آرسن موسى رشيد** ، رئيس قسم التأريخ بكلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ـ أربيل.
- أ . د . **محسن محمد حسين** ، أستاذ قسم التأريخ بكلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ـ أربيل.
- أ . م . د . **أحمد ميرزا ميرزا** ، رئيس قسم الآثار بكلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ـ أربيل.
- أ . م. د.**حكيم أحمد مام بكر**، أستاذ قسم التأريخ بكلية الآداب ،جامعة صلاح الدين ـ أربيل.

كما أقدم بجزيل شكري و عرفاني إلى الأستاذين العزيزين (**أ . د . محمد جاسم محمد**)، رئيس قسم الإجتماعيات بكلية الآداب ، جامعة سوران ـ أربيل ، والأستاذ (**عبدالخالق عبدالله عثمان**) ، رئيس قسم التأريخ بكلية الآداب ، جامعة سوران ـ أربيل ، لمساعدتهم و تعاونهم معي أثناء كتابة هذه الأطروحة .

وفي الختام أشكر جميع موظفي و موظفات المكتبة المركزية ومكتبة كلية الآداب بجامعة صلاح الدين والمكتبة العامة في أربيل ، والمكتبة المركزية ومكتبة كلية الآداب بجامعة دهوك ، والمكتبة المركزية ومكتبة كلية الآداب بجامعة الموصل .

المختصرات

ت	....	ترجمة
ج	....	جزء
د . ت	....	دون تاريخ الطبع
د . م	....	دون مكان الطبع
ص	....	صفحة
ط	....	طبعة
ق	....	قسم
م	....	سنة ميلادية
هـ	....	سنة هجرية

ملخص الأطروحة

عـاش إبـن الـدواداري في حقبـة حكـم المماليـك (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م) ، وعاصر حكم أسرة بني قلاوون (٦٧٨ – ٧٨٤ هـ / ١٢٧٩ – ١٣٨٢ م) في تلك الدولة ، حيث تبدأ حياته من بداية الربع الأخير من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، و تنتهي في نهاية الربع الأول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، حيث كان واحداً من أبرز المؤرخين و المفكرين الذين برزوا خلال هذه الحقبة و لعب دوراً مهماً في المجالين الإداري و الفكري .

وكانت بداية حياته قريبة من أواخر حكم الأيوبيين ، و عائلته كانت تتنقل بين بلاد مصر و الشام ، وهذا ما كان سبباً في أن يكون كتابه مصدراً مهماً و أساسياً عن حقبة الأيوبيين و المماليك معاً ، وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن كتاب (كنز الدرر و جامع الغرر) يعد من أهم المصادر التاريخية الإسلامية بشكل عام ، و عن تاريخ الأيوبيين و المماليك بشكل خاص . وفضلاً عما أشرنا إليه من أهمية الكتاب فأن المؤرخ كان شاهد عيان لكثير من الأحداث التي سردها ووقعت في زمنه ، وخاصة في الجزأين الأخيرين من الكتاب وهما الثامن والتاسع ،

كان إبن الدواداري و عائلته من المشاركين في صنع الأحداث في حقبة المماليك ، وتقلدوا مناصب إدارية رفيعة ، ولاسيما المؤرخ نفسه الذي تولى الحكم في مدينة صرخد بعد وفاة أبيه ، لذلك تعد كتاباته مهمة في المجال التأريخي ، لأنها تبين وجهة نظر فئة مهمة من المجتمع ، ولاسيما إنه كان من ضمن الفئة الحاكمة في دولة المماليك ، وهذا الأمر يعد مهماً لمعرفة تلك الفئة و نظراتهم تجاه الأحداث بشكل عام ، والأيوبيين الذين حكموا قبلهم بشكل خاص .

وتعدى إهتمام إبن الدواداري التأريخ حيث كان له مؤلفات في الأدب ، و خصص أيضاً في أواخر كل جزء من كتابه صفحات كثيرة لذكر شعراء ذلك العصر ، مدوناً

مقتطفات من أشعارهم ، وكذلك الإشارة إلى كثير من الأبيات الشعرية في مروياته التأريخية .

يتضح أن المؤرخ إبن الدواداري مثل جميع المؤرخين المصريين الآخرين خصص جل إهتماماته في الكتاب بتأريخ بلاد مصر ، ولذلك نرى أن معظم الموضوعات التي وردت في كتاب (كنز الدرر) تتعلق بتأريخ و جغرافية بلاد مصر ، فضلاً عن ذلك إبتكر شيئاً لم يقم به أحد من قبله وهو ذكر قياس نهر النيل تحت عنوان : (النيل المبارك في هذه السنة) ، واقتدى به بعض المؤرخين من بعده من بينهم المؤرخ إبن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، ويرجع سبب ذلك إلى أهمية هذا النهر من الناحية الإقتصادية و السياسية و الأمنية لسكان المنطقة بشكل عام ، وللمجتمع المصري بشكل خاص .

كما إهتم إبن الدواداري بالدور المهم للكرد الأيوبيين على الصعيدين السياسي و العسكري في التأريخ الإسلامي ، ولاسيما دورهم في الحروب الصليبية و صد هجمات التتار والمغول على العالم الإسلامي ، فخصص إبن الدواداري الجزء السابع من كتابه (كنز الدرر) لذكر بني أيوب ، وأشار إلى أسماء أمرائهم الذين تولوا الحكم في بلاد مصر و الشام ، وكذلك إلى علاقاتهم الحميمة بالزنكيين و القوى الإسلامية الأخرى ، و إسهاماتهم في الحضارة الإسلامية و تقديمهم خدمات جليلة في الجانبين الإقتصادي و العمراني لأهل المنطقة الذين حكموا فيها .

وعلى الرغم من أن كتاب إبن الدواداري يخص حقل التأريخ ، إلا أنه لم يهمل حقل التراجم من الأعلام و الساسة و العسكريين ، فشملت تراجمه كل صنوف و فئات المجتمع ، حيث أورد أيضاً ضمن حوادث كل سنة وفيات عدد من الأعيان .

المحتويات

المحتويات

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الكتابة في مجال التراجم و الدراسة التأريخية بصورة عامة ليس عملاً هيناً و سهلاً كما يتصوره البعض ، بل يعد من الأعمال الصعبة والمهمة ، والتي لايمكن الإستهانة بها ، لأن الباحث من خلالها يحاول الوصول إلى الحقيقة التأريخية للأحداث ، و يستنتج ذلك عن طريق المصادر التي لا مناص له منها كي تكون الكتابة بالشكل المطلوب ، لذا يجب عليه إعطاء معلومات قيمة عن صاحب المصدر أو المؤرخ الذي يعتمد عليه في كتابته، وكما هو شائع فإن كل كاتب في التأريخ يعكس وجهة نظر و آراء المؤلفين و أصحاب المصادر و المؤرخين الذين ينقل عنهم ، فلذلك يتطلب هذا العمل أن يكون الكاتب دقيقاً في تمحيص و تعليل و تحليل المصادر التي يعتمد عليها ، كذلك يجب عليه أن يستشف من خلال دراسته أسلوب و منهجية المؤلف أو المؤرخ ، ومدى أهمية هذا المصدر أو ذاك في الكتابة التأريخية .

هذه الدراسة تخص (إبن الدواداري مؤرخاً للدولة الأيوبية من خلال كتابه كنز الدرر و جامع الغرر) ، الذي عاش في حقبة حكم المماليك ، التي تشمل النصف الثاني من القرن السابع الهجري / القرن الثالث عشر الميلادي ، و بدايات القرن الثامن الهجري / القرن الرابع عشر الميلادي ، وهذه الحقبة من التأريخ تتميز بكثرة المؤلفات و ظهور عدد كبير من المؤرخين ، منهم إبن منظور (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) ، بيبرس المنصوري الدوادار (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) ، واليونيني (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) ، والنويري (٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م) ، والبرزالي (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٩ م) ، وإبن الجزري (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٩ م) ،

والـذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ، وإبـن فـضل الله العمـري (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) ، و الـصفدي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) ، شـاكر الكـتبي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) ، والحـسيني (ت ٧٦٥ هـ / ١٣٦٤ م) ، والـسبكي (ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م) ، و إبـن كـثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) ، و إبـن رافـع (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) ، و إبـن رجـب الحنبلـي (ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م) .

ومعاصرة إبن الدواداري لدولـة المماليك ، وقربـه مـن أواخـر حكـم الأيـوبيين ، كـذلك إنتقال عائلته بين بلاد مصر و الشام ، من الأسباب التي أدت إلى أن يكون كتابه مصدراً مهماً و أساسياً عن حقبة الأيوبيين و المماليك معاً ، ومن الجدير بالذكر أن المؤرخ كان شاهد عيان لكثير من الأحداث التي وقعت في زمنه ، وعلى هذا الأساس فإن الجزأين الثامن والتاسع من الكتاب يعدان من الأعمال القيمة لهذا المؤرخ ، كونهما يغطيان الفترة التي عاش فيها ، والتي كانت له آراء و تعقيبات و تحليلات كثيرة فيها ، ولاسيما في الجزء التاسع الذي تناول فيه سيرة السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون .

ولايمكن إغفال أهمية أخرى لدراسة هذا المؤرخ و كتابه (كنز الدرر و جامع الغرر)، وهي أن الدراسة تبين نظرة أحد رجال دولة المماليك تجاه الحركة التأريخية و الأحداث السياسية بشكل عام ، لأن صاحب هذا التأريخ يعد من رجالات الدولة و السياسة في بلاد مصر ، وذلك في مدة حكم المماليك للعالم الإسلامي ، والذي يعنينا في الدراسة هو إظهار وجهة نظر أحد المؤرخين الرسميين .

ومن المعلوم أن الدراسة عن التراجم و المنهجية التأريخية لدى المؤرخين تحتاج كما سبق القول إلى الدقة ، ووجود معرفة تامة عن عصر المؤرخ الذي أختير

ليكون ضمن الدراسة المنهجية ، لأن كل حقبة من الزمن لها خصوصيتها وظهور طبقة من المؤرخين تميزهم عن الحقبة الأخرى ، لذا يجب أن تكون الدراسة عن منهجية المؤرخ ضمن العصر الذي عاش فيه ، ومقارنتها بالأحداث و الأحوال العامة في تلك الحقبة من التأريخ ، وتحقق هذا الشيء بعد العمل الدؤوب ، والصبر على كل العوائق و الصعوبات ، وكل ذلك خدمة للمكتبة الكردية .

وخلال البحث واجهت الباحث صعوبات عديدة من أبرزها قلة المصادر عن هذا المؤرخ ، وعدم ذكره في مؤلفات المؤرخين المعاصرين له ، ولاسيما في كتب الأنساب و التراجم ، وبذلك صار هذا المؤرخ و مؤلفاته مجهولاً لفترة من الزمن ، حتى قام عدد من المؤرخين و الباحثين الأوروبيين و العرب بتحقيق كتاب (كنز الدرر و جامع الغرر) ، فكتبوا عن المؤرخ و سيرته في مقدمات أجزاء الكتاب . ومن المصاعب الأخرى التي واجهت الباحث عدم العثور على مؤلفات هذا المؤرخ ، والتي ذكرها المؤرخ في كتابه (كنز الدرر وجامع الغرر) ، فإن معظم الكتب التي ذكرها بقيت مفقودة .

تشتمل الدراسة على خمسة فصول رئيسة ، خصص الفصل الأول لذكر سيرة و حياة المؤرخ إبن الدواداري ، ويحتوي على ثلاثة مباحث ، المبحث الأول خصص لذكر الأحوال العامة في عصر إبن الدواداري ، و الثاني لذكر حياة هذا المؤرخ ، و الثالث لمكانته السياسية و آثاره العلمية ، أما الفصل الثاني فقد خصص لتعريف الكتاب ، ويشتمل على أربعة مباحث ، الأول يتناول وصف الكتاب ، و الثاني محتويات الكتاب ، والثالث مصادر الكتاب ، والرابع أهمية الكتاب ، في حين خصص الفصل الثالث لذكر منهج إبن الدواداري في التدوين التأريخي ، ويتكون من ثلاث مباحث ، أولها ذكر منهجه في

ترتيب الحوادث و السنين ، وثانيها ذكر منهجه في إيراد التراجم ، والثالث يتناول خصائص منهجه .

وأما الفصل الرابع فقد عالج ذكر الأيوبيين في الكتاب ، ويتضمن هذا الفصل مبحثين ، الأول لتعريف الأيوبيين ، والثاني لذكرهم في العهدين الأتابكي و الفاطمي ، و خصص الفصل الخامس و الأخير لذكر التأريخ السياسي للأيوبيين في الكتاب ، ويتكون من ثلاثة مباحث ، الأول لذكر الأيوبيين في عهد الناصر صلاح الدين يوسف ، والثاني لذكر الحروب الصليبية في عهد صلاح الدين ، والثالث خصص لذكر الأيوبيين بعد صلاح الدين.

تحليل المصادر الأساسية التي اعتمدت في الدراسة :

١ . التواريخ العامة :

ومن المصادر التي إعتمدت عليها الدراسة في التواريخ العامة كتاب (المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم) للمؤرخ إبن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ، وقد إعتمد إبن الدواداري في معظم كتابه عليه ، وأفادنا أيضاً كثيراً في أثناء مقارنة هذه النصوص التي أخذها إبن الدواداري منه .

وكذلك تمت الإستفادة من كتاب (الكامل في التاريخ) للمؤرخ إبن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) ، والذي يعد من المصادر الأصيلة التي يعتمد عليها في دراسة التأريخ الاسلامي ، وقد أفادنا هذا المصدر في مقارنة كثير من النصوص التأريخية التي دونها إبن الدواداري في كتابه مع ما ورد في الكامل في التأريخ .

وكتاب (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان) للمؤرخ سبط إبن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) ، إذ إعتمد أيضاً إبن الدواداري في معظم معلومات كتابه على هذا المصدر ، واستقى منه معلومات مهمة في التأريخ القديم و تأريخ صدر الإسلام ، وتمت الإستفادة منه لمعرفة النصوص التي ورد في كنز الدرر ، والتي أخذها إبن الدواداري منه .

واعتمدت أيضاً على كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) ، ويعد هذا الكتاب من أشهر مؤلفاته ، فهو من المصادر المملوكية المتأخرة ، وقد انفرد بذكر أحداث وأخبار لاتوجد في غيره من المصادر ، وفيه معلومات وافية عن جميع الجوانب السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية و الفكرية عن حقبة المماليك ، وقد إستفدت منه كثيراً لمعرفة عصر المؤرخ إبن الدواداري الذي عاش فيه .

٢ ـ تواريخ الدول و الإمارات :

يعد كتاب (البرق الشامي) لمؤلفه العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)، من المصادر المهمة لدراسة تاريخ الأيوبيين ، فإن المؤرخ كان معاصراً لحقبة الأيوبيين ، وكذلك (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية) لأبي شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) ، وهو يخص تاريخ الدولتين الزنكية و الأيوبية .

ومن المصادر الأخرى التي إعتمدت عليها كتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) للمؤرخ إبن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) ، والذي إنتفعت منه في الموضوعات التي تتعلق بالأيوبيين ، ولاسيما أن إبن الدواداري قد إعتمد عليه في الجزء السابع من كتابه وسماه بـ (الدر المطلوب في أخبار بني أيوب) ، ويشبه هذا الجزء من كتاب كنز الدرر كثيراً بالكتاب الذي ألفه إبن واصل ، من حيث العنوان و المحتوى و المضمون .

٣ ـ كتب التراجم و الطبقات و السير :

ومن المصادر الأخرى المهمة التي إعتمدت عليها الدراسة وهي كتاب (النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية) للمؤرخ الشهير إبن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣١ م) ، الذي يعد من المصادر الأساسية في سيرة صلاح الدين الأيوبي ، لأن المؤرخ كان معاصراً لهذه الشخصية الفذة في التأريخ الإسلامي ، وكان أيضاً شاهد عيان لكثير من الأحداث و الأقوال ذات الصلة ، وتمت الإستفادة منه كثيراً لاسيما عند دراسة الدولة الأيوبية و سيرة القائد صلاح الدين الأيوبي .

ويأتي كتاب (سير أعلام النبلاء) للمؤرخ الكبير الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) من أهم الكتب في مجال التراجم ، إذ جاءت فيه تراجم رجال و أعلام و مفكرين كثيرين ،

دون أسماءهم الذهبي في كتابه و أشار إلى سنوات ولاداتهم ووفياتهم ، فضلاً عن نتاجاتهم الفكرية و العلمية ، فاستفيد منه كثيراً عند ذكر أسماء الأمراء و السلاطين و العلماء و المفكرين .

ويعد كتاب (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) للمؤرخ إبن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) ، الذي يترجم لرجال القرن الثامن الهجري ويذكر أحوالهم كتاباً مهماً في التراجم ، وقد أورد مؤلفه أسماء من ترجم لهم من العلماء والمحدثين والفقهاء والمؤرخين والشعراء والوزراء والسلاطين والأمراء ، ورتبهم ترتيباً أبجدياً ، واعتمد إبن حجر في شطر من تراجمه على من سبقوه ، ثم أضاف أكثر التراجم من عنده .

وأما كتاب (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) للعيني (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) ، فيعد من أشهر مؤلفاته ، وهو مرتب على السنوات من بداية عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) إلى (٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م) ، وقد إستفدت منه في هذه الدراسة كثيراً فيما يخص المعلومات التاريخية والتراجم.

٤ . كتب البلدانيين و الرحالة :

كتاب (معجم البلدان) للبلداني ياقوت الحموي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ، وتعد المادة الجغرافية التي يقدمها مصنفه مادة شاملة ، تقدم صوراً جغرافية واضحة عن المواقع التي يعرفها ، حيث أفادت الدراسة كثيراً منها ، ولاسيما في الموضوعات التي تتعلق بالناحية الجغرافية ، و لمعرفة المدن و البلدان و المواقع و الأماكن .

ومن كتب الرحالة التي إعتمدت عليها الدراسة كتاب (رحلة إبن جبير) للرحالة إبن جبير الكناني الأندلسي (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) ، وعلى الرغم من أنه قد سبق العصر

المملوكي ، فإن رحلته فيها الكثير من المعلومات الإقتصادية و الجغرافية عن بلاد مصر و الشام و الحجاز ، و تقديم معلومات وافية عن كثير من المناطق و البلدان و المدن ، التي أشار إليها إبن الدواداري في كتابه كنز الدرر .

ثم يأتي بعده كتاب (رحلة إبن بطوطة) للرحالة إبن بطوطة الطنجي (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) ، تعد رحلته سجلاً حافلاً لمشاهداته في بلاد مصر و الشام و الحجاز ، فقد عني بتسجيل ملاحظاته الخاصة بأحوالهم السياسية والإقتصادية والإجتماعية .

٥ . الكتب الموسوعية :

ويعد كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) للنويري (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م) ، من الكتب الموسوعية المهمة ، وتكمن أهميتها في أن مؤلفها حظي بمكانة رفيعة وسامية لدى السلطان الناصر محمد بن قلاوون فترة حكمه ، حيث إشتغل بالكتابة في ديوانه ، وتقلد عدة وظائف أخرى ، وقد إشتملت موسوعته في الجزء التاريخي والسياسي منها على كثير من الأحداث السياسية ، وأخبار السلاطين و الأمراء المماليك ، وقد غطت هذه الموسوعة بعض الجوانب السياسية المتعلقة بنواحي هذه الدراسة .

أما كتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) للقلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ، فلاتقل أهميته عن الذي سبقه فإنه أيضاً من الكتب الموسوعية المهمة عن حقبة الأيوبيين و المماليك ، فهو سجل عظيم لمختلف أنواع المعرفة ، و النظم الحضارية للعهدين الأيوبي و المماليكي ، وقد جمع القلقلشندي معظم معلوماته عندما كان في وظيفته كاتباً للإنشاء عام (٧٩١ هـ / ١٣٩٠ م) ، فضلاً عن كون هذه الموسوعة سجلاً ضخماً للحياة السياسية والإقتصادية والثقافية والإجتماعية .

الفصل الأول

إبن الدواداري عصره و حياته

الفصل الأول

إبن الدواداري عصره و حياته

المبحث الأول

الأحوال العامة في عصر إبن الدواداري

(٦٧٥ – ٧٣٦ هـ / ١٢٧٥ – ١٣٣٦ م)

١ . الحالة السياسية :

عاش إبن الدواداري في دولة المماليك[1] (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧ م) ، وعاصر حكم أسرة بني قلاوون[2] (٦٧٨ – ٧٨٤ هـ / ١٢٧٩ – ١٣٨٢ م) في تلك الدولة ، حيث تبدأ حياته من بداية الربع الأخير من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، و تنتهي في نهاية الربع الأول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، ومن المعلوم أن المماليك تمكنوا من تأسيس دولتهم بمصر في باديء الأمر ، ثم أخضعوا بعد ذلك بلاد الشام إلى سلطتهم ، وبرز خلال هذه الحقبة من التاريخ عدد كبير من الأعلام و

---

(١) المماليك : جمع كلمة المملوك ، وهو خلاف الحر ، وتعني العبد الذي سبي يباع و يشترى ، واقتصرت التسمية بدءاً على فئة من الرقيق الأبيض ، وكانت أسواق النخاسة البيضاء المركز الرئيس لبيعهم و شرائهم فيها ، واعتمدت عليهم الدولة الأموية و الدولة العباسية و الدولة المملوكية ، ولاسيما في الجانب العسكري فاستفادوا منهم في كثير من معاركهم و حروبهم الداخلية و الخارجية ، حتى و أن منهم شكلت فرق و كتائب عسكرية خاصة . ينظر : إبن منظور ، لسان العرب ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م ، ٦ / ٤٨ ؛ أحمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص١١ ؛ محمد حافظ النقر ، تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، دار البداية ، عمان ـ الأردن ، ٢٠٠٦ م ، ص٤٨ . للمزيد ينظر : الملحق رقم (١) .

(٢) بني قلاوون : وهم من أشهر الأسر الحاكمة في بلاد مصر ، وكانوا من أمراء المماليك ، وكان أول أمرائهم من الذين تقلدوا السلطنة وهو الأمير سيف الدين قلاوون (٦٧٨ – ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ – ١٢٩٠ م) ، و أما آخرهم فهو الأمير الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩ – ٧٤١ هـ / ١٣٠٨ – ١٣٤١ م) . للمزيد ينظر : الملحق الرقم (٢) .

المفكرين و رجال الدولة ، وكان إبن الدواداري (ت ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م) أحد أولئك الأعلام الذين لعبوا دوراً مهماً في المجالين الإداري و الفكري[1] .

بعد تولي عدد من أمراء المماليك السلطنة أتى دور الأمير السعيد[2] (٦٧٦ – ٦٧٨هـ / ١٢٧٧ – ١٢٧٩ م) ليتولى السلطة في دولة المماليك ، وكان ذلك بعد وفاة والده السلطان الظاهر بيبرس في سنة (٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م)[3] ، ولكن لم يبق في الحكم طويلاً بسبب تأثيرات الخاصكية[4] عليه ، ولاسيما عندما طالب هؤلاء السلطان بسحب الإمتيازات عن بعض من أمراء الدولة ، وتسبب هذا الموقف في تذمر الأمراء منهم ، فلما رفض السلطان أن يستجيب لندائهم بإبعاد هؤلاء الخاصكية عن نفسه ، وقع النزاع بين كبار أمراء الدولة في سنة (٦٧٧ هـ / ١٢٧٨م) على السلطنة ، فقام هؤلاء الأمراء بقيادة الأمير سيف الدين قلاوون[5] بفرض طوق عسكري محكم على قلعة الجبل[1] في القاهرة ،

---

(١) شاكر مصطفى ، التاريخ العربي و المؤرخون ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٠ م ، ٣ / ١٢٢ – ١٢٣ .

(٢) السلطان السعيد : هو ناصر الدين محمد بركة خان بن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ، الملقب بـ (السعيد) ، ولد سنة (٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م) ، تولى الحكم في مصر سنة (٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م) وهو إبن ثمان عشرة سنة ، وتوفي سنة (٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م) . ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات والمشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، دارالكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٩م ، ٥٠ / ٣١١ ؛ إبن كثير ، البداية و النهاية ، دار إبن كثير ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ١٣ / ٢٧٤ ، ٢٩٠ ؛ إبن دقماق ، الجوهر الثمين في سير الملوك و السلاطين ، تحقيق : محمد كمال الدين ، عالم الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٧ م ، ص٣٠٩ .

(٣) بيبرس المنصوري ، التحفة الملوكية في الدولة التركية ، تحقيق : عبدالحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، ١٩٨٧ م ، ص٨٦ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ـ الهند ، ١٩٦٠م ، ٣ / ٢٣٤ ؛ القلقشندي ، مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٦ م ، ص٢١٦ ؛ محمد سهيل طقوش ، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام ، دار النفائس ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٩ م ، ص١٦١ .

(٤) الخاصكية : وهم جماعة من المماليك السلطانية ، من الأمراء الخواص في الدولة ، يختارهم السلطان من مماليكه الأجلاب (الجلبان) ، ومن المعتمدين لدى السلطان ، فهم الذين يلازمون السلطان في خلواته و يسوقون المحمل الشريف، ويجهزون في المهمات الشريفة .ينظر : إبن شاهين ،زبدة كشف الممالك و بيان الطرق و المسالك ، تحقيق: بولس راويس ، مطبعة الجمهورية ، باريس ، ١٨٩٤ م ، ص١١٥ – ١١٦ ؛ حسان حلاق و عباس صباغ ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ..، دار العلم للملايين ،بيروت ،١٩٩٩ م ،ص٧٨ – ٧٩.

(٥) سيف الدين قلاوون : هو سيف الدنيا و الدين أبوالمعالي قلاوون ، وكان من أمراء الألوف في الدولة الظاهرية ، ثم عمل نيابة السلطنة للملك العادل سلامش بن الظاهر عندما خلعوا الملك السعيد ، وحلفوا لسلامش وهو إبن سبع

والتي كانت بها قصر السلطنة و مؤسسات الدولة ، وبعد فرضهم حصاراً عسكرياً شديداً عليها ، إضطر السلطان السعيد أن يعلن رغبته في التنحي عن الحكم و ترك البلاد [٢] .

وبعد تنازله عن الحكم ترك السلطان السعيد بلاد مصر وتوجه صوب الكرك [٣]، فاجتمع كبار الأمراء المماليك وقرروا أن يتولى الأمير سيف الدين قلاوون السلطنة ، ولكن لم يوافق هو على مطلبهم ، وأبلغهم بأنه لم يقم بهذا الشيء من أجل مكسب سياسي ، ولم يكن لديه أي طمع ليحل مكان السلطان السعيد ، وإنما كان هدفه الرئيس وراء ذلك حفظ الأمن و النظام ، و إبعاد شر هؤلاء الخاصكية من الدولة ، لأنهم كانوا يحاولون إثارة الفتنة و النزاع بين أمراء المماليك على السلطة [٤] .

هذا وفي الوقت الذي فرح كبار أسرة السلطان الظاهر بيبرس بهذا الموقف للأمير قلاوون ، إتفقوا على تولي الأمير بدرالدين سلامش السلطة في سنة (٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م) ، والذي كان عمره في ذلك الوقت لا يتجاوز سبع سنين ، ومنحوا له لقب (الملك العادل بدرالدين) ، وجعلوا الأمير عزالدين أيبك الأفرم[٥] نائباً له في السلطنة ، بينما أصبح الأمير

سنين، وحلفوا للألفي بعده و ذكروا معاً في الخطبة ، توفي سنة (٦٨٩ هـ / ١٢٨٩م) بالمخيم ظاهر القاهرة ، ثم حمل جثمانه إلى القلعة . ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥١ / ٣٨٢ – ٣٨٤ .

(١) قلعة الجبل : تقع هذه القلعة في جبل على مشارف القاهرة ، أنشأها صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٢ هـ / ١١٢٦ م) . ينظر : المقريزي ، المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار (المعروف بالخطط المقريزية) ، دارالكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٨ م ، ٣ / ٣٥٥ .

(٢) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : نجيب مصطفى و حكمت كشلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤ م ، ٣٠ / ٢٥٢ – ٢٥٥ ؛ المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م ، ٢ / ١١٤ – ١١٨ ؛ إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ م ، ٧ / ٢٢٨ – ٢٢٩ .

(٣) الكرك : وهي قلعة حصينة في بلاد الشام ، تقع في نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة و بحر القلزم (البحر الأحمر) و بيت المقدس ، على جبل عال تحيط بها أودية . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر، بيروت ، ط٨،٢٠١٠م ، ٤ / ٤٥٣ .

(٤) الكتبي ، عيون التواريخ ، تحقيق : فيصل السامر و نبيلة عبدالمنعم داود ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٤م ، ٢١ / ٢٢٠ – ٢٢٣ ؛ المقريزي ، السلوك ، ٢ / ١١٩ – ١٢٠ .

(٥) عزالدين أيبك الأفرم : هو عزالدين أيبك الأفرم الصالحي ، من كبار أمراء مصر ، توفي سنة (٦٩٥ هـ / ١٢٩٥م) . ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥٢ / ٢٤٩ .

قلاوون أتابكاً [1] له ، وضربت السكة الجديدة للبلاد ، نقش على أحد وجهيها إسم الأمير العادل سلامش ، وعلى الوجه الآخر إسم الأمير قلاوون ، وكذلك ذكر إسم السلطان الجديد على المنابر في خطبة الجمعة [2] .

ولم يدم هذا السلطان أيضاً في السلطة كثيراً ، بل خلع من قبل كبار أمراء المماليك عن السلطة ، بعدما حكم البلاد مدة ثلاثة أشهر فقط ، فلما تهيأت الأمور للأمير سيف الدين قلاوون أعلن أن سلطة سلامش غير شرعية ، لأن عمره لايسمح له بتولي هذا المنصب الكبير ، وهو صغير السن ولم يبلغ الرشد ، ثم إجتمع مع كبار المماليك حتى يبين لهم الأمور ، فقال لهم : ((قد علمتم أن المملكة لا تقوم إلا برجل كامل)) ، فاتفق هؤلاء الأمراء على تولي قلاوون السلطنة في دولة المماليك ، و منحوا له لقب (الملك المنصور)، وقرروا أن يذكر إسمه في الخطبة على المنابر ، فانتقلت بذلك مقاليد الحكم من بيت أسرة الظاهر بيبرس إلى بيت أسرة بني قلاوون[3] .

ويعد الأمير سيف الدين قلاوون (٦٧٨ – ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ – ١٢٩٠ م) أول الأمراء من أسرة بني قلاوون يتسلم السلطة في الدولة المملوكية ، ولكن لم تنعم مدة حكم هذا الأمير أيضاً بالأمان و الإستقرار كما كان في المدد السابقة ، ففي مدة حكمه تعرضت دولة

---

(١) أتابك : لقب تركي يتكون من لفظين : (أطا أو أتا) بمعنى الأب أو الشيخ المحترم ، و (بك) بمعنى الأمير ، فإذاً تأتي الكلمة بمعنى الوالد الأمير أو أب أمير ، والمراد أبو الأمراء ، و أول من إتخذ هذا اللقب هو نظام الملك وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي (٤٦٥ – ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ – ١٠٩٢ م) ، عندما أصبح أتابكاً للسلطان ملكشاه ، لأن السلطان كان صغير السن ، وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩١٤ م ، ٤ / ١٨ ؛ قتيبة الشهابي ، معجم القاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية ، مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٥ م ، ص١٥ .

(٢) بيبرس المنصوري ، مختار الأخبار (تاريخ الدولة الأيوبية و دولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢ هـ) ، تحقيق : عبدالحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٣ م ، ص٦٩ ؛ المقريزي ، السلوك ، ٢ / ١٢٠ ؛ إبن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ٧ / ٢٣١ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، ٢ / ١٢١ – ١٢٢ ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ، ص١٦٥ – ١٦٦ .

المماليك لعدة إضطرابات و تدهورات سياسية ومنها إمتناع الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري[(١)] نائب دمشق عن المبايعة له [(٢)] .

وفي سنة (٦٨٠ هـ / ١٢٨٢ م) حاول الأمير سيف الدين كوندك الظاهري و جماعة من أمراء الظاهرية القضاء على السلطان قلاوون ، ولكن تمكن السلطان أن يأخذ لنفسه الحيطة و الحذر و اليقظة ، وكان ذلك بمساعدة الأمير بدرالدين بيسري الشمسي[(٣)] لما وصله خبر أن هؤلاء دبروا مؤامرة لإغتياله ، وكذلك كتب إليه أصدقاؤه المخلصون الذين كانوا يسكنون في مدينة عكا و أكدوا له الخبر نفسه ، فترك السلطان الروحاء[(٤)] وتوجه إلى بيسان[(٥)] ، ثم طلب من هناك أن يؤتى بهم إلى عنده ، فلما حضروا وجه لهم اللوم على تآمرهم ومراسلاتهم للفرنج ، فاعترف هؤلاء بفعلتهم ، وطلبوا منه أن يعفو عنهم ، لكن السلطان لم يقبل هذا الطلب وأصر على معاقبتهم بأقسى العقوبات ، لذا أمر بإعدامهم حتى يكونوا عبرة لمن يعتبر ، وأودع مجموعة من المماليك في السجن من الذين كان يشك في ولائهم وتورطهم في هذه الخيانة العظمى على الدولة و المسلمين [(٦)] .

---

(١) شمس الدين قراسنقر المنصوري : هو قراسنقر الجوكندار المنصوري ، الملقب بـ (شمس الدين أبو محمد) ، كان من كبار الأمراء مماليك البيت المنصوري ، توفي سنة (٧٢٨ هـ / ١٣٢٩م) . ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٠ م ، ٢٤ / ١٥٩ – ١٦٦ .

(٢) الكتبي ، عيون التواريخ ، ٢١ / ٢٢٥ – ٢٢٦ ؛ المقريزي ، السلوك ، ٢ / ١٣١ – ١٣٢ ؛ إبن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ٧ / ٢٤٨ ؛ محمد جمال الدين سرور ، دولة بني قلاوون في مصر ، دار الفكر العربي ، د . ت . ، ص٢٣.

(٣) بدرالدين بيسري الشمسي : هو بيسري بن عبدالله الشمسي الصالحي ، الملقب بـ (بدرالدين) ، كان من أعيان الأمراء ببلاد مصر ، توفي سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٩ م) . ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥٢ / ٣٤٦ – ٣٤٧ ؛ الصفدي ، المصدر السابق ، ١٠ / ٢٢٥ – ٢٢٦ .

(٤) الروحاء : قرية من قرى الرحبة في بلاد الشام . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٧٦ .

(٥) بيسان : مدينة بالأردن بالغور الشامي ، تقع بين حوران و فلسطين . ينظر : اليعقوبي ، كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨ م ، ص٨٨ ؛ الاصطخري ، مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٢٧ م ، ص٥٨– ٥٩ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٥٢٧ .

(٦) بيبرس المنصوري ، التحفة الملوكية .. ، ص٩٧ ؛ النويري ، المصدر السابق ، ٣١ / ٥٢ – ٥٣ ؛ إبن الدواداري ، كنز الدرر و جامع الغرر ، تحقيق : مجموعة من الباحثين ، القاهرة ، ١٩٧١ م ، ٨ / ٢٤٠ – ٢٤١ .

وعلى الرغم من أن السلطان تمكن من القضاء على مؤامرة الأمير كوندك و الذين كانوا معه ، إلا أن دولة المماليك لم تنعم بالأمن و الأمان في عهده ، حتى ظهرت مرة أخرى تهديدات و خطورة الأمير قراسنقر على مركز السلطنة في مصر ، ولكن إنتهت الأمور فيما بينهم بالصلح ، وفي السنوات الأخيرة من حكمه حاول السلطان سيف الدين قلاوون أن يأخذ بيعة ولاية العهد لأكبر أولاده وهو الأمير علاءالدين الصالح علي من بعده ، إلا أنه لم يتمكن أن يجلس على كرسي الحكم ، لأنه توفي سنة (٦٨٧ هـ / ١٢٨٩ م)[١] ، وبعد ذلك تهيأت الأمور أمام الأمير الأشرف خليل بن سيف الدين قلاوون (٦٨٩ – ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠– ١٢٩٣ م) لتولي السلطنة ، ولاسيما بعد وفاة والده في سنة (٦٨٩ هـ / ١٢٩٠م) ، وتمكن هذا السلطان بعد سنة من توليه الحكم فتح مدينة عكا ، وكان ذلك في سنة (٦٩٠هـ / ١٢٩١ م) لما انتصر على الصليبيين في بلاد الشام[٢] ، و أما الأوضاع الداخلية فلم تشهد مدة حكم السلطان الأشرف خليل كسابقتها الأمن و الأمان ، والدليل على ذلك ظهور مجموعة معارضة برزت في عصره ، لعل من أبرزها حركة الأمير حسام الدين طرنطاي[٣] نائبه في السلطنة ، وكذلك تحركات قبيلة العربان في الدولة ، بيد أن السلطان تمكن أن يتغلب عليهم و ينهي تحركاتهم وخطورتهم على الدولة [٤] .

---

(١) بيبرس المنصوري ، التحفة الملوكية .. ، ص١١٩ ؛ إبن الوردي ، تاريخ إبن الوردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦ م ، ٢ / ٢٢٧ ؛ زاهدة محمد طه محيى الدين المزوري ، الصراع على السلطة في العصر المملوكي الأول في مصر و بلاد الشام (٦٤٨ – ٧٨٤ هـ / ١٢٥٠ – ١٣٨٢ م) ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ـ كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠١ م ، ص٧٧ ؛ محمد حمزة إسماعيل الحداد ، السلطان المنصور قلاوون ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ط٢ ، ١٩٩٨ م ، ص٣٩ – ٤٠ .

(٢) الكتبي ، عيون التواريخ ، ٢٣ / ٦٩ – ٧١ ؛ زاهدة المزوري ، المرجع السابق ، ص٧٩ .

(٣) حسام الدين طرنطاي : هو الأمير حسام الدين أبوسعيد طرنطاي بن عبدالله المنصوري ، شغل منصب نائب السلطنة في دولة المماليك ، توفي سنة (٦٨٩ هـ / ١٢٨٩ م) . ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥١ / ٣٦٩ – ٣٧٠ ؛ الكتبي ، عيون التواريخ ، ٢٣ / ٦٤.

(٤) كنز الدرر ، ٨ / ٢٨٢ ، ٣٠٣ – ٣٠٤ ؛ المقريزي ، السلوك ، ٢ / ٢١٨ – ٢٢١ .

وهناك حركة أخرى شهدتها دولة المماليك في مدة حكم السلطان الأشرف خليل قام بها الأمير بدرالدين بيدرا [(١)]، وعلى الرغم من المحاولات التي بذلها السلطان لإقناعه بالعدول عن موقفه من سلطته ، من خلال منحه الإقطاعات و الإمتيازات المالية المغرية له، إلا أن بيدرا لم يتخل عن موقفه ، بل إنه كان يبحث عن فرصة مواتية له يتمكن فيها من تصفية السلطان ، فتهيأت له الأمور عندما خرج السلطان يوماً للصيد ، فاتفق مع مجموعة من أمراء الدولة منهم الأمير حسام الدين لاجين المنصوري[(٢)] و سيف الدين بهادر المنصوري[(٣)] و شمس الدين قراسنقر المنصوري و عدد آخر للقضاء على السلطان ، فقاموا بقتله أثناء توجهه إلى تروجة [(٤)] سنة (٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م) [(٥)].

وبعد هذه الحادثة قرر أحد أمراء المماليك بإسم زين الدين كتبغا المنصوري ، أن يثأر لدم السلطان من الذين قاموا بقتله ، فتمكن من قتل بيدرا ، وتهيأت الأمور للأمير الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ – ٦٩٤ هـ / ١٢٩٣ – ١٢٩٤ م) ليتسلم السلطة في سنة (٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م) ، و أصبح كتبغا نائباً للسلطنة[(٦)] ، وبعدما إستقرت الأوضاع بشكل تام للسلطان أمر بأن يبحثوا عن قتلة أخيه الأشرف خليل ، وسرعان ما عثروا على بعض

---

(١) بدرالدين بيدرا : هو الأمير بدرالدين بيدرا ، نائب السلطنة في مدة حكم الأشرف خليل ، وكان من كبار أمراء دولة المماليك في عهد بني قلاوون . ينظر : الصفدي ، المصدر السابق ، ١٠ / ٢٢٤ .

(٢) حسام الدين لاجين المنصوري : هو حسام الدين لاجين المنصوري السيفي،تولى مناصب عديدة في دولة مماليك ، ومنها نائب السلطنة بدمشق ،قتل في سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) .ينظر:الذهبي، تاريخ الإسلام ، ٥٢ / ٣٦٩ – ٣٧٢.

(٣) سيف الدين بهادر المنصوري : هو الأمير سيف الدين بهادر آص ، كان من كبار أمراء دمشق ، تولى مناصب عديدة في دولة المماليك ، توفي سنة (٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م) . ينظر : الصفدي ، المصدر السابق ، ١٠ / ١٨٦ – ١٨٧ .

(٤) تروجة : قرية كبيرة ببلاد مصر من أعمال الإسكندرية . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٢٧ ؛ إبن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار (رحلة إبن بطوطة) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٥ ، ٢٠١١ م ، ص٤٦ .

(٥) كنز الدرر ، ٨ / ٣٤٩ – ٣٥٠ ؛ الكتبي ، عيون التواريخ ، ٢٣ / ١٤٩ – ١٥٠ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان و عبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م ، ٤ / ١٦٦ ؛ المقريزي ، السلوك ، ٢ / ٢٤٥ . ٢٤٦ ؛ إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة .. ، ٨ / ١٤ . ١٥ .

(٦) بيبرس المنصوري ، التحفة الملوكية .. ، ص١٣٧ – ١٣٨ .

منهم، وأما الآخرون فتواروا عن الأنظار ، وممن تم القبض عليه هو شمس الدين بن السلعوس[(1)] وزير الأشرف خليل[(2)].

وقد أدت سياسة الإنتقام إلى تقسيم الجيش المملوكي على الأمير علم الدين سنجر الشجاعي[(3)] أتابك العساكر و زين الدين كتبغا المنصوري نائب السلطنة[(4)] ، فاستفاد من هذه الأوضاع الأمير زين الدين كتبغا (٦٩٤ - ٦٩٦ هـ / ١٢٩٤ - ١٢٩٦م) ، و استلم السلطنة في سنة (٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ ز)[(5)] ، ولكن لم تنعم مدة حكم هذا السلطان أيضاً بالأمن و الهدوء ، وكان للجوء المغول العويراتية (الأويراتية)[(6)] إلى دولة المماليك دور في تدهور الأوضاع ، لأنه بسببها إزدادت الإعتراضات بين أمراء الدولة ، حتى صارت الأمور إلى أن تنتقل مقاليد الحكم إلى نائب السلطنة الأمير حسام الدين لاجين المنصوري (٦٩٦- ٦٩٨ هـ / ١٢٩٦ - ١٢٩٩ م) ، وتسلم هذا الأمير السلطنة في سنة (٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م) بشكل رسمي[(7)]، فلم تنعم مدة حكم هذا السلطان أيضاً بالأمن ، بل وقفت ضده جماعة

---

(١) إبن السلعوس : وهو شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الرجاء التنوخي ، المعروف بـ (إبن السلعوس) ، وكان تاجراً من أهل دمشق ، ووزيراً للسلطان الأشرف ، ثم تدرج بعد ذلك في الوظائف الإدارية ببلاد الشام ، ومنها وظيفة الحسبة . ينظر : بيبرس المنصوري ، التحفة الملوكية .. ، ص١٢٥ ؛ النويري ، المصدر السابق ، ٣١ / ١٢٠ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ٢ / ٢٤٧ - ٢٥١ ؛ إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٨ / ٢١ .

(٣) علم الدين سنجر الشجاعي : هو علم الدين سنجر بن عبدالله الشجاعي المنصوري ، كان من مماليك الملك المنصور قلاوون ، تولى مناصب عديدة في الدولة مثل شد الدواوين ، والوزارة ، و نيابة دمشق ، قتل في سنة (٦٩٣ هـ / ١٢٩٤م) . ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥٢ / ١٨٤ - ١٨٥ ؛ إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة .. ، ٨ / ٤٣ .

(٤) نائب السلطنة (أو النواب) : وهو نائب السلطان بالحضرة ، يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ، و يعلم في التقاليد و التواقيع و المناشير و غير ذلك مما هو من هذا النوع ، على كل ما يعلم عليه السلطان ، فهو كافل المماليك الإسلامية . ينظر : العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة ، مصر ، ١٣١٢ هـ ، ص٦٥ .

(٥) إبن الوردي ، تاريخ إبن الوردي ، ٢ / ٢٣١ - ٢٣٢ ؛ إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٨ / ٤١ - ٤٢ .

(٦) العويراتية أو الأويراتية (Oirat) : وهم أحد قبائل المغول ، كانوا يقيمون في المنطقة الواقعة ما بين نهر اونن (Onon) و بحيرة بايكال . ينظر : الهمداني ، جامع التواريخ ، ت : فؤاد عبدالمعطي الصياد ،دار النهضة العربية، بيروت ،١٩٨٣م، ص٩٢ ؛فؤاد عبدالمعطي الصياد،المغول في التاريخ ،دار النهضة العربية ،بيروت ،١٩٨٠م ،١ /٢٩ .

(٧) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : محمد زينهم و يحيى سيد حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٩م، ٤ / ٤٣ - ٤٥ ؛ النويري ، المصدر السابق ، ٣١ / ١٩٥ - ١٩٧ .

من الأمراء في الدولة ، بسبب دعم السلطان للأمير منكوتمر [1] لتولي الحكم بعده فاستغل مماليك الأشرفية هذه الفرصة كي يثأروا لدم سلطانهم المقتول ، ففي سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٩ م) قتل السلطان لاجين و نائبه في السلطنة الأمير سيف الدين منكوتمر من قبلهم[2].

تولى الأمير الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٨ – ٧٠٨ هـ / ١٢٩٩ – ١٣٠٩ م) السلطنة من جديد في دولة المماليك سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٩ م) ، ولكنه لم يوفق هذه المرة أيضاً للسيطرة على الأمور السياسية في الدولة ، فتعرض لمعارضة الأميرين سيف الدين سالار و ركن الدين بيبرس الجاشنكير[3] ، ومن جهة أخرى إستغلت قبيلة العربان الأوضاع المتدهورة في البلاد ، ولكن السلطان تمكن أن يضربهم بقسوة وينهي خطورتهم على الدولة[4].

ولما أدرك السلطان الناصر محمد أنه لايتمكن من أن يقضي على الأميرين سالار و بيبرس ، رأى من الأفضل أن يترك منصبه و البلاد ، وكتب رسالة إلى الأميرين بعد توجهه إلى الكرك ، بعدما أعلن أنه يريد أن يذهب إلى الحج ، بين فيها لهم أنه قرر أن يتنحى عن الحكم ، وفي نيته البقاء في الكرك و عدم العودة إلى مصر ، فاجتمع الأمراء واتفقوا في البداية على أن يتولى الأمير سالار السلطنة في البلاد ، ولكن بعد رفض هذا الأمير إستلام هذا المنصب ، قرروا أن يتولى الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير سنة (٧٠٨ هـ / ١٣٠٩ م) السلطنة في البلاد [5].

---

(١) منكوتمر : هو سيف الدين الحسامي التركي ، وكان نائب السلطنة في دولة المماليك ، قتل في سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨م) . ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥٢ / ٣٦٨ .

(٢) بيبرس المنصوري ، التحفة الملوكية .. ، ص ١٥٣ ؛ أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ٤ / ٥١ ؛ كنز الدرر ، ٨ / ٣٧٦ – ٣٧٧ ؛ المقريزي ، السلوك ، ٢ / ٢٧٣ – ٢٩٨ .

(٣) الجاشنكير : يتكون الكلمة من لفظين فارسيين : أحدهما (جاشنا) ومعناه الذوق ، والثاني (كير) ومعناه المتعاطي لذلك ، فيكون معنى الكلمة الذي يذوق ، وهو الذي يتذوق مأكول السلطان أو الأمير و مشربه خوفاً من أن يدس فيه السم و نحوه . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٥ / ٤٦٠ .

(٤) المقريزي ، السلوك ، ٢ / ٣٤٧ ، ٤١٣ ؛ إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة .. ، ٨ / ٩٣ – ٩٥ .

(٥) المقريزي ، نفسه ، ٢ / ٤٢١ – ٤٢٣ ؛ إبن تغري بردي ، نفسه ، ٨ / ١٨٣ – ١٨٤ .

لم يستمر السلطان بيبرس في السلطة طويلاً حتى تمكن الأمير الناصر محمد بن قلاوون أن يجمع لنفسه مؤيدين كثيرين ، فلما إزداد أتباعه في بلاد الشام و مصر ، وبعدما تهيأت الأمور في بلاد مصر قرر الأمير الناصر محمد (٧٠٩ – ٧٤١ هـ / ١٣١٠ – ١٣٤٠ م) أن يعود إليها، وتسلم السلطنة في دولة المماليك في سنة (٧٠٩ هـ / ١٣١٠م) من جديد[1].

وكذلك شهدت الحقبة الثالثة لسلطنة الناصر محمد بن قلاوون تطورات سياسية كبيرة ، فمن الملاحظ أن السلطان الناصر نهج مبدأ الإنتقام من الأمراء الذين وقفوا ضده في السابق ، ولاسيما من مماليك الأشرفية ، وكان يتخوف منهم بأنه إذا تهيأت لهم الظروف يقفون ضد حكمه ، ويشكلون خطراً على الدولة ، فلما ألقي القبض على الأمير بيبرس أوتي به إلى القاهرة و أوقف بين يدي السلطان الناصر ، وعلى الرغم من أنه طلب العفو من السلطان ، إلا أن السلطان رفض طلبه و أمر بحبسه ، ثم قتله بعد ذلك بتأريخ (١٥) من شهر (ذي القعدة) من سنة (٧٠٩ هـ / ١٣١٠ م) ، ودفنه في قبر أخفيت معالمه ، إلى أن نقلت جثته فيما بعد بشفاعة من بعض الأمراء إلى الخانقاه الذي أنشأه [2].

ولما تمكن السلطان الناصر من القضاء على منافسه على السلطة الأمير بيبرس ، بقي أمامه أمير آخر هو الأمير سالار الذي كان ينافسه على السلطة أيضاً ، فتمكن أن يقضي عليه و أودعه في السجن ، وبقي فيه حتى توفي ، ولكن لم يتخلص السلطان الناصر محمد من معارضيه بشكل كامل بعد قضائه على هذين الأميرين ، بل في الوقت الذي كان مشغولاً بالقضاء على الأمير سالار وصلته الأخبار بأن الأمير سيف الدين بكتمر[3]

(١) إبن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٢ م ، ١ / ٤٣١ .

(٢) إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٨ / ٢١٩ – ٢٢١ ؛ إبن إياس ، المصدر السابق ، ١ / ٤٣٣ – ٤٣٤ .

(٣) سيف الدين بكتمر : وهو كان من كبار أمراء دولة المماليك ، تولى مناصب عديدة في الدولة . ينظر : الصفدي ، المصدر السابق ، ١٠ / ١٢٤ – ١٢٥ .

الجوكندار[1] نائب السلطنة دبر له مؤامرة لخلعه ، و تعيين إبن أخيه الأمير مظفرالدين موسى بن الملك الصالح علي بن قلاوون في مكانه على عرش السلطنة ، واستعان في ذلك بالمماليك المظفرية من أنصار الملك المظفر بيبرس ، فاضطر السلطان لأن يبذل ما بوسعه لإحباط هذه المؤامرة وذلك بعد تخلصه من الأمير سالار ، فتمكن من القبض على الأمير مظفرالدين موسى و زجه في السجن ، ثم أخذ يتتبع أنصار المظفرية حتى ظفر بهم ، غير أنه ما لبث أن عفا عنهم [2] .

والجدير بالذكر عاش إبن الدواداري في هذه الظروف السياسية المرتبكة ، وكانت هذه الأحداث السياسية إنعكس بلاشك على كتاباته و توجهاته الفكرية ، ومع أنه كان متأثراً كثيراً بسلاطين المماليك ، وخاصة بشخصية السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، مما جعله أن يخصص الجزء الأخير من كتابه (كنز الدرر) لذكر سيرة هذا الأمير ، وسماه (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) ، إلا أنه تكلم عن كل دول الإسلامية مثل الدولة الأموية و العباسية و الفاطمية و الأيوبية ، وكذلك دون تراجم معظم الخلفاء و السلاطين و الملوك و الحكام في التأريخ الإسلامي .

٢ . الحالة الإقتصادية :

وعلى الرغم من وجود الصراعات السياسية الداخلية بين سلاطين المماليك ، والتهديدات الخارجية المستمرة على بلاد الشام و مصر من قبل الصليبيين و المغول ، وكذلك إنتشار الوباء و الغلاء في الأسعار لفترات عديدة من حكم المماليك ، إلا أن النشاط الإقتصادي لم يتوقف في حقبة المماليك ، بل إهتم معظم سلاطين المماليك بهذا المجال ،

(١) الجوكندار (أو الجوكاندار) : وهو مركب من لفظتين فارسيتين : إحداهما جوكان : وهو المحجن الذي تضرب به الكرة ، ويعبر عنه بالصولجان أيضاً ، والثانية دار : معناه ممسك ، فيكون معنى الكلمة ممسك الجوكان ، والعامة تقول: جكندار ، وهو لقب يطلق على الذي يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة ، ويجمع على جوكان دارية . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٥ / ٤٥٨ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ٢ / ٤٥٦ – ٤٥٩ ؛ إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٩ / ٢٢ – ٢٣ ؛ إبن إياس ، المصدر السابق ، ١ / ٤٣٦ .

وكان لهم دور كبير في معالجة كثير من الأزمات الإقتصادية ، فعلى سبيل المثال قام السلطان سيف الدين قلاوون في عهده بدور كبير في تخفيض الأسعار ، فلما إرتفع سعر الأردب [1] من القمح في سنة (٦٨٢ هـ / ١٢٨٤ م) إلى خمسة و ثلاثين درهماً ، طلب من الأمراء أن يقوم كل واحد منهم بواجبه ، ويفعلوا ما بوسعهم كي يقللوا من إستهلاك القمح و تخفيض الأسعار ، وكذلك لحل هذه المشكلة في مصر رأى السلطان أنه من الأفضل أن يفتح مخازنها ، ويبيع الأردب منها بخمسة و عشرين درهماً ، ولكن لم يكن كل الأمراء مع هذا التوجه ، بل عارضه بعض الأمراء في ذلك و منهم الأمير بدرالدين بيلبك الأيدمري ، ومع ذلك لم يهتم السلطان بموقف هذا الأمير ومن كان معه ، بل قام بتنفيذ ما رأه لأنه هو أفضل طريقة لتخفيض سعر القمح ، فنجح السلطان في هذه الخطوة التي إتبعها في مصر بعكس المناطق الأخرى ، فانخفض سعر الأردب من القمح إلى عشرين درهماً ، ثم إلى ثمانية عشر درهماً [2] .

وقد كان يزرع في بلاد مصر و الشام أنواع كثيرة من الحبوب ، كالقمح و الشعير والأرز و الفول و الحمص و العدس و اللوبيا و السمسم و الدخن [3] ، وكذلك أخذت زراعة قصب السكر إهتماماً خاصاً في دولة المماليك ، ولاسيما في مصر بسبب توافر المياه ، وكان وجود نهر النيل فيها هيأ الأوضاع لأغلب أنواع الزراعة ، وكما هو معروف فإن محصول السكر يحتاج إلى مياه كثيرة ، وإلى بيئة و مناخ مناسبين لنموه [4] .

---

(١) الأردب : هو نوع من الموازين المتعارف عليها ببلاد مصر ، تكال بها الحبوب ، وكل أردب واحد يساوي ستة و تسعين قدحاً ، تقدير الواحد منها بالوزن من الحب المعتدل مائتان و إثنان و ثلاثون درهماً . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٣ / ٤٤٥ . ويساوي كل أردب أربعة و عشرون صاعاً بصاع النبي (صلى الله عليه وسلم) . ينظر : علي جمعة محمد ، المكاييل و الموازين الشرعية ، دار القدس للإعلان و النشر ، القاهرة ، ٢٠٠١ م ، ص٣٩ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ٢ / ١٧٨ .

(٣) السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة ، تحقيق : خليل المنصور ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م ، ٢ / ٢٨٣ .

(٤) المقريزي ، الخطط ، ١ / ١٩١ – ١٩٢ ؛ السيوطي ، المصدر السابق ، ٢ / ٢٧٧ ؛ سرور ، المرجع السابق ، ص٢٨٢ – ٢٨٣ .

وكانت زراعة الخضروات مثل الزراعات الأخرى محل إهتمام الدولة ، لأنها من الإحتياجات اليومية للناس ، وفي جانب آخر إنها من الزراعات الخفيفة ولاتحتاج إلى آلات كبيرة و كثيرة ، ومن الخضروات التي أهتم بها كثيراً في دولة المماليك الباذنجان و القنبيط و الجزر و الخيار ، و كذلك زرعت الثوم والبصل و الكراث و الفجل [١] ، و أما فيما يخص زراعة الزيتون فإنه لاشك في أن الشام و مصر أشهر منطقتين في العالم الإسلامي لذلك ، ولاسيما مصر التي اشتهرت بأجود أنواع الزيتون منذ القدم ، ففي بلاد مصر كان إقليم الفيوم تشتهر بزراعة الزيتون [٢].

وإنشاء البساتين و زراعة الورود بكافة أنواعها من الإهتمامات الأخرى للدولة في حقبة حكم بني قلاوون ، واشتهر عدد من المناطق في دولة المماليك بالبساتين و حدائق الورود ، ومن أبرز أنواع الورود التي زرعت في الإسكندرية النرجس و البنفسج ، وفي مناطق أخرى من دولة المماليك غرس الورود من نوع النيلوفر و الكوفي و الياسمين و الأقحوان [٣] .

وقام السلطان الناصر محمد بإصلاحات في ميدان قلعة الجبل ، فنقل إليه الطين و حفر به الآبار ، وأجرى إليه الماء من السواقي ، وغرس فيه النخل و الأشجار المثمرة ، ثم بنى حوله سوراً من الحجر ، وقد حذا الأمراء و الأهالي حذو الناصر في الأكثار من غرس البساتين ، فلما تم حفر الخليج الناصري سنة (٧٢٥ هـ / ١٣٢٨ م) ، إشتد إقبالهم على شراء الأراضي التي على جانبيه و غرسوا فيها الأشجار ، وصارت بعد مدة قصيرة بساتين مثمرة [٤] .

(١) المقريزي ، الخطط ، ١ / ١٩٢ – ١٩٣ ؛ السيوطي ، المصدر السابق ، ٢ / ٢٨٣ .
(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٣ / ٣١٢ ؛ سرور ، المرجع السابق ، ص٢٨٣ .
(٣) السيوطي ، المصدر السابق ، ٢ / ٣٤٤ – ٣٥٧ .
(٤) المقريزي ، الخطط ، ٣ / ٣٩٨ – ٤٠١ .

وشهدت الأسواق نشاطاً ملحوظاً في عهد المماليك ، ولاسيما في المدن الكبيرة مثل القاهرة و دمشق و حلب ، فعلى سبيل المثال لا الحصر كان يباع في قيسارية إبن ميسر الكبرى في القاهرة قماش الكتانية و الطرح ، وكان تجار القاهرة يزورون هذه القيسارية في يومي الأحد و الأربعاء للإتجار بهذا النوع من الأقمشة ، وكذلك كان يوجد في سوق الجملون الصغير (أو جملون إبن صيرم) عدد من البزازين الذين كانوا يبيعون الثياب المنسوجة من الكتان و القطن ، كذلك كان يوجد عدد من الخياطين و البابية الذين كانوا يعملون في غسل الثياب ، ومن ثم يكوونها ، وكان يوجد سوق آخر بإسم أمير الجيوش (أو سوق الخروقيين) الذي كان يضم عدداً كبيراً من محلات الرفائين و الحباكين و الرسامين و الخياطين ، وكان يتوافر فيه كل أنواع الثياب المخيطة و الفرش و الإحتياجات المنزلية[1].

وكانت هناك عدة صنائع منتشرة في دولة المماليك في حقبة بني قلاوون ، ومنها صنع قماش الحرير المزركش و الوشي[2] في مدينة الإسكندرية [3] ، وكذلك إهتم سلاطين المماليك بإنشاء السفن الحربية ، فعلى سبيل المثال حاول السلطان الأشرف خليل بن قلاوون أن يصنع سفينة قوية و كبيرة ، كي تتمكن الدولة من خلالها تقليل التهديدات الخارجية على الشام و مصر من خلال البحر[4] ، وأمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٠٢ هـ / ١٣٠٤ م) بإنشاء أربع شواني حربية ، فأنجز ذلك و جهزهم بالأسلحة و

(١) المقريزي ، الخطط ، ٣ / ١٦٦ ؛ نشوان محمد عبدالله الزبيدي ، الأوضاع الحضارية في مصر في عصر المماليك البحرية (٦٤٨ – ٧٨٤ هـ / ١٢٥٠ – ١٣٨٢ م) ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ . كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠١٠ م ، ص٨٠ .

(٢) الوشي : لون يخالف كل الألوان ، يخلط لون بلون آخر ، بياض في لون السواد ، أو سواد في لون البياض ، ويقال أيضاً الحائك واش يشي وشياً ، أي نسجاً و تأليفاً .ينظر : الفراهيدي ، كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، دار و مكتبة الهلال ، د . ت . ، ٦ / ٢٩٨ – ٢٩٩ ؛ إبن منظور ، المصدر السابق ، ٩ / ٣١٦ .

(٣) السيوطي ، المصدر السابق ، ٢ / ٢٧٨ .

(٤) المقريزي ، الخطط ، ٣ / ٣٤٠ – ٣٤١ ؛ سعيد عبدالفتاح عاشور ، العصر المماليكي في مصر و الشام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٦ ، ص٢٩٠ .

الآلات الحربية ، وقام السلطان بهذا العمل بعدما سمع بأن الفرنج أنشأوا جزيرة أروادا (رودس) مقابل طرابلس ، وأحصنوا تلك المنطقة بالعدد و الالات الحربية[1] .

٣ . الحالة الإجتماعية :

لايوجد إختلاف بين المؤرخين و الباحثين على أن المجتمع في الدولة المملوكية كانت تتكون من فئات متعددة ، ولكن لم يتفقوا على عدد هذه الفئات في المجتمع ، وقد أشار المقريزي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) إلى أن المجتمع المصري كان يتكون من سبع طبقات في عهد المماليك ، وهم الطبقة الحاكمة (وهم من المماليك) ، والتجار ، ومتوسطو الحال (أصحاب الحرف الذين كانوا يشتغلون في الأسواق) ، و العلماء (أو الفقهاء) ، و الفلاحون، و الفقراء[2] .

وهناك من أشار إلى أن المجتمع المملوكي كان يتكون من ثلاث طبقات وهم : المماليك و العامة من الشعب و البدو (أو الأعراب)[3] ، ويشير باحث آخر إلى أن المجتمع المملوكي في بلاد الشام كان يتكون من أربع طبقات ، وهم الطبقة الحاكمة ، و الوجهاء ، و العامة من الشعب ، و الرعاة ، فكانت الطبقة الأولى من أهم طبقات المجتمع ، وتتكون من السلطان و حاشيته و أمراء المماليك و الموظفين ، وأما الوجهاء وهم أعيان المماليك و العلماء و التجار ، فكانوا أكثر بروزاً مقارنة بالطبقات الأخرى [4] .

٤ . الحالة الفكرية و الثقافية :

شهد النشاط الفكري و الثقافي في العهد المملوكي تطوراً ملحوظاً ، نتيجة تجمع عدد كبير من العلماء و المؤرخين و الأدباء و المثقفين في المناطق التي كانت تحت سيطرة المماليك ، ولاسيما بعد إحتلال بغداد عاصمة الخلافة العباسية سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) بأيدي المغول ، أدى إلى أن يهجر المثقفون و العلماء من العراق إلى بلاد الشام ، ثم من هناك

---

(١) إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة .. ، ٨ / ١٢٣ ؛ نشوان الزبيدي ، المرجع السابق ، ص١٣٢ .

(٢) إغاثة الأمة بكشف الغمة ، مطبعة دار الكتب و الوثائق القومية ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٢ م ، ص٧٢ – ٧٣ .

(٣) سعيد عبدالفتاح عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، دارالنهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٢ م ، ص١٥ – ١٦ .

(٤) أحمد خالد جيده ، المدارس و نظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ٢٠٠١ م ، ص٢٠ – ٢١ .

إلى بلاد مصر وذلك عندما توجه المغول إلى الشام لإحتلالها ، فأصبحت القاهرة ذلك المكان الذي يتمناه المسلمون ، و مركز إستقطاب العلماء و المثقفين المسلمين ، ولاسيما بعد محاولة سلاطين المماليك إحياء الخلافة العباسية في مصر ، و أتت هذه الفكرة بثمارها سنة (٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م) ، و أصبحت القاهرة قاعدة للفكر و الثقافة في العالم الإسلامي[١].

وكذلك إعتناء السلاطين أنفسهم بهذا المجال ، كان له دور كبير في تنشيط الجانب الفكري ، وهناك أمثلة كثيرة من إهتمام السلاطين بالعلم و العلماء ، منها تشجيع المفكرين لابداء أنشطة أكثر و تقديم الإنتاج الجديد و الجيد ، لدرجة أن بعض السلاطين كانوا يمارسون النشاط الفكري بجانب وظائفهم السياسية و الإدارية ، وكان السلطان الظاهر بيبرس يميل كثيراً إلى الجانب التأريخي ، و له قول معروف في هذا المضمار : ((سماع التاريخ أعظم من التجارب))[٢] .

وكان سلاطين المماليك يشجعون عقد مجالس العلم و الدين ، كي يتم البحث و التداول الفكري في الموضوعات التي لها علاقة بالجانب العلمي و الديني ، ولم يكن الإهتمام يشمل هذين الجانبين فحسب بل كان يتعداه إلى الجوانب التاريخية و الإجتماعية و جوانب أخرى ، وفضلاً عن ذلك كان للعلماء و المفكرين مكانة مرموقة و بارزة في دولة المماليك ، ولاسيما في الدولة المنصورية و الدولة الأشرفية [٣] .

وكانت توجد مراكز فكرية و ثقافية كثيرة في دولة المماليك ، والتي لها الدور المهم في تطوير النشاط الفكري ، و تأتي مدينة القاهرة في مقدمة كل المراكز الفكرية و الثقافية ، حيث كانت تضم مؤسسات مهمة في هذا المضمار ، منها جامع الأزهر الذي كان موقعاً للعلم و الدراسة و التبادل الفكري [٤] .

---

(١) إبن خلدون ، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاشرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ إبن خلدون) ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٠ م ، ٣ / ٦٦٤ – ٦٦٦ ؛ سعيد عبدالفتاح عاشور ، المجتمع المصري .. ، ص١٥٧ ؛ محمد سهيل طقوش ، تاريخ المماليك ، ص٧٠ .

(٢) إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٧ / ١٦٢ .

(٣) كنز الدرر ، ٩ / ١٥١ – ١٥٤ ؛ سعيد عبدالفتاح عاشور ، العصر المماليكي .. ، ص٣٤٢ .

(٤) سعيد عبدالفتاح عاشور ، العصر المماليكي .. ، ص٣٤١ – ٣٤٢ .

أسس السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٠٣ هـ / ١٣٠٤ م) مدرسة عرفت بالمدرسة الناصرية ، التي كانت تضم أربعة أواوين ، كل منها يختص بمذهب من المذاهب الأربعة ، كان يدرس مذهب المالكي في الإيوان القبلي ، ومذهب الشافعي في الإيوان البحري ، والإيوان الشرقي خصص للمذهب الحنفي ، و الإيوان الغربي للمذهب الحنبلي [1] .

أما مظاهر إحترام سلاطين المماليك للعلماء فهي كثيرة و متعددة ، فهذا الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس يدخل على السلطان حسام الدين لاجين ، فلا يدعه السلطان أن يقبل الأرض بحسب العادة المتبعة ، ويقول له : ((أهل العلم منزهون عن هذا)) ، ويجلسه بجواره على المقعد[2] ، وبالغ بعض سلاطين المماليك في إظهار إجلالهم للعلماء حتى أن السلطان لاجين نزل عن سرير الملك ليقبل يد الإمام محمد بن علي المنفلوطي[3].

---

(١) النويري ، المصدر السابق ، ٣٠ / ٣٤١ ؛ السيوطي ، المصدر السابق ، ٢ / ٢٢٩ .

(٢) إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٨ / ٨٨ .

(٣) إبن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣ م ، ٤ / ٩١ – ٩٤ .

المبحث الثاني

حياة إبن الدواداري

أولاً / إسمه و لقبه :

هو مؤرخ عصر المماليك أبوبكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري[١] (ت ٧٣٦ ه / ١٣٣٦ م) ، والذي يختلف المؤرخون حول إسمه الكامل حيث هناك عدة آراء ، فهو يذكر بنفسه إسمه الكامل في بداية كل جزء من مؤلفه (كنز الدرر) ، حيث يقول : ((تأليف أضعف عباد الله و أفقرهم إلى الله أبي بكر إبن عبدالله بن أيبك))[٢] ، ولهذا أشار البعض إلى أن إسمه الكامل هو أبوبكر بن عبدالله الدواداري بن عزالدين أيبك[٣] ، في حين يرى البعض من المؤرخين و الباحثين إن إسمه هو أبوبكر عبدالله بن أيبك الدواداري[٤] .

وأما فيما يخص لقبه فهناك إختلاف فيه أيضاً ، حيث كان يعرف والده بالدواداري[٥] ، فلقب بإبن الدواداري ، ولقب أيضاً بـ (مؤرخ النيل) ، لأن عند سرده الأحداث في بداية كل سنة يوضح أحوال نهر النيل ، وذهب البعض إلى تلقيبه بـ (إبن أيبك الدواداري)[٦] ، ونرجح الرأي الأول الذي يقول بأن لقبه : (إبن الدواداري) ، والدليل على

---

(١) دواداری : وهي كلمة مركبة من مقطعين ، دواة : تعني الأداة التي يوضع فيها الحبر ، و دار : تعني ممسك أو صاحب ، فتكون الكلمة بمعنى (ماسك دواة) أو (صاحب دواة) أو (حامل المحبرة) ، وكان من مهمته تسلم البريد الموجه للسلطان من رسله ، ويتولى أيضاً توقيع جميع رسائل السلطان منه ، ثم يبعث بها إلى أصحابها ، وهو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير ، وفي القديم كان يطلق الحاجب على وظيفة الدوادار . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٥ / ٤٦٢ ؛ إبن طولون ، نقد الطالب لزغل المناصب ، تحقيق : محمد أحمد دهمان و خالد محمد دهمان و نزار أباظة ، دارالفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩٢ م ، ص٥٩ ؛ سوبرنهيم ، دائرة المعارف الإسلامية ، ت : أحمد الشنتناوي ، إبراهيم زكي خورشيد ، عبدالحميد يونس ، القاهرة ، د . ت . ، ٩ / ٣٠٤ – ٣٠٥ .

(٢) كنز الدرر ، ١ / ١ ؛ ٢ / ٦ ؛ ٣ / ١ ؛ ٤ / ١ ؛ ٥ / ١ ؛ ٦ / ١ ؛ ٧ / ١ ؛ ٨ / ١ ؛ ٩ / ١ .

(٣) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التأريخ ، تحقيق : فرانز روزنثال ، ت : صالح أحمد العلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت . ، ص٢٤٢ ؛ شاكر مصطفى ، التاريخ العربي و المؤرخون ، ٣ / ١٢٢ .

(٤) أحمد الأوتاني ، دمشق في العصر الأيوبي ، دار التكوين ، دمشق ، ٢٠٠٧ م ، ص٢٦ ؛ محمود علي خليل عطاالله ، نيابة غزة في العهد المملوكي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص٢٩ .

(٥) كنز الدرر ، ٧ / ٣٧٢ .

(٦) شاكر مصطفى ، التاريخ العربي و المؤرخون ، ٣ / ١٢٢ .

ذلك أنه عندما أخذ السلطان الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) والده إلى خدمته ، ثم سلمه إلى الأمير سيف الدين بلبان الدوادار[1] (ت ٦٨٠ هـ / ١٢٨٢ م) ، فانتسب إليه منذ ذلك الوقت بـ (الدواداري)[2] .

ثانياً / مولده و نشأته :

لم يتم العثور على معلومات كافية حتى الآن فيما يخص ولادة إبن الدواداري ، فلم تشر المصادر التأريخية ، ولم يشر هو إلى ذلك في كتاباته ، إلا أنه يرجح بأن ولادته تعود إلى ثمانينات القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، حيث أشار في كتابه (كنز الدرر) إلى حادثة حضرها بنفسه حين يقول : ((قد شاهدت هذا الداب (أي دابة الكركدن) بالديار المصرية ، في أيام مولانا السلطان الشهيد الملك الأشرف صلاح الدنيا و الدين خليل إبن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدنيا و الدين قلاوون ، بعثه صاحب اليمن في جملة المقرر عليه للأبواب العالية وهو على هذه الصفة المذكورة لكن لم أر ما في قرنه كونه كان حياً يساق بين الحيواندارية بالسلاسل ، كان ذلك في عشر التسعين و الستمائة من الهجرة النبوية (على صاحبها أفضل الصلاة والسلام) ، وكنت حينئذ طفلاً أول ركوبي الفرس و استقلالي به ، فلم استوعب جميع صفته لصغر السن))[3]، ومن ذلك يتضح أنه عاش بداية حياته في عهد السلطان الأشرف خليل بن السلطان المنصور سيف الدين قلاوون (٦٨٩ – ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ – ١٢٩٣ م) .

كما الحال في مولده كذلك في نشأته ليست هناك معلومات كافية تتحدث عن بدايات حياته ، حيث كان رجلاً مجهولاً إلى عدة قرون بعد وفاته إلى الوقت الذي حصل المعهد

---

(١) سيف الدين بلبان الدوادار : هو سيف الدين بلبان الرومي الدوادار ، من أعيان الأمراء في دولة المماليك ، وكان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه كثيراً في تدبير أمور دولته ، قتل سنة (٦٨٠ هـ / ١٢٨٢ م) بحمص . ينظر : الصفدي ، المصدر السابق ، ١٠ / ١٧٧ .

(٢) كنز الدرر : ١ / ١ ؛ ٢ / ٦ ؛ ٣ / ٣ ؛ ٤ / ١ ؛ ٥ / ١ ؛ ٦ / ١ ؛ ٧ / ١ ؛ ٨ / ١ ؛ ٩ / ١ ؛ خيرالدين الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٥ ، ٢٠٠٢ م ، ٢ / ٦٦ .

(٣) كنز الدرر ، ١ / ١٧٣ .

الألماني للآثار في القاهرة على مخطوطة تأريخية لهذا المؤرخ بإسم (كنز الدرر و جامع الغرر) ، والتي كانت تضم بعض المعلومات عن المؤرخ ، وقد حققها مجموعة من الباحثين و المؤرخين ، ومن ثم تم طبعها ، فهناك بعض الإشارات في هذا الكتاب أفادت الدراسة كثيراً.

وقد تبين أنه قضى بداية حياته مع عائلته في حي الباطنية[1] بالقاهرة ، ثم توجه مع أبيه و عائلته إلى الشام سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٢ م)[2]، وكان إبن الدواداري مولعاً بالقراءة في سني حياته الأولى ، كون بيته يضم مكتبة عامرة من نفائس الكتب ، فكان سبباً في شغفه بالقراءة ، مما هيأ له مناخاً جيداً للتوجه نحو التعليم و القرآءة منذ الصغر[3]، وكانت معلوماته تزداد يوماً بعد يوم مع تقدمه في العمر ، فضلاً عن ذلك إصطحاب والده له ، حيث كان يرافقه إلى المجالس و المناسبات ، و يحضر النقاش الدائر بين أبيه و رجالات الدولة ، ويطلع على الأحداث و التغيرات السياسية عن قرب ، مما جعله يتمتع بالجرأة و الخبرة ، و اكتساب الثقافة السياسية و الإدارية و التأريخية [4] .

وتنقطع المعلومات عنه في هذه الحقبة من حياته إلى حين تقلده المناصب في الدولة ، حيث نظم خلال مسؤوليته عدة مجالس فكرية مع الأدباء و الشعراء ، لأنه كان مولعاً بالشعر و الأدب ، لذلك لم تمنعه مسؤولياته الإدارية و الوظيفية أن يجالس الأدباء ، ويستمع إلى أشعارهم و نتاجاتهم الأدبية ، و يتبادل الآراء معهم في كثير من الموضوعات ،

---

(١) حي الباطنية (أو حارة الباطنية) : تقع في مدينة القاهرة ، سميت باسم طائفة سكنت بها ويقال لهم (الباطنية) ، وهم كانوا شديد التشيع ، وبمرور الزمن تغير تسميتهم إلى الباطلية ، وكان ذلك عندما حضر المعز إلى مصر قسم العطاء للناس فجاءت طائفة فسألت العطاء ، فقيل : فرغ ما كان حاضراً ، ولم يبق شيء ، فقالوا : الحق باطل ، فسموا الباطلية . ينظر : إبن عبدالظاهر ، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد ، أوراق شرقية للطباعة ، بيروت ، ١٩٩٦ م ، ص٤٢ ؛ كنز الدرر ، ٦ / ١٤٠ – ١٤١ ؛ المقريزي ، الخطط ، ٣ / ١٥ .

(٢) كنز الدرر ، ٩ / ١٠٩ .

(٣) نفسه ، ٧ / ٢٤٩ – ٢٥٠ .

(٤) نفسه ، ٩ / ١٧٧ ، ١٨١ .

مثلما يشير إلى ذلك بقوله : ((ووليت وجهي شطر الأئمة الفضلاء ، وبسطت حجري لالتقاط درر الشفاه ... و رويت عن الفضلاء من مشارقها و مغاربها))[1] ، كما أنه يورد مشاهداته و مجالساته مع بعض المتصوفة ، وحسن إستماعه إلى آرائهم [2].

كما أنه كان يعتني بزيارة الأماكن الثقافية و الفكرية ، حيث كان يرتادها في أوقات فراغه ، مثل المكتبات و الجوامع و الخانقاهات و الأديرة ، وكذلك زيارة الوراقين للحصول على الكتب النادرة ، فكان إما أن يقرأها عندهم و ينتفع منها ، أو كان يستنسخ ما يهمه من الموضوعات ، مثلما يشير إلى أنه وجد كتاب قبطي في الدير الأبيض بالوجه القبلي ، والذي يقابل سوهاج[3]، فاستنسخ منه مدة بقائه فيها ، كما يقول : ((فوجدت هذا الكتاب في الدير الأبيض ، الذي يقابل سوهاي ، وكان به رجل راهب فاضل ، يقال له : برصوما ، فلما تجارينا في أمر تاريخ مصر ، أحضر هذا الكتاب و قرأه علي و فسره بالعربي ، فاستنسخت منه لي طول مدة إقامتي بذلك الدير))[4] .

ويمكن القول بأن إبن الدواداري إهتم بتثقيف نفسه لعدة أسباب ، منها رغبته العمل في المجال الفكري ، كذلك كانت طبيعة عمله تتطلب منه رفع مستواه العلمي و الثقافي ، لأنه من كان في وظيفة إدارية عليه أن يتقن اللغة ، وأن يمتلك معلومات ثقافية جيدة ، و أن يتمتع بخبرة كافية في مجال وظيفته ، لمعرفة التعامل مع الأشخاص الذين يعمل معهم أو يلتقيهم ، وتجدر الإشارة إلى أنه لم يكن بارعاً في الأدب و حسب ، بل كانت له أيضاً اليد الطولى في مجال التأريخ ، وله في هذا المجال مؤلفات كثيرة ، وكتاب (كنز الدرر) واحد منها ، وسنفصل ذلك في المبحث الخاص بمؤلفاته .

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ٦ .

(٢) نفسه ، ٩ / ١٨٠ .

(٣) وقد ورد في كتاب (كنز الدرر ، ٢ / ١٠٣) سوهاي وهو خطأ ، والأصح ما أثبتناه .

(٤) كنزالدرر ، ٢ / ١٠٢ – ١٠٣ .

ثالثاً / عائلته :

ينتمي إبن الدواداري إلى عائلة معروفة عاشوا في العهد المملوكي ، الذي يرجح أن يكون أصل هذه العائلة منهم ، ويشير مؤرخنا بأن جده عزالدين أيبك كان من المتدينين ، ويهتم كثيراً بالعلوم لاسيما الدينية منها ، وكان يملك مكتبة في بيته ، إضافة إلى أنه كان عارفاً بالمسائل السياسية و الإدارية ، وشارك في أغلب أحداث عصره ، وكما أنه عمل في المجال العسكري ، وخاض بعض الحروب ، حيث تشير إحدى الروايات أنه في سنة (٦٠٧ هـ / ١٢١٢ م) وفي إحدى المعارك وقع في الأسر ، وبيع للسلطان الأيوبي الملك المعظم عيسى[(١)] ، ودخل بذلك إلى خدمة السلطان[(٢)] .

وبعد أن يأتي به الملك المعظم لخدمته يوكل إليه أمر الاستادارية [(٣)] و رعاية أولاده، و ما إن أحكم الملك سنة (٦١١ هـ / ١٢١٣ م) السيطرة على مدينة صرخد[(٤)] ، ثم عهد ولاية هذه المدينة إلى مملوكه عزالدين أيبك ، وبقي في منصبه هذا إلى أن خلعه الملك

---

(١) المعظم عيسى : هو الأشرف عيسى بن الملك العادل سيف الدين إبي بكر بن أيوب ، الملقب بـ (الملك المعظم) ، الحنفي المذهب ، ولد سنة (٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) ، وتوفي سنة (٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م) بدمشق . ينظر : إبن أبي الوفاء الحنفي ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، تحقيق : عبدالقادر محمد الحلو ، دار هجر ، مصر ، ١٩٩٣ م ، ٢ / ٦٨٢ – ٦٨٣ .

(٢) الصفدي ، المصدر السابق ، ٩ / ٢٦٩ ؛ كنز الدرر ، ٧ / ٣٧١ – ٣٧٢ .

(٣) الإستادار : وهي لفظة فارسية تتكون من مقطعين ، إستد : تعني الأخذ ، و دار : تعني الممسك أو المتولي ، فالكلمة معاً تعني المتولي لأخذ المال ، وكان من مهامه التحدث في أمر بيوت السلطان من المطابخ و الشراب خانه و الحاشية و الغلمان ، ويتولاها أمراء أربعة واحد مقدم ألف ، وثلاثة طبلخاناه . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٥ / ٤٥٧ ؛ إبن كنان ، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء و السلاطين ، تحقيق : عباس صباغ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٩١ م ، ص١٢٠ ؛ محمد أحمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دارالفكر ، دمشق ، ١٩٩٠ م ، ص١٥ .

(٤) صرخد : تقع في بلاد حوران ، وهي من أعمال دمشق ، ولها قلعة حصينة و مشهورة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٤٠١ ؛ إبن شاهين ، المصدر السابق ، ص٤٦ .

الصالح نجم الدين أيوب[1] بن الملك الكامل سنة (٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م) ، وساقه أسيراً إلى القاهرة ، و أودعه السجن في دار الطواشي[2] .

وتشير بعض المصادر إلى أنه بعد موت الملك المعظم إلتحق عزالدين أيبك بخدمة الملك الناصر داود بن الملك المعظم ، الذي خلع عليه بدوره لقب مدبر الحرب ، بالذات في الوقت الذي أحكمت قوات الملك الكامل الحصار على قوات داود[3] .

ويذكر إبن الدواداري إلى أن جده عزالدين أيبك توفي سنة (٦٤٥ هـ / ١٢٤٦ م) [4]، إلا أن إبن خلكان أشار في كتابه إلى أنه توفي سنة (٦٤٦ هـ / ١٢٤٧ م) ، ودفن بدءاً في منطقة يقال لها تربة شمس الدين الدولة خارج باب النصر[5] ، ثم نقل رفاته إلى المدرسة التي أسسها في ظاهر دمشق ، التي كانت تشرف على الميدان الأخضر الكبير ، ودفن هناك [6]، و يروي إبن الدواداري كيفية وفاة جده ، إذ يقول إن الملك الصالح نجم الدين أيوب أقدم على تسميم جدي ، كي يتخلص منه و يسيطر على أملاكه و ثرواته ، ولكن عندما علم

---

(١) الصالح نجم الدين أيوب : هو الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ناصرالدين محمد بن العادل سيف الدين أبوبكر بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان ، تولى الحكم سنة (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م) في مصر ، توفي سنة (٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م) . ينظر : الصفدي ، المصدر السابق ، ١٠ / ٣٥ – ٣٦ ؛ إبن دقماق ، الجوهر الثمين .. ، ص١٤٩ – ١٥٠ ؛ إبن تغري بردي ، الدليل الشافي على المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د . ت . ، ١ / ١٧٨ .

(٢) إبن خلكان ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط٥ ، ٢٠٠٩ م ، ٣ / ٤٩٤ ؛ كنز الدرر ، ٧ / ١٧٧ .

(٣) الصفدي ، المصدر السابق ، ٩ / ٢٦٩ .

(٤) كنز الدرر ، ٧ / ٣٦٣ .

(٥) باب النصر : وهي إحدى أبواب مدينة دمشق ، فكانت لهذه المدينة ثمانية أبواب : باب شرقي ، باب توما ، و باب السلامة ، و باب الفراديس ، و باب الفرج ، و باب النصر ، و باب الجابية ، و باب الصغير . ينظر : الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، مطبعة هيدلبرغ ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤ م ، ص٢٤٠ ؛ إبن جبير ، إعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة و المناسك (رحلة إبن جبير) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ م ، ص٢٢٠ .

(٦) وفيات الأعيان ، ٣ / ٤٩٦ .

جدي بنية الملك الصالح في التخلص منه خطط قبل موته كيداً للملك الصالح وقام بتسميمه ، إذ أصيب الملك بعد ذلك بمرض السقية ، و بسبب ذلك توفي فيما بعد [(١)] .

وجدته كمش خاتون (أم أبيه عبدالله) ، كانت إحدى نساء قبيلة الخطائية[(٢)] ، وكانت كذلك من الجواري ، والتي باعها الملك الصالح بعد أن تملكها لرجل كبير من صرخد ، الذي كان جد الدواداري فولدت له عبدالله أبا المؤرخ [(٣)] .

ترعرع عبدالله إبن عزالدين أيبك في بيت محب للأدب و العلم ، مثلما كان أبوه يهوى القراءة و العلوم ، حيث سار على منهجه ، و كان شغوفاً بالأدب و العلم حتى أصبح فقيهاً صوفياً ، وألف كتاباً في مجال التصوف ، كانت عائلة إبن الدواداري في البداية ببلاد الشام، ولكن بعد إلقاء القبض على عزالدين أيبك من قبل الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل سنة (٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م) ، إنتقل عائلته إلى القاهرة ، وما أن بلغ عبدالله السابعة عشرة من عمره حتى أخذه السلطان الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) إلى خدمته ، وقطع له إقطاعاً ، ثم سلمه إلى الأمير سيف الدين بلبان الدوادار (ت ٦٨٠ هـ / ١٢٨٢ م) و قال له : ((علمه وخله يمش معك)) [(٤)] .

وكان عبدالله الدواداري قد تقلد مناصب إدارية مهمة في زمن حكم السلطانين الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون (ت ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م) ، والسلطان الناصر محمد بن قلاوون ، بسبب قربه منهما في دولة المماليك ، فعينه الأخير والياً على المنطقة الشرقية في

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٣٧١ – ٣٧٢ .

(٢) الخطائية : هم جنس من الترك ، من بلاد الخطا ، بلادهم تتاخم بلاد الصين ، ثم نزحوا من شمال الصين في النصف الأول من القرن السادس الهجري / الثالث عشر الميلادي ، واستقروا في غرب إقليم تركستان ، وكونوا دولة عرفت باسم (القراخطائيين) ، ثم إمتدت دولتهم إلى نهر سيحون الذي فصل بينهم وبين الخوارزمية المسلمين ، وكانوا يدينون بالبوذية . ينظر : البناكتي ، روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ و الأنساب (تاريخ البناكتي) ، ت : محمود عبدالكريم علي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م ، ص٣٧٧ – ٣٧٨ ؛ كنز الدرر ، ٧ / ١٦٢ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٤ / ٤٧٩ – ٤٨٠ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٣٧٢ .

(٤) نفسه ، ٧ / ٣٧٢ – ٣٧٣ .

سنة (٦٩٩ هـ / ١٣٠١ م) ، ويشير إبن الدواداري إلى أن والده خرج في سنة (٧٠٣ هـ / ١٣٠٥ م) للكشف بالمنطقة الشرقية ، وذلك لإنكسار خيل البريد و قلة إكتراثهم بمن يخرج إليهم من الأمراء وغيرهم[1] ، و في سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٢ م) أرسله إلى الشام ، وعهد إليه وظيفة المهمندار[2] ، ثم أسند له وظيفة شد الدواوين[3] في دمشق ، وبقي في منصبه في تلك البلاد حتى توفي سنة (٧١٣هـ / ١٣١٥ م) ، أما إبنه أبوبكر المعروف بـ (إبن الدواداري) فعاد إلى بلاد مصر ، و عمل على تأليف كتابه هذا (كنز الدرر و جامع الغرر)[4].

وأشار إبن الدواداري إلى تولي والده وظيفة المهمندار ، عندما قال : ((إنه لما ورد في التاسع من شهر ذي القعدة من سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٢ م) رسول غازان خان المغولي إلى دمشق ، وكان والدي في ذلك التأريخ مهمنداراً بدمشق ، وكان النائب بدمشق يومئذ الأمير سيف الدين كراى المنصوري ، قدم لهم عبدالله خدمة جيدة ، ورحب بهم بحفاوة و منح لهم تسهيلات كثيرة))[5] .

وكانت وفاة عبدالله في سنة (٧١٣ هـ / ١٣١٥ م) عندما سقط من فوق فرسه ، حينما كان يقوم بجولة تفتيشية على القلاع بوادي الزرقاء ، وكان متجهاً إلى قلعة عجلون[6] ،

---

(١) نفسه ، ٩ / ١١٤ – ١١٧ .

(٢) مهمندار : وظيفة إدارية مهمة في دولة المماليك ، كان يقوم باستقبال الرسل والضيوف الورادين على السلطان ، ويدبر أمورهم ، وقد عد بعض المؤرخين صاحب هذه الوظيفة من أرباب السيوف .ينظر: السبكي ، معيد النعم و مبيد النقم ، تحقيق : محمد علي النجار و أبو زيد شلبي و محمد أبو العيون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، ص٣١ – ٣٢ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٤ / ١٨٧ ؛ عادل عبدالحافظ حمزة ، نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ /١٢٥٠ – ١٥١٧ م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،٢٠٠٠ م ، ٢ / ٢٧ .

(٣) شد الدواوين : يتكون من لفظين ، الشد : ترادف كلمة تفتيش ، وكان صاحب هذه الوظيفة مهمته مرافقة الوزير و التفتيش على مالية الدواوين و على موظفيها . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٤ / ١٨٦ .

(٤) كنز الدرر ، ٧ / ٢١٨ ، ٣٧٣ ؛ ٩ / ١٠٩ ، ١١٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ؛ شاكر مصطفى ، التاريخ العربي و المؤرخون ، ٣ / ١٢٣ .

(٥) كنز الدرر ، ٩ / ٥١ .

(٦) قلعة عجلون : وهي من أعمال الأردن ، تقع على جبل مطل على الغور ، يظهر من بيسان . ينظر : أبو الفداء ، تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠ م ، ص٢٤٤ – ٢٤٥ .

فوقع في الطريق من فوق فرسه و مات ، فحمل إلى أذرعات بحوران[1] ، ودفن هناك بقرب أبيه و أمه ، وكان عبدالله الدواداري في ذلك الوقت وظيفته تفتيش القلاع في بلاد الشام [2].

رابعاً / وفاته :

لم يتم العثور على تفاصيل وفاته في المصادر ما عدا ذكر سنة الوفاة ، وقد إختلف المؤرخون في ذلك ، حيث تشير معظم المصادر إلى أنه توفي سنة (٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م)[3] ، في حين يشير أحد الباحثين إلى أنه توفي سنة (٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م)[4] .

---

(١) حوران : وهي كورة واسعة من أعمال دمشق ، ذات قرى كثيرة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٣١٧ ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص٢٠٦ .

(٢) كنز الدرر ، ٩ / ٢٦٦ – ٢٦٧ .

(٣) إبن عبد الظاهر ، المصدر السابق ، دراسة المحقق ، ص٨ ؛ إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤ / هامش ص١١ ؛ أحمد الأوتاني ، المرجع السابق ، ص٢٦ ؛ خيرالدين الزركلي ، المرجع السابق ، ٢ / ٦٦ .

(٤) محمود علي خليل ، المرجع السابق ، ص٢٩ .

المبحث الثالث

مكانته السياسية والعلمية

أولاً / مكانته السياسية :

تمتع إبن الدواداري بمكانة سياسية مرموقة خلال حياته و يتبين ذلك من خلال المناصب التي تقلدها ، ولعل من أولى مناصبه الإدارية رئيس ديوان الإنشاء[1] في عهد السلطان المنصور قلاوون ، وعلى الرغم من أنه بقي في منصبه هذا في زمن حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، إلا أنه بعد ذلك عهد إليه منصب إدارة مدينة صرخد ، لاسيما بعد وفاة والده سنة (٧١٣ هـ / ١٣١٥ م) ، وهذا يعود إلى العلاقة الجيدة التي تربطه بأسرة قلاوون ، كون أغلب المناصب التي تقلدتها عائلة إبن الدواداري كانت في عهد بني قلاوون ، حيث أسند السلطان الناصر في بداية عهده وظائف عدة إلى أبيه عبدالله الدواداري[2].

ومما ساعده على تقلده تلك المناصب كونه ترعرع في كنف عائلة سياسية ، والتي تسنمت مناصب إدارية قبل ذلك ، الأمر الذي أكسبها تجارب و خبرة في المجال الإداري ، عززت ثقة سلاطين المماليك بهم ، ومن العوامل المساعدة أيضاً علاقة المؤرخ و عائلته برجالات الدولة ، فكان جده عزالدين أيبك الإستادار المعروف بصاحب صرخد له علاقة حميمة بالملك الناصر داود بن الملك المعظم ، ومن أحد رجالات ذلك الملك ، فقال ذات يوم للملك الناصر على شكل النصيحة لما رآه وهو يستنجد بالملك الأشرف خوفاً من الملك الكامل الأيوبي : ((داري عمك الكامل و استعطفه ، ولاتبعث إلى الأشرف ، و داوي

---

(١) ديوان الإنشاء : وكان من أهم الدواوين الموجودة في عصر المماليك ، ويتولى هذا الديوان من أجل كتاب البلاغة ، الذي يعرف عندهم بـ (كاتب الدست الشريف) ، و إليه تسلم المكاتبات الواردة مختومة ، فيعرضها على الخليفة ، وهو الذي يأمر بتنزيلها و الإجابة عنها ، ويستشيره الخليفة في كثير من الأمور . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى، ٣ / ٤٩٠ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٣٧٢ – ٣٧٣ ؛ محمود علي خليل عطاالله ، المرجع السابق ، ص٢٩ .

الأخطر)) ، فخالفه في ذلك ، وحضر الأشرف وقال للناصر : ((أنا أمضي إلى الكامل و أصلح حالك معه)) ، وحضر الأشرف فوجد الكامل قد أعطى الأنبرور القدس ، فعتب عليه الملك الكامل في ذلك ، وقال : ((ما أحوجني إلى ذلك إلا المعظم ، فانه أعطى الأنبرور من الأردن إلى البحر ، والضياع التي من باب القدس إلى يافا ، فاحتجت أنا أن أعطيه القدس أيضاً)) ، فلما وصلت الأخبار إلى المسلمين أن الملك الكامل أعطى القدس للصليبيين ، إنتشر الحزن بين المسلمين و أقاموا المآتم ، وكان الملك الناصر داود منحرفاً عن الأمير عزالدين أيبك صاحب صرخد ، فتركه و قدم على السلطان الملك الكامل وهو على تل العجول ، وكان يريد العودة إلى مصر ، فلما أتاه عزالدين أيبك قال : ((قد جاءني مفتاح الشام)) ، و أقبل عليه و أعطاه عشرة الآف دينار ، وجمع رأيه على السير إلى دمشق[1] .

وأما والده فكان له علاقة حميمة بالأمير سيف الدين كراى المنصوري[2] ، فيشير في هذا الخصوص إنه لما ورد رسول غازان خان المغولي إلى دمشق سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٢م) ، قدم المغول الهدايا و التحف القيمة لوالده ، فقام الأخير بإبلاغ الأمير سيف الدين كراى بذلك ، فجرت بينهم ممازحة جميلة ، عندما قال الأمير لوالد إبن الدواداري : ((يا جمال الدين ، لا تأكل الهدية وحدك و أشركنا فيما أوعدوك به)) ، فلما عادوا إلى دمشق مرة أخرى ، رحب بهم بحفاوة ، فأعجب به وفد المغول كثيراً ، وقدموا له هدايا فاخرة ، ثم قالوا له : ((أشكر إحسان القآن إليك)) ، ولم ينس جمال الدين عبدالله ما قال الأمير سابقاً له ، لذلك إستصحب معه الهدايا و ذهب إلى لقاء الأمير كراي ، فلما رأى الأمير ذلك ضحك و قال له : ((يا جمال الدين ، و الله لولا أنت عندهم تشبه تومان ما أعطوك هذا)) ، فقال له جمال الدين : ((يا خوند ، الهدية لمن حضر ، فأخذها منه))[3] .

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٢٩٢ – ٢٩٣ .

(٢) سيف الدين كراى المنصوري : هو سيف الدين كراى المنصوري ، كان من أحد أمراء البرجية بدمشق ، ثم حضر إلى صفد نائباً . ينظر : الصفدي ، المصدر السابق ، ١٠ / ٤٦ .

(٣) كنز الدرر ، ٩ / ٥١ – ٥٢ .

وكذلك يشير إبن الدواداري إلى أن والده كان له علاقة حمية مع كل من القاضي تاج الدين بن الأثير في أيام حكم سيف الدين بلبان الدوادار[١] ، ومع الأمير حسام الدين أزدمر المجيري[٢] .

وأما فيما يخص عائلة السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، كان لعائلة إبن الدواداري علاقة حميمة معهم ، حيث جعلته أن يحتفظ في زمن حكم السلطان الناصر بمكانته الرفيعة لديهم [٣]، ووصل الأمر إلى أن يتأثر إبن الدواداري بالسلطان كثيراً حتى أنه خصص له جزءاً من كتابه لذكر سيرته ، وسماه : (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) ، ويبين المؤرخ سبب التسمية ، فيقول : ((إن هذا هو الجزء الأكيس ، من قسمة الفلك الأطلس ، وهو الجزء التاسع التابع للثامن ، القادح من زند القريحة ما كان كامن ، المسمى بـ (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) التالي لبشاير النصر ، لسيد ملوك العصر ، وذلك لما لم يسع الجزء الثامن الإشتراك ، لذكر مناقب سيد ملوك الأتراك ، التي تضيق عن حصر جملتها الخواطر ، فكيف تحصرها الأقلام و الدفاتر ؟ فاخترنا الله تعالى ، و أنشأنا هذا الجزء اللطيف المعان ، يشتمل على بقية ذكر بعض مناقبه الحسان ، التي جملتها كعدد نجوم الآفاق ، وكضياء الشمس بهجة و إشراق . فكيف يسعها دفاتر و أوراق ؟ و إننا لما وفقنا الله تعالى أن ننبه على هذه المآثر ، التي هي فرض واجب على كل أديب و فاضل و شاعر و ناثر ، لتقتدي بها الملوك الأكابر ، ونستملي ذلك من ألسنة الأقلام و أفواه المحابر، و إن وفقوا لتتبع هذه الآثار ، فكيف لهم بمساعدة الأقدار ، وخدمة الفلك الدوار))[٤] .

---

(١) كنز الدرر ، ٨ / ٤٣ .

(٢) نفسه ، ٩ / ٧١ .

(٣) نفسه ، ٩ / ١٧٨ – ١٧٩ .

(٤) نفسه ، ٩ / ٥ – ٦ .

وقد وفرت صداقة إبن الدواداري للسلاطين المماليك سبل الإطلاع على كثير من المعلومات و التفاصيل ، التي كانت تدور في مجالس السلطان و كبار المسؤولين في الدولة المملوكية ، وكذلك مما ساعد هذا الأمر مكانة عائلة عند المماليك ، بسبب ما أشرنا إليه كان للعلاقات الحميمة لعائلته بالسلاطين المماليك ، وتقلده عديد من المناصب الإدارية و السياسية دور كبير في تقوية مكانة إبن الدواداري عند المماليك .

ثانياً / مكانته العلمية :

كان لإبن الدواداري مكانة علمية متميزة لاتقل شأناً عن مكانته السياسية ، ويتجلى ذلك من كثرة المصنفات التي ألفها ، والتي تدل على وفرة علمية و فكرية ، وقد أشار هو بنفسه إلى أن لديه عدداً من المؤلفات ، حين يقول : ((كنت قد ألفت قبل هذا التاريخ (كنز الدرر) عدة كتب مفيدة ، تشتمل على جواهر مفيدة))[1] ، والجدير بالذكر أن أغلب هذه المؤلفات مفقودة في الوقت الحاضر ، ومن أهم مؤلفاته الأخرى :

١ / أعيان الأمثال وأمثال الأعيان :

يخص هذا الكتاب المجال الأدبي ، وسبب تأليفه يعود إلى أنه لما طالع كتاب (كليلة و دمنة) لحكماء الهند و علماء السند ، رأى أن جماعة من الفضلاء الإسلاميين نسجوا على منواله ، ولم يبلغوا أمثاله ، ويذكر أسماءهم وهم صاحب (كتاب الصادح) أبو يعلى محمد بن الهبارية ، وصاحب كتاب (سلوان المطاع) إبن ظفر ، و صاحب كتاب (ثعلة و غفرة) سهل بن هارون ، ثم يقول بعد ذلك : ((ألفت هذا الكتاب الذي سأذكر منه ما يليق بذكره في هذا التأريخ [2]، و أقمت دعائمه على إسمين حسان ، تورية عن القلب و اللسان ، فأحدهما و تتمته ناطق الظنين ، والآخر سميته الحاذق الأمين ، فوقع غريب في أمثاله ، لايوجد مثاله ، إذ هو إسلامي جاهلي ، عربي عجمي ، ملوكي سوقي ، خاصي عامي))[3]،

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ٢٧٥ .

(٢) يقصد إبن الدواداري هنا كتابه التأريخي (كنز الدرر) .

(٣) كنز الدرر ، ١ / ٢٧٦ .

ثم يبين بأنه نهج أسلوبهم في تأليف هذا الكتاب حين يقول : ((وحذوت فيه حذو كليلة و دمنة ، و أقمت مقام كل حكاية من حكاياته واقعة من نكت التأريخ تليق في مكانها))[1] .

وهناك تضارب في الآراء فيما يخص عدد الموضوعات التي ضمها الكتاب ، في حين يشير إبن الدواداري في موضع ما إلى أن كتابه يتكون من إثنتي عشرة محاضرة [2]، وفي موضع آخر يقول إنه يتكون من عشر محاضرات [3]، هي :

١ . المحاضرة الربيعية .

٢ . المحاضرة الأوائلية : وهي خاصة بأخبار الأقوام القديمة .

٣ . المحاضرة النبوية : خصصها لذكر سيرة و حياة سيد الأنام و فخر الكائنات محمد (صلى الله عليه وسلم) .

٤ . المحاضرة الخليفية : خصصها لذكر الخلفاء و سيرتهم .

٥ . المحاضرة الملوكية : خصصها لذكر المعاني الزكية .

٦ . المحاضرة الوزرائية : خصصها لذكر الوزراء .

٧ . المحاضرة القضائية : خصصها لذكر القضاة .

٨ . المحاضرة الشعرائية : خصصها لذكر الشعراء و نتاجاتهم .

٩ . المحاضرة الفلسفية : خصصها لذكر الحكماء و الفلاسفة و حكمهم .

١٠ . المحاضرة النجومية : خصصها لذكر الأفلاك و النجوم .

والجدير بالذكر أن الرأي الذي يقول بأن عدد المحاضرات هو عشرة قريب من الحقيقة ، لأن إبن الدواداري أشار إلى الموضوعات العشر في كتابه (كنز الدرر) ، تحت عنوان (ذكر المنظوم و المنثور في الأثمار و الزهور) [4].

---

(١) كنز الدرر ، ٥ / ١٣٥ .

(٢) نفسه ، ٢ / ٣١٦ ؛ ٥ / ١٣٥ .

(٣) نفسه ، ١ / ٢٧٦ .

(٤) نفسه ، ١ / ٢٧٥.

٢ / تبر المطالب و كفاية الطالب :

وهو من كتب إبن الدواداري الأدبية ، ويتكون من أربعة اجزاء ، ويحمل إثنى عشر عنواناً رئيساً ، وبداية كل عنوان تبدأ بكلمة (كتاب) [١]، وهو كما يأتي :

١ . كتاب زهر الآداب .

٢ . كتاب تباشير الشراب .

٣ . كتاب الحيوان .

٤ . كتاب الخراج .

٥ . كتاب أبكار الأفكار .

٦ . كتاب ملح الملح .

٧ . كتاب كنز البراعة .

٨ . كتاب الكامل .

٩ . كتاب أدب الكاتب .

١٠ . كتاب الصادح و الباغم .

١١ . كتاب المستجاد من أفعال الأجواد .

١٢ . كتاب جامع اللذة .

٣ / حدائق الأحداق و دقائق الحذاق :

هو كتاب أدبي أيضاً ، سماه إبن الدواداري بـ (حدائق الأحداق و دقائق الحذاق) وفاءً و محبة للقاضي علاءالدين إبن الأثير ، والذي كان بينهم إخوة منذ الصغر[٢] ، وأما حول أجزاء الكتاب هناك تضارب في المعلومات ، ففي الوقت أشار إلى أن كتابه هذا يتكون

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ٢٧٥ .

(٢) نفسه ، ٥ / ١٨٩ .

من جزأين ، و يضم إثني عشر موضوعاً ، وسمى كل موضوع بـ (حديقة) ، وكل حديقة تتكون من عشرة أبواب من فنون الآداب [1] ، إلا أنه في مكان آخر من كتابه (كنز الدرر) يشير إلى أن هذا الكتاب يشتمل على أربعة أجزاء[2] ، وكذلك عندما يتكلم عن أعرق الشعراء يؤكد أن شرح هذه الكلمة جاء في كتابيه الآخرين ، وهما (حدائق الأحداق و دقائق الحذاق) و (ذخائر الأخائر)[3] .

٤ / درر التيجان وغرر تواريخ الزمان :

ألف إبن الدواداري هذا الكتاب قبل كنز الدرر ، ولكن يأتي بعده من حيث الأهمية ، فيعد من المصادر المهمة و النادرة في القرن الثامن الهجري / الثالث عشر الميلادي ، وهو مجلد واحد ، ويعد كتاباً تأريخياً عاماً ، حيث يذكر التأريخ من بدايات الخلق إلى سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٢ م) ، وكذلك يعد من المصادر المفيدة في مجال علم التراجم ، حيث يضم تراجم الملوك و الأمراء و الوزراء و القضاة و العلماء و الأدباء و الشعراء وغيرهم[4] .

٥ / ذخائر الأخائر :

وهذا من كتب إبن الدواداري التأريخية المهمة ، سماه بـ (ذخائر الأخائر) باسم القاضي المرحوم فخرالدين ناظر الجيوش المنصورة ، إذ يتألف من ثلاثة أجزاء رئيسة في مجلد واحد ، ويبدأ كل جزء بكلمة الذخيرة ، الأول بإسم ذخيرة الدر الثمين في ذكر الأوائل و المتقدمين (أو الدر الثمين في أخبار الأمم المتقدمين) ، والثاني بإسم ذخيرة الياقوت البهرمان في تأييد تنزيل القرآن بالدلائل القاطعة و البرهان ، والثالث بإسم ذخيرة اللؤلؤ و المرجان في خصائص البلدان (أو درر العقيان في خصائص البلدان)[5].

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ٢٧٥ .

(٢) نفسه ، ٥ / ١٨٩ .

(٣) نفسه ، ٢ / ٤٧٨ .

(٤) نفسه ، ١ / ٢٧٦ .

(٥) نفسه ، ١ / ٢٧٥ ؛ ٥ / ١٩٤ .

٦ / الروضة الزاهرة في خطط القاهرة (أو اللقط الباهرة في خطط القاهرة) :

ألف إبن الدواداري هذا الكتاب بعد التفرغ من كتابه (كنز الدرر) ، إذ أشار إلى أنه بعد التفرغ من كتاب كنز الدرر سأكتب كتاباً و أسميه (الروضة الزاهرة في خطط القاهرة)[1] ، ولكن للأسف لم نحصل على هذا الكتاب ، إذ لم نجده في المكتبات ، ويبدو أنه لم يطبع لحد الآن ، وبقي مخطوطاً .

إستفاد إبن الدواداري في مؤلفه هذا و كنز الدرر أيضاً من كتاب (الروضة البهية في خطط القاهرة المعزية) للقاضي إبن عبدالظاهر ، لاسيما في الموضوعات التي لها علاقة بالعمران ، و عندما يتكلم عن عمران مدينة القاهرة [2] ، لذا فكر و خطر على باله أن يقدم خدمة لهذه المدينة ، وكان إبن الدواداري يرى أن كتاب إبن عبدالظاهر غير منسق من حيث التنظيم و غير مرتب [3] ، لذا بدأ بتأليف هذا الكتاب ، وأشار إلى عمران مدينة القاهرة وخططها بشكل أوسع ، و الموضوعات التي لم يتطرق إليها إبن عبدالظاهر تطرق إليها هو في كتابه [4] ، وفيما يخص عنوان الكتاب الذي يحمل عنوان كتاب إبن عبدالظاهر نفسه يمكن القول بأنه من باب الأخلاص و الأمانة و تشابه موضوعات الكتابين ، أو أراد أن يتمم عمل إبن عبدالظاهر ، لذا قرر إبن الدواداري أن يحمل كتابه عنوان كتاب إبن عبدالظاهر نفسه .

---

(١) كنز الدرر ، ٦ / ١٤٢ .

(٢) نفسه ، ٦ / ١٣٧ .

(٣) نفسه ، ٦ / ١٤٢ .

(٤) نفسه ، ٥ / ٢٧١ .

٧ / معادن الجوهر و رياض العنبر :

وهو من كتبه الأدبية في مجلد واحد ، ولاتتوفر لدينا معلومات كثيرة عن هذا الكتاب سوى ما أشار إبن الدواداري إليه في كتابه (كنز الدرر) ، بأنه يتكون من ثلاثة موضوعات رئيسة ، بداية كل عنوان تبدأ بكلمة (معدن) [١] .

٨ / النكت الملوكية إلى الدولة التركية :

يتألف هذا الكتاب من مجلد واحد ، ويعد من الكتب الأدبية ، وهو خاص بالطرائف و الحكم التي نطق بها سلاطين المماليك ، ويتكون من مجلد واحد[٢] .

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ٢٧٥ .

(٢) السخاوي ، المصدر السابق ، ص٢٤٢ – ٢٤٣ ؛ شاكرمصطفى ، التاريخ العربي و المؤرخون ، ٣ / ١٢٣.

الفصل الثاني

تعريف كتاب (كنز الدرر و جامع الغرر)

الفصل الثانـي

تعريف كتاب (كنز الدرر و جامع الغرر)

المبحث الاول

وصف الكتاب

أولاً . إسم الكتاب و تأريخ تأليفه :

سمى إبن الدواداري كتابه هذا بـ (كنز الدرر و جامع الغرر) ، بعدما جمع الأجزاء التسعة في كتاب واحد ، وبذلك إجتمعت الدرر[1] التسعة التي تبدأ بها عناوين هذه الأجزاء، ويشير في كتابه إلى ذلك و يقول : ((فلما إجتمعت هذه الدرر النفيسة والغرر الرئيسة ، سميت مجموع التأريخ بـ (كنز الدرر و جامع الغرر) ..)) [2]، ولا نبالغ إذا قلنا إن المؤرخ قد وفق لإختيار العنوان المناسب لكتابه ، فعندما يتصفح القاريء الكتاب يجد تناسقاً و تناغماً بين العنوان و المتن ، ويمكن القول بأنه يعد كنزاً من كنوز المكتبة التأريخية ، و الأجزاء التسعة من الكتاب هي :

١ . الدرة العليا في أخبار بدء الدنيا .

٢ . الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة .

٣ . الدر الثمين في أخبار سيد المرسلين و أخبار الخلفاء الراشدين .

٤ . الدرة السمية في أخبار الدولة الأموية .

٥ . الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية .

٦ . الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية .

---

(١) الدرة : تعني اللؤلؤة العظيمة ، و تجمع الكلمة على : (در) أو (درر) أو (درات) . ينظر : إبن منظور ، المصدر السابق ، ٣ / ٣٣٣ .

(٢) كنز الدرر ، ١ / ١١ .

٧ . الدر المطلوب في أخبار دولة بني أيوب .

٨ . الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية .

٩ . الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر .

وقد وضع إبن الدواداري عناوين فرعية أخرى مع هذه العناوين الأساسية التي تم إستعراضها ، ربط كل واحد منها بفلك من الأفلاك ، فقد سمى الجزء الأول بـ ((نزهة البشر من قسمة فلك القمر)) ، و الثاني بـ ((غلة الوارد من قسمة فلك عطارد)) ، و الثالث بـ ((المشرف بالقدرة من قسمة فلك الزهرة)) ، و الرابع بـ ((بغية النفس من قسمة فلك الشمس)) ، و الخامس بـ ((الذي كل سمع له مصيخ من قسمة فلك المريخ)) ، و السادس بـ ((الفائق من صحاح الجوهري من قسمة فلك المشتري)) ، و السابع بـ ((شهد النحل من قسمة فلك الزحل)) ، و الثامن بـ ((زهر المروج من قسمة فلك البروج)) ، و التاسع بـ ((الجوهر الأنفس من قسمة الفلك الأطلس)) [(١)].

والجدير بالذكر أن المؤرخ إبن الدواداري خصص كل جزء لذكر حقبة تاريخية معينة ، ففي حين يخص الجزء الأول لذكر بدء الدنيا ، و كل ما يخص بالتأريخ القديم ، نجد أنه خصص الجزء الثاني لذكر الأمم القديمة و جميع الأنبياء الذي أرسل إليهم ، والجزء الثالث خاص بالسيرة النبوية و ذكر سيرة خلفاء الراشدين ، فهو مخصص لذكر الدولة الإسلامية في العهدين النبوي و الراشدي ، و أما الجزء الرابع فهو خاص بذكر الدولة الأموية ، والخامس لذكر الدولة العباسية ، و السادس لذكر الدولة الفاطمية ، و السابع لذكر الدولة الأيوبية ، والثامن لذكر الدولة التركية (المماليك) ، والتاسع لذكر سيرة السلطان المملوكي الناصر محمد ، وكان إبن الدواداري لم يخف هدفه من هذا التقسيم و التخصيص في كتابه هذا ، كما يقول : ((إن العبد قد إقترح في تأليفه إقتراحاً أظن أنني لم

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ١٠ – ١١ ؛ شاكر مصطفى ، التاريخ العربي و المؤرخون ، ٣ / ١٢٤ .

أسبق إليه ، يظهر صحة الدعوى لكل واقف عليه ، وذلك أنني خصصت كل جزء من أجزائه التسعة بدولة من الدول))[1] .

ومما يتعلق بتأريخ تأليف الكتاب من قبل المؤرخ إبن الدواداري فانه بدأ به في بدايات ثلاثينات القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، وعلى هذا الأساس يمكن القول بإنه بدأ في الحقبة الثالثة من حكم السلطان الناصر محمد (٦٩٣ – ٧٤١ هـ / ١٢٩٥ – ١٣٤٣م) في دولة المماليك بمصر ، وكما نجد أنه تفرغ من الجزء الأول من الكتاب بتأريخ الثالث و العشرين من شهر ذي الحجة من سنة (٧٣٢ هـ / ١٣٣٤ م) [2].

أما تأريخ تفرغه من هذا الكتاب فيرجع إلى الأشهر الأولى من سنة (٧٣٦ هـ / ١٢٣٧م)، ويستنتج ذلك من خلال ما قرأنا في سنوات تفرغه من أجزاء الكتاب ، فإنه تفرغ من الجزء التاسع و الأخير في شهر محرم من سنة (٧٣٦ هـ / ١٢٣٧ م)[3] .

وتفرغ إبن الدواداري من الجزء الثاني في منتصف شهر ربيع الآخر من سنة (٧٣٣ هـ / ١٣٣٥ م)[4]، والجزء الثالث في السادس و العشرين من شهر ذي القعدة سنة (٧٣٣ هـ / ١٣٣٥ م) [5]، والرابع في السابع عشر من محرم سنة (٧٣٤ هـ / ١٣٣٥م)[6]، والخامس فى الخامس من شهر ربيع الأخر من سنه (٧٣٤ هـ / ١٣٣٦ م) [7]، والسادس في العشرين من شهر جمادى الآخرة من سنة (٧٣٤ هـ / ١٣٣٦ م) [8]، و السابع فى السابع من شعبان سنة

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ١٠ .

(٢) نفسه ، ١ / ٤٠٢ .

(٣) نفسه ، ٩ / ٤٠٢ .

(٤) نفسه ، ٢ / ٥٣٧ .

(٥) نفسه ، ٣ / ٤٢٣ .

(٦) نفسه ، ٤ / ٥٢٦ .

(٧) نفسه ، ٥ / ٤٤١ .

(٨) نفسه ، ٦ / ٦٠٤ .

(٧٣٤ هـ / ١٣٣٦ م) [١] ، والثامن في العشرين من شهر ذي القعدة من سنة (٧٣٤ هـ / ١٣٣٦ م) [٢].

ثانياً . دوافع تأليفه :

لابد أن يكون في كل عمل دوافع و أهداف للوصول إلى المطلوب ، ولاسيما الكتابة التأريخية فإنها إحدى المجالات التي تتطلب دوافع عديدة ، فمن البديهي إذاً أن يكون للمؤرخ إبن الدواداري ميول و أهداف أيضاً جعلته يتحول إلى مجال الكتابة و عالم الفكر و الثقافة ، بعد أن كان من رجال الدولة ، وكان يعمل في مجال السياسة و الإدارة ، ومن أهم تلك العوامل التي ساعدته على ذلك :

١ . عوامل ذاتية :

يعد عامل الرغبة من أهم العوامل التي يدفع الإنسان بالقيام بأي عمل ، ومما سبق الإشارة إليه في الفصل الذي يتعلق بحياة المؤرخ إلى أنه كان محباً للقراءة و الكتابة منذ صغره ، وكذلك كان محباً للأدب ، وفي مدة حكمه في صرخد كان دائماً يهتم بالمفكرين و الأدباء والشعراء ، ويشاركهم في مجالسهم الفكرية و الأدبية ، مما جعله يتعلق كثيراً بهذا المجال[٣] .

٢ . عوامل أسرية :

وكما أشير سابقاً كان للأسرة دور كبير في تربيته و تشجيعه على ذلك ، ولاسيما والده الذي رباه منذ طفولته على حب القراءة و المطالعة ، فهيأ له مكتبة في بيته زاخراً بالكتب القيمة ، وكذلك مرافقته إلى كثير من المجالس و المناسبات [٤]، ومن البديهي أن

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٤٠٦ .

(٢) نفسه ، ٨ / ٤٠٠ .

(٣) نفسه ، ١ / ٦ – ٧ .

(٤) نفسه ، ٧ / ٢١٨ ؛ ٩ / ١٧٩ .

الأسرة يلعب دوراً مهماً و ضرورياً لغرس حب القراءة و المطالعة لدى أبنائهم ، ويكرس الجانب الفكري و الثقافي و العقلي في الإنسان من البداية في البيت أولاً ، ثم يأتي بعد ذلك دور الأصدقاء و المجتمع و المدرسة في تربية الإنسان ، وتوجيه إلى عالم الفكر و العلم أو إلى عكس ذلك.

٣ . مصاحبة العلماء و المفكرين :

وكان للعلماء و المفكرين و رفاقه دور مهم يحثه على توجهه نحو عالم الفكر ، ولاسيما الذين يجتمعون عنده لتبادل الآراء فيما بينهم ، وشارك إبن الدواداري في كثير من مجالس فكرية مع العلماء و الأدباء ، وتبادل الآراء معهم في كثير من الموضوعات (١).

٤ . المحافظة على تأريخ مصر :

ومن الدوافع الأخرى التي شجعت إبن الدواداري على تأليف هذا الكتاب هو إهتمامه الكبير بتأريخ مصر ، فكل موضوع من كتابه يبرز الأمور التي تتعلق بتأريخ هذا البلد ، ويلاحظ أن جل موضوعاته في جميع أجزاء الكتاب يتعلق ببلاد مصر ، ولهذا يعد من الكتب الخاصة بتاريخ مصر على مرور العصور التاريخية ، ويمكن القول أن سبب ذلك يعود إلى كونه عاش معظم حياته فيه ، فكان عارفاً بأمور هذا البلد ، وكذلك كان مصر مركز حكم المماليك ، وأراد إبن الدواداري أن يتقيد بالنظام الذي كان سائداً في الكتابة التأريخية في عهد المماليك ، ومن الناحية الأخرى فهو كان بعيداً عن المناطق الأخرى في العالم الإسلامي ، ولكن مع ذلك لم يهمل ذكر تاريخ هذه المناطق ، بل أشار إليهم ولو بشكل موجز و مختصر .

٥ . توثيق و حفظ تأريخ المماليك :

حاول إبن الدواداري أن يوثق و يحفظ تأريخ المماليك ، وإبراز دورهم في التأريخ ، فقد خصص الجزأين الثامن و التاسع من كتابه لذكر دولة المماليك ، ولعل علاقته الجيدة

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ٧ ؛ ٧ / ٢١٨ ؛ ٩ / ١٧٩ – ١٨١ .

بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون دفعه إلى التفكير بتخصيص الجزء التاسع من كتابه لذكر تأريخ المماليك في مدة حكم هذا السلطان ، لذلك قال : ((السلطان الملك الناصر أبو المعالي والمفاخر ، الذي ليس له من قبله من الملوك الإسلامية مناظر ، المستمد النصر من الناصر الآخر ، الذي وضع جميع هذا التأريخ توطئة لذكر بعض محاسن سيرته)) .

ثالثاً . أجزاء الكتاب و تحقيقه :

يحتوي كتاب (كنز الدرر و جامع الغرر) على تسعة أجزاء ، ومما تجدر الإشارة إليه أن بعضاً من أجزاء الكتاب طبع في القاهرة ، وبعضها الآخر طبع في بيروت ، فقام بطبعه المعهد الألماني للآثار في القاهرة و بيروت ، كل جزء من الكتاب قام بتحقيقه شخص معين أو شخصان ، ففي سنة (١٩٦٠ م) قام الباحث الألماني (هانس روبرت رومر) بتحقيق الجزء الأخير من الكتاب ، والذي يسمى بـ (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) ، ولإتمام هذا العمل ساعده كثيرون ، كما يشير هو إليهم و يشكرهم واحداً تلو الآخر [1].

أما في عام (١٩٦١ م) فقد قام الباحث صلاح الدين المنجد بتحقيق الجزء السادس من الكتاب ، والمسمى بـ (الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية) ، ويبدو أن فكرة تحقيق الكتاب بدأت أولاً من قبل الباحث ، كما يشير إليه هو حين يقول : ((في عام (١٩٥٨ م) إقترحت على الأستاذ هانس رومر ، وكان يومئذ في المعهد الألماني للآثار بالقاهرة ، أن ينشر المعهد سلسلة من النصوص التأريخية المتعلقة بمصر الإسلامية ، و دللته على كتاب كنز الدرر لإبن الدواداري ، و بينت له أنه مصدر من الطراز الأول ، ولاسيما فيما يتعلق بعصره ، وقد إستجاب الأستاذ رومر ، ثم المعهد إلى إقتراحي ، واتفقنا أن نحقق الكتاب معاً ، وكان إهتمام الأستاذ رومر بالجزأين الثامن و التاسع ،

---

(١) كنز الدرر ، ٩ / هـ . و .

المتعلقين بالعصر المماليكي ، وصرفت عنايتي إلى الجزأين السادس و السابع المتعلقين بالفاطميين و الأيوبيين)) ، وبعد إكماله شكر رومر و الذين ساعدوه[1] .

فقام الباحث (أولرخ هارمان) في سنة (١٩٦٦ م) بتحقيق الجزء الثامن من الكتاب، والمسمى بـ (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية) ، وكان ذلك عندما طلب من رومر مصدراً عن كتابة التأريخ في العهد المملوكي الأول ، فأعطاه هذا الجزء من الكتاب حتى يستفيد منه في أطروحة الدكتوراه التي كان يقدمها لجامعة فرايبورج ، والذي أعطاه كان نسختين واحدة مصورة و الأخرى مستنسخة عن النسخة الأصلية ، لكي يقوم بتحقيقه بعدما يكمل دراسته ، فلما تفرغ هو من دراسته قام بتحقيق ذلك ، كما يشير إلى ذلك ويقول : ((إغتنمت الفرصة التي أتيحت لي بعد إتمام دراستي للعمل على نشر هذا الجزء ، وبدأ به في سنة (١٩٦٩ م) و أكمله في عام (١٩٧١ م) [2] .

وفي سنة (١٩٧٢ م) قام الباحث سعيد عبدالفتاح عاشور بتحقيق الجزء السابع ، والمسمى بـ (الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب) ، وكان ذلك بتكليف من رومر أيضاً، وأعطي وعداً بطبع الكتاب حال الإنتهاء منه [3] .

وأما الباحث (بيرند راتكه) فإنه قام بتحقيق الجزء الأول من الكتاب ، و المسمى بـ (الدرة العليا في أخبار بدء الدنيا) ، بدأ به في خريف سنة (١٩٧٩ م) ، وانتهى منه في تموز سنة (١٩٨١ م) في القاهرة ، وقام بهذا العمل بتشجيع من مدير المعهد الألماني للأثار هانس روبرت رومر ، بعدما أعطى له وعداً بأن يطبع له هذا الجهد بعدما يكمله ، والباحث شكره كثيراً مقابل هذا الشرف الذي منحه له ، وكذلك الذين ساعدوه في تنفيذ هذا العمل[4] .

(١) نفسه ، ٦ / ٥ – ٦ .

(٢) كنز الدرر ، ٨ / هـ ـ و .

(٣) نفسه ، ٧ / ل .

(٤) نفسه ، ١ / هـ ـ و .

وقام الباحث العربي محمد السعيد جمال الدين بتحقيق الجزء الثالث من الكتاب ، و المسمى بـ (الدر الثمين في أخبار سيد المرسلين و الخلفاء الراشدين) ، و أبدى شكره و عرفانه أيضاً إلى رومر بعدما منح له ثقته ليقوم بهذا العمل ، وقد أكمل عمله في شهر آذار من سنة (١٩٨١ م) (١) .

وقد تم تحقيق الجزء الخامس من الكتاب ، والذي سمي بـ (الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية) ، من قبل الباحث دوروتيا كرافولسكي ، وكان هو أيضاً كلف بهذا العمل من قبل رومر لذلك شكره والذين ساعدوه ، وتمكن من إكماله عام (١٩٩٢ م) (٢).

و أما الجزء الثاني الذي يسمى بـ (الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة) فقام بتحقيقه الباحث إدوارد جدين ، وكان هذا الشخص قد قام بهذا العمل أيضاً بتشجيع و مساعدة رومر ، ولذلك نرى أنه بعدما أكمل عمله في الأول من نيسان سنة (١٩٩٤ م) شكر رومر كثيراً على مساعدته له ، وقال : ((أود أن أبدأ هذا التصدير بالتعبير عن شكري الجزيل للأستاذ هانس روبرت رومر ، رئيس إتحاد المستشرقين الألمان سابقاً و مؤسس المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت ، الذي أوكل إلي تحقيق ((الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة)) ، وهو الجزء الثاني من كتاب ((كنز الدرر و جامع الغرر)) لإبن الدواداري المتوفى بعد سنة (٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م) الذي قدم لي كل مساعدة ضرورية لإنجاز هذا العمل))(٣).

و أما الجزء الرابع الذي سمي بـ (الدرة السمية في أخبار الدولة الأموية) فقام الباحث إريكا غلاسن بتحقيقه ، إلا أنه لم يتمكن من إكماله ، فقام بهذا العمل بعده الباحث جونهيلد غراف ، وتمكن من إكماله في سنة (١٩٩٤ م) (٤).

---

(١) كنز الدرر ، ٣ / هـ ـ ح .

(٢) نفسه ، ٥ / أ .

(٣) نفسه ، ٢ / أ ـ ج .

(٤) نفسه ، ٤ / أ .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم يتم تحقيق أجزاء الكتاب وفق التسلسل من الأول و إلى الأخير ، بل بدأوا بالجزء الأخير وهو التاسع ، ثم السادس ، ثم بقية الأجزاء ، ولا أدري هل يعود ذلك إلى رغبة المحققين في الجزء الذي يرغب به و يراه مهماً ، أم عدم الحصول على النسخ الخطية الأخرى إلا في فترات لاحقة .

ومن ناحية حجم الكتاب لابد من الإشارة إلى أن الكتاب له حجم كبير بأجزائه التسعة ، ولكن يختلف كل جزء عن الآخر من ناحية حجمه ، فأكبر الأجزاء حجماً هو الجزء الثاني ، الذي يتكون من (٦٨٩) صفحة ، وأما أصغرها حجماً فهو الجزء السابع ، الذي يتكون من (٤٥٤) صفحة ، و أما أحجام بقية الأجزاء فهي كالآتي : الجزء الأول يحتوي على (٤٩٧) صفحة ، والجزء الثالث على (٤٧٦) صفحة ، و الجزء الرابع على (٦٧٤) صفحة ، والجزء الخامس على (٥٠٤) صفحة ، والجزء السادس على (٦٧٦) صفحة ، والجزء الثامن على (٤٩٦) صفحة ، والجزء التاسع و الأخير على (٥٠٦) صفحة .

المبحث الثاني

محتويات الكتاب

يعد كتاب (كنز الدرر و جامع الغرر) من الكتب التأريخية العامة ، فيبدأ بذكر التأريخ من الخليقة وتنتهي بعصر المؤلف ، ويمكن أن ندرجه ضمن مذهب التأريخ الشامل أو الكلي [1]، ويوجد كثير من المؤرخين وضعوا كتبهم التأريخية على هذا المنوال، ولم يخصصوها لموضوعات خاصة أو لمدد محددة من الزمن ، و إنما تكلموا عن التأريخ من القديم إلى عصورهم ، وبشكل شامل و كلي لأن في رأيهم أن الأشياء و العلوم كلها لها تأثير على الحركة التأريخية ، ومن الذين إنتهجوا هذا الأسلوب في الكتابة التأريخية الطبري (ت ٣١٠ هـ) في كتابه تاريخ الرسل و الملوك ، و المسعودي في كتابه مروج الذهب، و إبن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) في كتابه المنتظم ، و إبن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) في كتابه الكامل في التاريخ ، و سبط إبن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ) في كتابه مرآة الزمان في تاريخ الأعيان .

وقد يوجد التنوع والشمولية في مضامين الكتاب ، ولم يترك إبن الدواداري مجالاً أو علماً لم يتكلم عنه ، ولكن ليس بشكل تفصيلي و طويل ، وإنما حاول قدر الإمكان أن يكون كلامه مقتضباً عن الأشياء ، وأحد أسباب ذلك يعود إلى أنه أراد أن لايترك موضوعاً لم يورده في كتابه ، ومن أهم مواضيع كتابه :

١ . البدء بذكر الله سبحانه و تعالى :

إستفتح إبن الدواداري كتابه بالحمد و الشكر ، ثم الثناء لله تبارك و تعالى ، ثم الصلاة على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ثم بعد ذلك بدأ بأول موضوع في كتابه وهو : (تنزيه الباري عز وجل و ذكره و تعظيمه) ، وذكر فيه كل شيء يتعلق به جل

---

(١) مذهب التأريخ الشامل أو الكلي : يعني دراسة شاملة للحقبة التي ندرسها ، فأتباع هذا المذهب كلهم يدونون التأريخ وفق نظام شامل أو الكلي ، فإذا كنت مثلاً تدرس موضوع ما في عصر الدولة الأيوبية ، فلابد لك أن تدرس الدولة الأيوبية دراسة كاملة من كل نواحيها . ينظر : حسين مؤنس ، التأريخ و المؤرخون ، دار الرشاد ، القاهرة ، ١٩٨٤ م ، ص١٩٨ .

جلاله ، المنزه عن الأوهام الذي لا تدركه الأبصار ، ثم أورد حديثاً نبوياً عن خير الأنام ، وشرح لنا معنى ذكر الله سبحانه وتعالى ، وكيف يكون ذكر الله ، وبين أهميته في حياتنا اليومية ، وأشار إلى الأذكار المستحبة وهي : (التسبيح) و (التحميد) و (التكبير) [1] .

وقد بين إبن الدواداري سبب إختياره الموضوع ، ووضعه في بداية كتابه ، بأنه يريد من هذا الموضوع البركة و الخير لكتابه ، كما يقول : ((و إنما قدمت في أول هذا التأريخ هذه المقدمة للبركة بما في مجموعها من معاني ذكر الله عزوجل)) [2] . وهذا يعطينا تصوراً بأن إبن الدواداري كان شخصاً متديناً ، وأن التمسك بذكر الله هو من سمة المتقين و الأصفياء في الدين ، وبين سبحانه و تعالى في كتابه العزيز فضل الذكر بقوله : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً و قعوداً وعلى جنوبكم ﴾ [5] ، و يشير العالم الديني الإمام الغزالي إلى أن إبن عباس يفسر هذه الآية القرآنية ، ويقول : ((أي بالليل و النهار ، في البر و البحر ، والسفر والحضر ، والغنى و الفقر ، والمرض و الصحة ، والسر و العلانية)) [6] .

٢ . تنزيه الخالق جل جلاله :

وبعد ذلك يأتي على ذكر من هو خالق هذا الكون ، ثم تكلم عن جميع المخلوقات من بداياتها إلى أن يصل إلى ذكر خلق آدم (عليه السلام) و الأنبياء و المرسلين (عليهم السلام) ، فأشار إبن الدواداري إلى دلائل كثيرة ، وذلك من خلال تكلمه عن خلق العالم و إثبات خالقه ، وذكر بدء الدنيا و خلق الأشياء ، ويروي لنا رواية إبن الجوزي عن هذا

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ١٢ – ١٣ .

(٢) نفسه ، ١ / ١٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٥٢) .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية (٤١) .

(٥) سورة النساء ، الآية (١٠٣) .

(٦) إحياء علوم الدين ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م ، ١ / ٣٥٣ .

الموضوع ، وكذلك أحد أقواله عندما يقول : ((قرأت أربعة و عشرين كتاباً في التوحيد ، فوجدت معانيها كلها في قوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ [1])) [2]، ثم أشار إلى أن الله سبحانه و تعالى لايشبه بأي من مخلوقاته في الصفات ، فأن الله عزوجل لم يكن له ولد و لايولد ، ولا ينام ، وليس للباريء عز و جل جسم [3] ، ويؤكد إبن الدواداري هنا على قوله سبحانه و تعالى عندما يقول : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد و لم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾ [4] .

ويختم إبن الدواداري كلامه عن ذكر الخالق بالإشارة إلى مقالة المؤرخ إبن الجوزي في هذا الموضوع ، وذلك تحت عنوان : (ذكر أول مقامة من مقامات إبن الجوزي يليق ذكرها هاهنا) ، التي ذكر فيها دلائل وجود الله و إثبات الخالق ، ومنها التفكير في مخلوقات الله ، بدءاً بالتفكير فيما خلق أنفسنا كالدماغ و آلة النطق (اللسان) و آلة السمع (الأذنين) و آلة المشي (الرجلين) ، وجميع ماهو في بطن الإنسان ، ثم التفكير في المخلوقات الأخرى الأرض وما عليها و ما في داخلها ، والحبوب وكيف يستفيد منها الإنسان و البهائم ، و الأشجار ، و الحطب ، و الأثمار ، و الفواكه ، و الشمس ، و القمر ، و الكواكب ، و النار ، و الهواء ، و إلخ [5] .

٣ . مسألة الخلق :

ثم يبدأ إبن الدواداري بالكلام عن التأريخ و ذكر الحوادث ، ففي البداية يذكر خلق السموات العلويات و بدء الدنيا ، ثم أشار إلى بدايات الأشياء التي خلقت فيها ، وأنها القلم و الماء و النور و الظلمة و العرش و الكرسي و اللوح المحفوظ ، و تكلم عن خلق الزمان و

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٢٢) .

(٢) إبن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا و مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ م ، ١ / ١١٥ – ١٢٠ .

(٣) كنز الدرر ، ١ / ١٤ – ١٨ .

(٤) سورة الإخلاص ، الآية (١ – ٣) .

(٥) كنز الدرر ، ١ / ١٨ – ٢٤ .

أيام الأسبوع ، وكذلك أشار إلى وجود خلاف بين العلماء في مسألة خلق السموات و الأرض أيهما أسبق ، هل أن السموات خلقت قبل الأرض أم بالعكس ، ثم ماهية لون السموات هل هي بيضاء أم خضراء ، وكيف خلقت السموات السبع ، ثم يذكر أبواب السماء ، ومسألة هل أن السموات ثابتة أم تتحرك ، ثم يأتي بعد ذلك على ذكر الأفلاك و البروج و الكواكب[1].

ومن المخلوقات الأخرى في السموات العليا التي أشار إليها إبن الدواداري في كتابه فصول السنة الأربعة : الربيع و الصيف و الخريف و الشتاء ، و الرياح الأربع : الشمال و الصبا و الدبور و الجنوب ، وماهي المسافة بين السماء و الأرض ، وخلق الشمس و القمر و النجوم و الكواكب الثابتة والسيارة ، ثم يذكر الأشياء التي خلقت في بدايات الخلق في السماوات العليا ، وهي : البيت المعمور و سدرة المنتهى و شجرة طوبا و العرش العظيم و الكرسي الكريم ، وبعد ذلك يأتي على ذكر الملائكة المقربين و الروحانيين و الكروبيين ، ثم الجنة و النار [2] .

وبعدما ينتهي من كلامه عن ذكر مخلوقات السموات العليا يأتي على ذكر مخلوقات الأرض و بدايات ما خلق فيها ، ففي البداية يتكلم عن معنى الأرض ، وأصل تسميتها وكيفية خلقها ، ومدة تصويرها و تكوينها ، وأين هو مكان الأرض ، وهل أن الأرض ثابتة أو متحركة ، ثم يذكر الأشياء التي خلقت في البداية على الأرض ، فمن الجبال جبل أبي قبيس[3] ، و من البيوت البيت الحرام ، وفي النهاية يتكلم عن مساحة الأرض و مقدار طولها و عرضها [4] .

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ٢٤ – ٤١ .

(٢) نفسه ، ١ / ٤٢ – ٨٠ .

(٣) جبل أبي قبيس : وهو جبل مشرف على مكة من شرقيها . ينظر : سبط إبن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ١ / ٩٣ ؛ إبن سباهي زاده ، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان و الممالك، تحقيق : المهدي عيد الرواضية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٨ م ، ص١٢٨ .

(٤) كنز الدرر ، ١ / ٨١ – ٩٦ .

٤ . ذكر الأقاليم السبعة القديمة :

ويشير إبن الدواداري إلى أن العالم في القديم كان يتكون من سبعة أقاليم ، هي : الهند و الحجاز و بابل و مصر و الروم و الترك و الصين ، و أما الأمم الساكنة فيها ، فهم : الهند و السند و العرب و الفرس و الروم و الترك و الصين ، ثم يأتي بعد ذلك على ذكر المدن القديمة في الأقاليم السبعة ، ففي بلاد الحجاز : يثرب مدينة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ، والتي تغير إسمها بعدما هاجر النبي مع المسلمين إليها إلى المدينة المنورة ، وكذلك مدن : صنعاء ، و حضرموت ، و قطام ، و ظفار ، وفي بلاد العراق : بابل ، و الأنبار ، وفي بلاد الجزيرة الفراتية : نينوى (الموصل) ، و نصيبين ، و ميافارقين ، و آمد ، و حران ، وفي بلاد الهند : سامل ، و مورين ، و خالون ، و مهنديار ، و قشمير ، و غزنة ، وفي بلاد الروم : قيسارية ، و عمورية ، و القسطنطينية ، و رومية ، وفي بلاد الصين : الفنصورة ، و ثبت ، وفي بلاد خراسان : نيسابور ، و هراة ، و بلخ ، و الري ، و مرو ، و كابل ، و فرغانة ، وفي بلاد مصر : منف ، و الإسكندرية [١] .

وكذلك أشار إبن الدواداري إلى أن بلاد الشام في القديم كانت تتكون من خمس كور هي : قنسرين : ومن مدنها العظيمة حلب و حمص ، و الغوطة : و من مدنها دمشق ، و الأردن : ومن مدنها العظيمة طبرية[٢] التي تقع على ساحل البحيرة ، و الرملة : ومن مدنها الكبيرة فلسطين وبيت المقدس و عسقلان و غزة ، و البلاد الساحلية[٣] .

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ٩٧ – ١٢٨ . ينظر إلى خارطة رقم (٣) و رقم (٤).

(٢) طبرية : وهي من إحدى مدن الأردن الحالية ، وتبعد عن بيت المقدس تسعين ميلاً ، يطل على بحيرة تعرف ببحيرة (طبرية) ، وبجانب جبل الطور . ينظر : إبن خرداذبة ، المسالك و الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٩ م ، ص٧٨ – ٧٩ ؛ الاصطخري ، المصدر السابق ، ص٥٨ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ١٧ .

(٣) كنز الدرر ، ١ / ١١٠ – ١١٩ .

٥ . الجبال :

ثم يأتي بعد ذلك على ذكر جبال هذه الأقاليم السبعة ، فأشار إلى عدد منها[١] ، فمن جبال بلاد الحجاز وهي : أحد ، وإضم ، وتعار ، وثبير ، وثور ، ونهال ، وجمدان ، وحبشي ، والحجون ، وحراء ، وحزازة ، وحضن ، ودمان ، ووران ، وجيم ، وجرجان ، و رضوى ، وساقى دما ، والستار ، و سلع ، و شابة ، و شامة ، و شمام ، و عاقل ، و ضجنان ، والظهران ، و العرج ، و عسيب ، و عير ، و عينين ، و غرب ، و غزوان ، و لعلع ، و المحصب ، و الجمار ، و مخاشن ، و نعمان ، و يذبل ، و قطن ، ورأس الجمجمة ، و شعبان ، وجبال بلاد الجزيرة الفراتية وهي : الثنين ، والجودي ، و شعران ، و يلملم ، و اللكام[٢] ، و جبال بلاد الشام وهي : الثلج ، و قاسيون ، و قدس ، و لبنان ، و ق ، و جبال بلاد المشرق وهي : دنباوند ، و الفتح ، ومن جبال بلاد مصر : جبل المقطم[٣] .

٦ . العقاب :

ثم يذكر العقاب في الأقاليم السبعة القديمة ، وهي : عقبة سرنديب ، و عقبة الهند ، و عقبة الصين ، و عقبة ساوة ، و عقبة همدان (همذان) ، و عقبة حلوان ، وعقبة هرشي ، و عقبة أيلة ، و عقبة فيق ، و عقبة شجر ، و عقبة الكرسي ، ويشير أيضاً إلى أنه توجد في خراسان و الري و اليمن و لبنان عقاب كثيرة ، ولكن لم يذكر أسماءها . وفيما يخص

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ١٢٩ – ١٥٣ .

(٢) جبل اللكام : تقع هذا الجبل بين ثغور الشام و ثغور الجزيرة ، وهو الفاصل بينهما ، وهذا الجبل داخل في بلاد الروم، ويتصل بجميع جبال هذا البلد . ينظر : الاصطخري ، المصدر السابق ، ص٥٦ ؛ إبن حوقل ، صورة الأرض ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د . ت . ، ص١٥٤ .

(٣) جبل المقطم : جبل يقع في بلاد مصر ، وهو متصل بجبل الزمرد ، ويذكر أنه كان في أعلى جبل المقطم مطبخ فرعون ، وبنيت فيه المساجد ، والناس يقصدونها ليالي الجمع و يتهجدون فيها . ينظر : إبن رسته ، الأعلاق النفيسة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت . ، ص١١٢ . ينظر إلى خارطة رقم (٢) .

الرمال يشير إلى أنها كثيرة ، ولكن يذكر فقط عدداً منها ، وهي : الأحقاف ، و زرود ، و الغرابي ، و الهبير [1] .

٧ . القلاع و الحصون :

ثم يتطرق بعد ذلك إلى ذكر القلاع و الحصون في الأقاليم السبعة ، ففي بلاد الجزيرة الفراتية قلعة ماردين ، وفي بلاد الشام عدد من القلاع ، هي : حلب (وتعرف أيضاً بقلعة الشهباء) ، و حمص ، وحماه ، وبعلبك ، ودمشق ، وصرخد ، وعجلون ، والكرك ، والشوبك ، و القدس ، وكوكب ، والطور ، وتنين ، وهونين ، وعكا ، و طرابلس ، وفي بلاد فارس : سليمان ، و انطرور ، و دبول ، و كردكوه ، وفي خراسان : نيزك ، و باب الأبواب ، وفي بلاد مصر قلعة الجبل ، ثم أشار إلى أنه توجد قلاع كثيرة و حصينة في بلاد أرمينيا ، ولكن دون أن يتطرق إلى ذكر أسمائها [2].

٨ . البحار :

ثم ينتقل بعد ذلك إلى موضوع آخر هو ذكر البحار ، ففي البداية يتكلم عن معنى البحر ، ثم يذكر لنا عدد البحار التي كانت موجودة في العالم في الزمان القديم ، وبعد ذلك يتكلم عن بحرين مشهورين هما البحر الشرقي و البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط الحالي) ، من حيث نشأتهما و تكوينهما و بدايات جريانهما ، وعرض و طول هذين البحرين ، وغرائب و عجائب ما في هذين البحرين ، ثم يشير إلى مسألة مباديء البحار ، وجزائر هذين البحرين ، ففي البحر الشرقي توجد هذه الجزائر : الوقواق ، و الراهب ، و فيتلو ، و سرنديب ، و فنصورة ، و برطايل ، و سقطرة ، وجزائر باب الأبواب وهي : بزاة بينس ، وبزاة الشهب ، أما جزائر البحر الرومي ، وهي : الأندلس و صقلية و قبرص

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ١٥٤ – ١٥٥ .

(٢) كنز الدرر ، ١ / ١٥٦ – ١٥٩ .

و جنوا ، ثم يتبع ذلك بذكر المد و الجزر في البحار ، ويبين كيفية ظهورها ، وأسبابها و ووقت حدوثها و مدة دوامها[١] .

٩ . العيون و الأنهار :

ثم يأتي على ذكر العيون و الأنهار ، و أشار إلى أنه يوجد في بلاد المشرق تل ، يخرج منه ألف عين تقريباً ، يطلق عليها العرب ركوب ، التي تعني الماء المقلوب ، ثم يتكلم بعد ذلك عن الأنهار ويبدأ بذكر نهر النيل ، وخصص أكبر مساحة لذكر هذا النهر في كتابه ، وفضلاً عن ذلك إستفتح كل سنة بذكر مقياس نهر النيل في هذه السنة ، قبل أن يبدأ بالتكلم عن الحوادث التأريخية ، ووضع له عنواناً ثابتاً على رأس كل سنة وهو (النيل المبارك في هذه السنة) ، وبعد ذلك يأتي على ذكر الأنهار الأخرى ، ففي العراق (أرض السواد) : الفرات ، و دجلة ، و سورا ، و الملك ، و الخالص ، و ديالى ، و فم الصلح[٢] ، والنيل ، و عيسى ، و دجيل[٣] ، وفي بلاد الجزيرة الفراتية : بلخ ، و خلاط (وهو نهر حران) ، و الهرماس (وهو نهر نصيبين) ، و الخابور ، وفي بلاد الهند : سيحون[٤] و جيحون ، وفي بلاد الشام : يزيد ، و نورا ، و باناس (وهو نهر الجامع الأموي) ، و القنوات ، و المزة ، و العاصي (وهو نهر حماه) ، و قويق (وهو نهر حلب) [٥] .

١٠ . البحيرات :

---

(١) نفسه ، ١ / ١٥٩ – ١٨١ .

(٢) فم الصلح : وهو نهر كبير فوق مدينة واسط شرقي نهر دجلة ، فكانت يعرف أيضاً بنهر ميسان . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٢٧٦ ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص ٣٥٨ – ٣٥٩ .

(٣) دجيل : إسم نهر يخرج من أعلى بغداد ، فيسقي كورة واسعة و بلاد كثيرة ، ثم تصب فضلته في نهر دجلة أيضاً . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٤٤٣ .

(٤) سيحون : إسم نهر كبير في بلاد ما وراء النهر ، وهو في حدود بلاد الترك . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٢٩٤ .

(٥) كنز الدرر ، ١ / ١٨٤ – ٢٠٨ .

ومن ثم ذكر إبن الدواداري عدداً من البحيرات التي كانت موجودة في القديم ، وهي : ساوة ، و أرمينية ، و الروم ، و القدس ، و فامية ، و دمشق ، و طبرية ، و زغر ، و تنيس ، ثم يأتي بعد ذلك على ذكر طبائع الأزمان ، وذكر سكان الأرض من أول الزمان ، وذكر من ملكها و قطع سبلها و سلكها ، وذكر الجن ، و ذكر الزهرة و هاروت و ماروت ، و ذكر إبليس و أولاده ووجنوده ، وذكر الأمم المخلوقة ، و ذكر النار ، و ذكر من تحت الأرض من السكان ، وذكر المنظوم و المنثور في الأثمار [١].

١١ . ذكر أشهر الأمم و معرفة التأريخ :

وقد وضع إبن الدواداري في كتابه (كنز الدرر) عنواناً يعد من أهم الموضوعات الواردة فيه ، وهو عنوان : (ذكر أشهر الأمم و معرفة التأريخ) ، ففي البداية ذكر أشهر هذه الأمم : العرب و الروم و الفرس و الأقباط ، ثم أتى بعد ذلك على تعريف الوقت و التأريخ[٢] .

وبعد إنتهائه من ذكر الخالق و المخلوقات ينتقل إلى موضوع آخر وهي (ذكر إنقضاء مدة العالم و إبتدائه و اختلاف العلماء في ذلك) ، ويتكلم في مدة تكوين و خلق هذا الكون و العلم ، ويبين خلال ذلك أنه يوجد إختلاف بين العلماء في هذه المسألة ، ويورد في هذا الخصوص آراءهم و أفكارهم فيها [٣].

١٢ . سيرة الأنبياء و المرسلين (عليهم السلام) :

يبدأ إبن الدواداري ذكره عنهم بأبي الأنبياء آدم (عليه السلام) ، ويخصص له مساحة كبيرة من كتابه لذكر سيرته و حياته ، فيشير إلى أصل إسمه و كنيته ، و مسألة

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ٢٠٤ – ٢٧٥ .

(٢) نفسه ، ١ / ٨٤ – ٩٣.

(٣) نفسه ، ٢ / ٨ – ١٦ .

خلقه و خلق حواء من ضلعه ، وإغرائهما من قبل الشيطان ، ونزولهما إلى الأرض ، ومسألة الخلافة على الأرض ، والروح [1] .

ثم يأتي بعد ذلك على ذكر أولاد آدم (عليه السلام) ، وهم : قابيل بن آدم ، وما كان من أمره بعد أن قتل أخاه هابيل ، و شيث بن آدم ، و أنوش بن شيث بن آدم ، و قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ، و برد بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ، و أخنوخ وهو إدريس النبي ، و متوشلح بن إدريس ، و لامك أبو نوح . و النبي نوح ، و أولاده الثلاثة وهم : (سام و حام و يافث) ، و ما ولد كل إنسان منهم من الأمم [2] .

ومن أولاد حام بن نوح ، وهم : كنعان بن حام و أولاده و شعوبه و الفراعنة منهم ، ثم ذكر لنا ملوك مصر من ولد حام ، و ذكر يافث بن نوح و أولاده ، و قبائلهم و شعوبهم و أخبارهم ، فذكر يأجوج و مأجوج ، و السد الذي أنشأه ذو القرنين على ياجوج و مأجوج ، و الصقالبة ، واليونانيون الأولون من ولد يافث بن نوح ، ومملكة الروم ، وملوك الصين من ولد يافث ، و الإفرنج ، و مملكة الأندلس ، و مملكة الترك ، و مملكة خراسان [3] ، و بعد ذلك يأتي على ذكر سام بن نوح و أولاده ، ثم يأتي على ذكر قوم عاد ، و ذكر الكهان القديمة بمصر من قبل الطوفان ، وذكر الكاهنة و ما صنعت من العجائب في وقتها ، و ذكر الأهرام و أول من بناها و السبب في ذلك و ما فيها من العجائب ، وذكر ملوكاً من ولد سوريد و إتصال بعضهم ببعض إلى آخر وقت ، و ذكر الكهان من بعد الطوفان إلى حين خراب مصر ، و ذكر ملوك مصر بعد الطوفان من وجه آخر ، وهم : الوليد بن دومغ أول الفراعنة بمصر ، و نهراوس ، و دريوش ، و مقاريوس ، و اقسامين ، و ظلما بن فرمس[4] .

---

(١) نفسه ، ٢ / ١٦ – ٦٣ .

(٢) كنز الدرر ، ٢ / ٦٣ – ٨٠ .

(٣) نفسه ، ٢ / ٨٠ – ٩٩ .

(٤) نفسه ، ٢ / ٩٩ – ٢٠٦ .

ثم يأتي على ذكر الأنبياء الذين أتوا بعد نوح (عليهم السلام) ، وهم : هود ، و صالح ، و إبراهيم الخليل ، و لوط ، و إسماعيل ، و يعقوب ، و يوسف ، و أيوب ، و شعيب ، و موسى و هارون ، و أشمويل و داود ، و سليمان بن داود ، و رحبعم ، و أخبار آل داود ، و يونس بن متى [1]، و زكريا ، و عيسى بن مريم ، و ذو الكفل ، ثم ذكر أهل القرية ، و ذكر أصحاب الرس ، و ذكر أصحاب الأخدود ، وذكر أصحاب الكهف [2].

بعدما ينتهي من ذكر الأنبياء و الرسل يأتي على ذكر ملوك الأرض و شعوبهم ، ويبدأ بذكر ملوك الفرس ، ويذكر منهم أربع طبقات : الأولى وهم البشدادية (الفشدادية) ، والثانية وهم الكيسانية ، والثالثة وهم الأشكانية (الأشغانية) ، والرابعة وهم الساسانية، ثم يتحول بعد ذلك إلى ذكر ملوك البطالسة (اليونانيين) ، ثم ذكر ملوك رومية (القياصرة) ، ثم ملوك القسطنطينية ، ثم من ملك مصر بعدما أغرق الله تعالى فرعون ، ثم ملوك العرب و أصولهم و فروعهم و بطونهم ، ثم ملوك اللخميين وهم ملوك الحيرة عرب العراق ، وملوك العرب من آل جفنة ، وملوك التبابعة من حمير ملوك اليمن ، ثم ذكر وقائع العرب ومنها حرب البسوس ، وحرب عبس و بني عامر ، و حرب داحس و الغبراء ، ثم ذكر كهان العرب [3].

١٣ . السيرة النبوية :

وقد تكلم إبن الدواداري في الجزء الثالث من كتابه المسمى بـ (الدر الثمين في أخبار سيد المرسلين و الخلفاء الراشدين) عن سيرة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فأشار إلى نسبه ، ومولده ، ونشأته ، ووفاة أبيه ، ووفاة أمه ، والرسول في معية جده ، وما كان بين جده عبدالمطلب و سيف بن ذي يزن ، وسبب تسميته بمحمد ، وحليمة السعدية ، و إجتماع قريش في دار الندوة ، ووفاة جده و إنتقاله إلى كفالة عمه أبي

---

(١) ورد هذا الإسم في كنز الدرر (٢ / ٢٤٨) بشكل متا .

(٢) كنز الدرر ، ٢ / ٢٠٦ – ٢٥٨ .

(٣) كنز الدرر ، ٢ / ٢٥٨ – ٥٣٧ .

طالب ، وخروجه مع عمه إلى الشام ، و تجارته لخديجة ، و زواجه ، و نزول الوحي ، و ذكر المؤذين له من قريش ، و ذكر المستهزئين به من قريش ، و ذكر المؤلفة قلوبهم من قريش و غيرهم ، و ذكر أصول قريش و فروعها و شعوبها و قبائلها ، وذكر الأعياض من بني أمية ، وذكر الإسراء و المعراج ، وهجرته إلى يثرب (المدينة المنورة) ، وذكر شيء من بعض كلامه (صلى الله عليه وسلم) مما لم يسبق إليه أحد ، وذكر المشبهين به من قريش و غيرها ، و ذكر أولاده الذكور و الإناث و من تزوج بهن ، و غزواته ، و فتح مكة ، وحجة الوداع ، ووفاته ، وأسمائه ، و صفاته ، وأزواجه ، و ذكر من تزوج ببناته ، و أعمامه ، وذكر شيء من إبتداء أمر العباس ، و عماته ، و مواليه ، وذكر الإناث من مواليه ومن إصطفى منهن لنفسه ، وذكر من كان يحرسه في غزواته ، و ذكر رسله إلى الملوك و القبائل ، وكتابه ، ورفقائه النجباء ، ودوابه ، و نعمه ، و سلاحه ، و أثوابه[1] .

١٤ . سيرة الخلفاء الراشدين (١١ - ٤١ هـ / ٦١٣ - ٦٤٣ م) :

وقد ربط إبن الدواداري ذكر سيرة الخلفاء الراشدين و مدة حكمهم بذكر سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وكان ذلك ضمن الجزء الثالث من كتابه (الدر الثمين في أخبار سيد المرسلين و الخلفاء الراشدين) ، فيعقب ذكر سيرة الرسول بذكر سيرة خلفاء الراشدين ، ويبدأ بالخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وسيرته ، ونسبه ، ومولده ، ونشأته ، و ألقابه ، ثم الإشارة إلى أحداث زمانه : منها أمر الردة ومنع الزكاة ، و لمح من خبر مسيلمة و سجاح ، و إبتداء فتح الشام ، و كلام عائشة في أبيها بعد وفاته ، و صفة الإمام أبي بكر ، ومن كلامه ، وأسماء كتابه ، و أسماء حجابه ، ونقش خاتمه[2] .

ثم يأتي بعد ذلك على ذكر خلافة الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) و سيرته، ونسبه ، و مولده ، و نشأته ، و تسلمه الخلافة ، و إسلامه ، و عدله ، و إنصافه ، و أهم

(١) كنز الدرر ، ٣ / ٥ - ١٥٢ .

(٢) نفسه ، ٣ / ١٥٣ - ١٦٩ .

حوادث زمانه : منها فتح دمشق و حمص ، ووقعة اليرموك ، وفتح إيليا ، و دخول المسلمين العراق ، ووقعة القادسية مع رستم ، ووقعة جلولاء بين الفرس و المسلمين ، و فتح الجزيرة ، و فتح الشام ، وذكر عمرو بن العاص ، وذكر مصر و مبتدئها ، و ذكر سبب دخول عمرو بن العاص مصر في الجاهلية ، وذكر فتح مصر على يد عمرو بن العاص ، و ذكر بعض شيء مما ورد في صفة مصر ، و ذكر شيء مما ورد من الحديث في الوصية بقبط مصر ، ووفاة عمر ، وأولاده ، ومن كلام عبدالله بن عمر ، وصفة عمر ، و كتابه ، وحاجبه ، ونقش خاتمه[(١)] .

ثم يذكر سيرة الخليفة الثالث ذي النورين عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، ونسبه، ومولده ، ونشأته ، وتقلده الخلافة ، وذكر أهم حوادث زمانه ومنها : مما جرى في غزوة تبوك ، ومناقب عثمان ، و ذكر أمر الشورى و البيعة ، و أول خطبة خطبها عثمان ، و قصة الهرمزان ، وذكر خطبة عثمان الثانية ، و مقتل عثمان ، ونبذ من أخبار بني عثمان، وصفة الإمام عثمان ، و كاتبه ، و حاجبه ، و نقش خاتمه[(٢)].

ثم يتحول بعد ذلك إلى ذكر سيرة الخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، ونسبه ، و مولده ، ونشأته ، و تقلده الخلافة ، وصفته ، و أول خطبة للإمام علي، ووقعة الجمل ، و ذكر طلحة بن عبيدالله و أخباره و مقتله ، وذكر الزبير و أخباره و مقتله، وعلي و عائشة ، وعمال علي ، وقيس بن سعد ، وكتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية ، ورجوع قيس بن سعد إلى علي ، وكتاب معاوية إلى علي ، وكتاب علي إلى معاوية ، وذكر حرب صفين بين علي و معاوية ، و سبب قدوم عمرو بن العاص على معاوية ، وكتاب عمرو بن العاص إلى معاوية ، والتحكيم ، ووقعة الخوارج بالنهروان ، وذكر قتلة محمد بن أبي بكر الصديق ، وذكر مقتل الإمام علي ، و إصابة معاوية و نجاة عمرو ، و ذكر شيء من

(١) كنز الدرر ، ٣ / ١٧٠ – ٢٥٣ .

(٢) نفسه ، ٣ / ٢٥٤ – ٣١٣ .

أحكام علي ، وصفة علي ، وقصة قاتل علي ، وأزواج علي و أولاده ، وكتابه ، وحاجبه ، ونقش خاتمه ، ويعقب ذلك بذكر سيرة الإمام الحسن بن علي (كرم الله وجهه) ، ونسبه ، وتقلده الخلافة ، والفتنة الداخلية ، ونقش خاتمه[١] .

١٥ . العصر الأموي (٤١ – ١٣٢ هـ / ٦٤٣ – ٧٣٤ م) :

ومما تجدر الإشارة إليه أن إبن الدواداري خصص الجزء الرابع من كتابه لذكر الأمويين ، وفصل هذا الجزء إلى قسمين ، في الأول تكلم عن الدولة الأموية في المشرق ، وفي الثاني عن حكم الأمويين في بلاد الأندلس في الغرب ، ففي البداية تكلم عن كيفية إنتقال السلطة من الراشدين إلى الأمويين ، ثم يأتي على ذكر سيرة خلفاء الأمويين و مدة حكمهم، و أهم الأحداث التي جرت خلال حكمهم ، بدءاً بذكر سيرة معاوية بن أبي سفيان و ينتهي بآخر من تولى الحكم في الدولة الأموية وهو مروان بن محمد ، ومن عناصر تراجمه في هذا الجزء من كتابه هو : ذكر سيرتهم ، و نسبهم ، و كنيتهم ، و تقلدهم الحكم ، و أهم أحداث زمانهم ، وصفاتهم ، و كتابهم ، وحجابهم ، ونقش خاتمهم ، ووفياتهم[٢] .

وأما الأمويين في بلاد الأندلس فذكر أمرائهم الذين تولوا الحكم فيها ، وفي البداية تكلم عن جغرافية بلاد الأندلس ، من حيث الحدود و مساحة الجزيرة ، ثم يأتي بعد ذلك على ذكر التأريخ القديم لبلاد الأندلس ، و ملوكها ، و أديان أهلها و عباداتهم إلى حين ما إفتتحها المسلمون ، ثم تكلم عن إبتداء مملكة بني أمية بالأندلس ، وبعد ذلك يبدأ بذكر من ولي الحكم في هذه المملكة من الأمويين ، ويستمر كلامه عن ذكرهم حتى ينتهي حكم الأمويين في مملكة الأندلس[٣] .

---

(١) نفسه ، ٣ / ٣١٤ – ٤١٣ .

(٢) كنز الدرر ، ٤ / ٤ – ٤٥١ .

(٣) نفسه ، ٤ / ٤٥٢ – ٥٠٤ .

١٦ . العصر العباسي (١٣٢ – ٦٥٦ هـ / ٧٣٤ – ١٢٥٨ م) :

وأما فيما يخص الجزء الخامس الذي يتعلق بالدولة العباسية ، الذي يسمى بـ (الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية) ، فيبدأ إبن الدواداري بذكر سيرة خلفاء بني العباس ، ونوابهم و القضاة و الوزراء و العلماء و غيرهم ، وقد رتب إبن الدواداري هذا الجزء من كتابه على أنه تكلم عن العباسيين خليفة بعد خليفة حتى وصل إلى آخر خليفتهم، ومن أهم ما ورد من عناصر تراجمه في هذا الجزء وهي : إسم الخليفة ، وسيرته ، ولقبه ، وكنيته ، ونسبه ، وإسم أمه و أصولها ، والسنة التي تولى فيها الخلافة ، ومدة بقائه في الخلافة ، ثم يعقب ذلك بذكره أهم الأحداث في زمن ذلك الخليفة ، ومن توفي في زمن هذا الخليفة ، ثم وفاة الخليفة أو عزله أو مقتله ، ويتبع ذلك بذكر من كان وزيراً أو قاضياً أو نائباً أو كاتباً أو حاجباً في زمن ذلك الخليفة ، ثم يذكر نقش خاتم الخليفة[1] .

١٧ . الدولة الفاطمية (٣٥٩ – ٥٦٧ هـ / ٩٦١ – ١١٦٩ م) :

خصص إبن الدواداري وجزءاً من كتابه وهو الجزء السادس لذكر تأريخ الفاطميين و دولتهم ، الذي سماه (الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية) ، إذ بدأ بذكر أصل العبيدين ، الذين يرجع إليهم الفاطميون ، ثم يأتي على ذكر شجرة نسب آل البيت ، ثم ذكر نسب العبيديين و بداية ظهور شأنهم ، ويتبع ذلك بذكر الدولة الأغلبية و إبتدائها ، ثم يأتي على ذكر أمراء الدولة الأغلبية واحداً تلو الآخر ، ثم بعد ذلك يأتي على ذكر القرامطة وبداية شأنهم و مبتدئهم ، ويذكر أمراء القرامطة الذين حكموا واحداً بعد واحد ، وذكر حركة أبي عبدالله الخادم و أتباعه ، وذكر الحلاج الداعي و الحداد الداعي ، ثم يتكلم عن حكم الفاطميين لبلاد المغرب ، ويذكر ممن تولى منهم الحكم ببلاد المغرب ، ويبدأ بحكم عبيدالله المهدي بالمغرب وما لخص من سيرته ، ثم القائم بأمرالله بن المهدي ومالخص من سيرته ، و المنصور بالله ومالخص من سيرته ، و المعز لدين الله و ما لخص

---

(١) كنز الدرر ، ٥ / ٤ – ٤١٥ .

من سيرته ، ثم يذكر دخول الفاطميين إلى بلاد مصر ، وذلك عندما دخل جوهر القائد إليها، وعندما يصل إلى سنة (٣٥٩ هـ / ٩٦١ م) يبدأ بذكر الخلفاء الفاطميين ، وكل الحوادث و الوقائع و الأخبار التي وقعت في مدة حكم الفاطميين ، حتى يصل إلى نهاية حكمهم على يد الأيوبيين[١] .

١٨ . الدولة الأيوبية (٥٦٧ – ٦٤٨ هـ / ١١٦٩ – ١٢٥٠ م) :

وفيما يخص الأيوبيين فقد خصص لهم إبن الدواداري الجزء السابع من كتابه لذكرهم ، وسماه (الدر المطلوب في أخبار بني أيوب) ، وتكلم فيها عن أصلهم و نسبهم وبداية ظهور شأنهم ، وسلاطينهم الذين تولوا المناصب الإدارية و العسكرية في بلاد الشام و مصر ، وأهم الأحداث التي وقعت في مدة حكمهم ، وإسهاماتهم في الحضارة الإسلامية في حقبة حكمهم ، ويبين فيها وجود علاقات بين الأيوبيون و الزنكيين في الشام ، وكذلك دورهم في التصدي للحروب الصليبية ، وتوحيد العالم الإسلامي ، وتأسيس دولتهم في بلاد مصر ، ثم توسيع حدودها بعد ذلك ، حتى شملت الشام و الحجاز و اليمن ، وكذلك أشار إلى أهم الأحداث و الوقائع في مدة حكمهم[٢] .

١٩ . الدولة التركية (دولة المماليك) (٦٤٨ – ٧٣٥ هـ / ١٢٥٠ – ١٣٣٦ م) :

وقد إهتم إبن الدواداري بدولة المماليك التركية أكثر من غيرها ، فقسم ذكرهم على جزأين من كتابه وهما الثامن و التاسع ، ففي الجزء الثامن الذي سماه (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية) بدأ بذكر المماليك من سنة (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) وانتهى منه في سنة (٦٩٨ هـ / ١٣٠٠ م) ، وهذا هو القسم الأول من حكم المماليك ، وافتتح إبن الدواداري هذا الجزء بذكر إبتداء الدولة المملوكية ، ثم تكلم عن سلاطين المماليك واحد تلو الآخر وفق النظام الحولي ، فعندما يسرد سيرة سلطان يأتي على ذكر مجريات الأحداث التي

---

(١) نفسه ، ٦ / ٤ – ٥٧٢ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٥ – ٣٨٦ .

وقعت في مدة حكمه ، واستمر على ذلك حتى وصل إلى سنة (٦٩٨ هـ / ١٣٠٠ م) وينهي كلامه عنهم بنية أن يكمل الموضوع في الجزء الذي يعقبه[١] .

ففي الجزء الأخير من كتابه الذي سماه (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) ، وهو الجزء التاسع من الكتاب أيضاً يخص ذكر المماليك ، يبدأ من سنة (٦٩٨ هـ / ١٣٠٠ م) ، وينتهي في سنة (٧٣٥ هـ / ١٣٣٦ م) ، لأنه ينهي تأريخه في هذه السنة ولم يذكر أي حدث بعد ذلك[٢] ، ومن المعلوم أنه قد توفي في السنة اللاحقة .

والجدير بالذكر أن إبن الدواداري فصل الجزء التاسع عن الجزء الذي سبقه ، لأن هذه الحقبة من التأريخ تخص مدة حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فرأى أنه من المناسب أن يركز على مدة حكم هذا السلطان أكثر من الآخرين ، ويتكلم عنها بشكل أوسع و تفصيلي ، كون إبن الدواداري كان معاصراً للناصر محمد ، ومن المقربين إليه و له علاقات جيدة به .

---

(١) نفسه ، ٨ / ١٢ – ٣٨٣ .

(٢) كنز الدرر ، ٩ / ٦ – ٤٠٢ .

المبحث الثالث

مصادر الكتاب

يتفق علماء التأريخ على أن الكتابة التأريخية تتوقف على المصادر ، حيث نستطيع من خلالها الحصول على المادة التأريخية ، ويستقي منها الباحثون و المؤرخون معلوماتهم ، ومما لاشك فيه أن المصادر التأريخية متنوعة و مختلفة ، كالمؤلفات المطبوعة ، و الروايات الشفهية ، و المشاهدات الميدانية (أو المعاينة و الملاحظة) ، و الوثائق ، والمخطوطات ، و الآثار المادية ، وغير ذلك ، و إذا نظرنا إلى كتاب (كنز الدرر) نجد بأن المؤرخ إبن الدواداري إعتمد على أغلب هذه العناصر من المصادر ، ويعود سبب ذلك إلا أن كتابه عام و شامل ، يحتوي مدة واسعة و طويلة من التأريخ ، ومن ناحية أخرى تهيأ له الأمور كي يستطيع أن يحصل على هذا التنوع من المصادر ، وبلاشك أن التنوع في المصادر يعطي أهمية أكثر للكتابة بشكل عام ، وللكتابة التأريخية بشكل خاص ، وقد إعتمد إبن الدواداري في كتابه (كنز الدرر) على ثلاث أنواع من هذه المصادر ، وهي :

أ ـ المشاهدة و الملاحظة :

حيث إعتمد إبن الدواداري في القسم الذي يتعلق بحقبة حياته ، أو التي كانت قريبة منه على مشاهداته ، فهو يؤرخ لفترة عاصرها و عايش معظم أحداثها ، وهذا النوع من المصادر إستفاد منها المؤرخ في أماكن كثيرة من كتابه ، ولاسيما في الجزءين الأخيرين من الكتاب وهما (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية) و (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) ، وقد أشار المؤرخ صراحة إلى مشاهداته كثيراً في كتابه ، فعلى سبيل المثال نجد أنه لما يذكر حادثة ظهور كركدن ببلاد مصر ، يشير إلى أنه شاهده[1] .

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ١٧٣ .

وكذلك أشار إبن الدواداري إلى أنه لما رجع الأمير حسام الدين أزدمر المجيري من بلاد المغول ، والذي كان له علاقة حميمة مع عبدالله الدواداري والد المؤرخ ، قام والده بزيارة إلى بيته ليرحب به بعودته سالماً ، وكان الأمير يروي ما شاهده أثناء زيارته إلى بلاد المغول ، في الوقت كان هو جالساً مع والده يسمع الأخبار من الأمير [1].

ب . الرواية الشفوية :

وفي القسم الذي يتعلق بالمدة التي يسبق حياته ، أو الحوادث التي لم تسمح له الظروف أن يكون فيها شاهد عيان ، فكان يعتمد على ما سمعه من أصدقائه ، أو من قابله من الأشخاص البارزين ككبار موظفي الدولة و الأمراء ، أو الأعلام و المؤرخين المشهورين، وكان يلتقي بهم ويسألهم عن ذلك بنفسه ، كما سأل الملك الكامل الأيوبي[2] عن الأيوبيين و أصلهم ، فيشير إلى هذا و يقول : ((سألت منه ذات يوم عن جدهم أيوب ، إبن من ؟))[3].

وهناك أمثلة أخرى على الرواية الشفهية يأخذ منها إبن الدواداري معلومات وافية و مفيدة ، مثلما نقل عن الشيخ العدل الفيومي حول عجائب بلاد مصر ، حين يقول:((قلت: ومن غريب ما حكى لي رجل من شيخ من أهل الفيوم عدل رافقني في وقت في سفر في مركب إلى نحو صعيد مصر ..))[4] ، وفي مكان آخر يقول : ((وحكى لي ذلك العدل ..))[5] ، ويقول : ((هذا ما حكاه ذلك الشيخ العدل الفيومي ..)) [6].

---

(١) كنز الدرر ، ٩ / ٧١ .

(٢) الملك الكامل : وهو الناصرالدين محمد بن الملك الصالح إسماعيل بن العادل ، الملقب بالملك الكامل ، وكان أبوه يعرف بـ (أبو حبيش) أو (أبو الجيش) ، وكان حاكماً في الشام ، وهو أمير مئة فارس مقدم ألف . ينظر : كنز الدرر ، ٧ / ٥ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٥ .

(٤) نفسه ، ١ / ٢٢٠ .

(٥) نفسه ، ١ / ٢٢١ .

(٦) نفسه ، ١ / ٢٢٢ .

وأما في حال وجود شك لديه في إحدى الروايات ، يحاول إبن الدواداري تبرأة نفسه من ذلك الشيء ، وحمل ناقلها وحده مسؤولية مصداقية ما أخذ منه ، وكان ذلك عندما يذكر في نهاية كل رواية لديه شك فيه عبارة : (و الله أعلم) [1].

ج . المصادر المدونة و المكتوبة :

إعتمد إبن الدواداري على المصادر المدونة و المكتوبة أيضاً ، فنجد أنه إستخدم هذا النوع من المصادر في أماكن مختلفة من كتابه ، وكما أشرنا إليه سابقاً فإن كتابه عام و شامل ويحتوي على موضوعات متنوعة ، لذلك نجد توفر المصادر المستخدمة في الكتاب ، ولأن دراستنا تخص الدولة الأيوبية من خلال كتاب كنز الدرر ، لذلك نحاول أن نكتفي بذكر أهم المصادر المدونة المستخدمة في أجزاء الكتاب ، ما عدا الجزء التي تخص الدولة الأيوبية فنركز عليها أكثر ، ومن المصادر التي إستفاد منها إبن الدواداري في كتابه (كنز الدرر) كثيراً ، وهو كتاب (تاريخ الأمم والملوك) للمؤرخ الطبري (ت ٣١٠ هـ / ٩١٢م)[2] ، والذي إستفاد منه كثيراً ولاسيما في مواضيع مثل : تاريخ الأمم القديمة ، وسيرة الرسل و الأنبياء[3]، وفي مسألة مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) [4] ، و أخبار الدولة العباسية ، وأخبار البرامكة [5] .

وكذلك إستفاد من كتاب (أخبار الزمان)[6] للمؤرخ المسعودي(ت٣٤٦ هـ / ٩٥٧م)[7] ، و كتاب (الإنباء) للمؤرخ محمد بن سلام بن جعفر بن علي القضاعي (ت ٤٥٤هـ / ١٠٦٢ م) ، ولاسيما في الجزءين الثاني و الثالث من الكتاب[8].

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ٢١٢ .

(٢) نفسه ، ١ / ٦٦ – ٦٧ ، ٣ / ٧٧ ، ٣٤٧ .

(٣) نفسه ، ١ / ٦٦ ؛ ٢ / ١٠ .

(٤) نفسه ، ٤ / ٨٦ .

(٥) نفسه ، ٥ / ٥ ، ١٣٥ .

(٦) نفسه ، ١ / ٣٩ ، ٢٥٦ .

(٧) نفسه ، ٤ / ١٥ ، ٧٣ ، ٩٦ .. .

(٨) نفسه ، ٢ / ١٢ ، ٣ / ١٢٤ .. .

واعتمد أيضاً على كتاب (التعريف بطبقات الأمم) للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد (ت ٤٦٢ هـ / ١٠٦٤ م) ، ولاسيما عندما يذكر الأمويون في الأندلس ، كما يقول : ((وكتاب التعريف بطبقات الأمم الذي إستنسخت من هذا الكلام في ذكر الأندلس)) [١] .

ولما يأتي على ذكر الجوانب الحضارية لمدينة القاهرة يشير إبن الدواداري إلى أنه استفاد كثيراً من كتاب (الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة) للقاضي محي الدين إبن عبدالظاهر (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٣ م) ، حين يقول : ((وقعت على مسودة مجلدة بخط يد القاضي إبن عبدالظاهر رحمه الله)) [٢] ، ويقول في مكان آخر من كتابه : ((قرأت بخط يد القاضي إبن عبدالظاهر رحمه الله في مسودة ذكر فيها خطط القاهرة ..))[٣] .

وأشار إبن الدواداري إلى أنه نقل معلومات مفيدة و نادرة من كتاب ، دون أن يذكر ماهو إسم هذا الكتاب ، إلا أنه يقول أنه من تأليف راهب قبطي في مصر إسمه (برصوما)، فأخذ منه معلومات مفيدة عن تاريخ القديم لبلاد مصر ، وكذلك في ذكر الكهان القديمة بمصر ، كما يقول : ((فإن هذا الكلام لم أجده في كتب أحد من أرباب التأريخ ، وإنما نقلته من كتاب قبطي وقع لي ..))[٤] ، وكذلك يقول : ((هكذا وجدت في الكتاب القبطي ..))[٥]، وفي مكان آخر من الكتاب يقول : ((.. على أني قد ذكرت في أول جزء من هذا التأريخ من أحوال مصر ما فيه الكفاية لما تضمنه ذلك الجزء الأول من العجائب ، التي لم تقع لأحد من قبل من أرباب التواريخ ، وذلك لما كنت أيضاً وقعت عليه من الكتاب القبطي الذي وجدته بالدير الأبيض بالوجه القبلي و استنسخت منه))[٦] .

---

(١) كنز الدرر ، ٤ / ٤٥٦ .
(٢) نفسه ، ٦ / ١٣٧ .
(٣) نفسه ، ٥ / ٢٧٠ .
(٤) نفسه ، ٢ / ١٠٢ .
(٥) نفسه ، ٢ / ٢٠٦ .
(٦) نفسه ، ٦ / ٣٥٣ .

وقد إستفاد إبن الدواداري أيضاً من كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) لمؤلفه النويري (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م) ، ولاسيما لأخذ منه معلومات وافيه عن الشعراء و إنتاجاتهم ، فعلى سبيل المثال أخذ منه معلومات عن الشاعر إبن المرحل و أشعاره[1] ، وكذلك أخذ من إبن مرحل معلومات مفيدة عن نسب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، كما يقول : ((و هذا الذي في أيدي الناس من النسب على إختلافهم فيه ، وقرأت هذا النسب و صححته في سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٣ م) على الشيخ الإمام صدرالدين إبن الوكيل بيت المال المعروف بابن المرحل))[2] ، وكذلك يستند إليه في ذكر إستخراج المال بدمشق ، حين يقول : ((هذا جميعه نقل الشيخ صدرالدين إبن وكيل بيت المال المعروف بإبن المرحل ـ رحمه الله تعالى ـ ، حكاه للملوك بالديار المصرية ، لما كان قد حضر إليها صحبة الركاب الشريف ، لما عاد من الكرك المحروس))[3] .

---

(١) كنز الدرر ، ٨ / ٣٨٥ .

(٢) نفسه ، ٣ / ٩ .

(٣) نفسه ، ٩ / ٤٤ .

مصادره عن الدولة الأيوبية :

١ . إبن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) :

هو عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ، صاحب كتاب (الكامل في التاريخ)[١] ، إستفاد إبن الدواداري من هذا المؤرخ كثيراً ، ويشير في عدة أماكن من كتابه إلى أنه نقل هذا الخبر عن الأيوبيين من هذا المؤرخ ، كما يقول : ((قال إبن الأثير في تاريخه..))[٢] .

٢ . إبن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) :

هو بهاءالدين أبو العز يوسف بن رافع بن تميم الأسدي الحلبي الشافعي ، المعروف بـ (إبن شداد ، صاحب كتاب (النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية) ، الذي خصصه لسيرة السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وأهم الإنجازات ذلك السلطان بين سنوات (٥٨٤ – ٥٨٩ هـ / ١١٨٨ – ١١٩٣ م) [٣] ، إقتبس إبن الدواداري منه معلومات قيمة عن حقبة الزنكيين و الأيوبيين ، ولاسيما عن سيرة الأمراء هاتين الدولتين[٤] .

٣ . سبط إبن الجوزي (٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) :

هو شمس الدين أبو المظفر يوسف بن القزاوغلي ، صاحب كتاب (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان)[٥] ، إعتمد إبن الدواداري عليه في معظم أجزاء كتابه (كنز الدرر و جامع الغرر) ، ولاسيما الجزءين الأول و الثاني من الكتاب ، واستفاد منه في كثير من المواضيع،

---

(١) إبن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : محمود الأرناؤوط و عبدالقادر الأرناؤوط ، دار إبن كثير ، دمشق ـ بيروت ، ١٩٩١ م ، ٧ / ٢٤١ – ٢٤١ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٨٢ ، ١٦٢ ، ٢١١ ، ٢٣٨ ، ٢٥٧ .. .

(٣) إبن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ٧ / ٢٧٦ – ٢٧٧ ؛ شوكت عارف محمد الأتروشي ، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي (٥٦٧ – ٦٤٨ هـ / ١١٧١ – ١٢٥٠م)، أطروحة الدكتوراه ، قسم التاريخ ـ كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ـ أربيل ، ٢٠٠٤ م ، ص٣٣ .

(٤) كنز الدرر ، ٧ / ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ .. .

(٥) إبن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ٧ / ٤٦٠ – ٤٦١ .

كما نجد أنه يشير إلى هذا ويقول : ((قال إبن الجوزي[1] رحمه الله في تأريخه مرآة الزمان..))[2].

٤ . أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م) :

هو عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي ، صاحب كتاب (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية) ، يعالج هذا الكتاب تاريخ أهم دولتين في التأريخ الإسلامي وهو (الدولة الزنكية ببلاد الشام) و (الدولة الأيوبية بمصر و الشام و اليمن)[3] ، إستفاد إبن الدواداري أيضاً من هذا الكتاب و أخذ منه معلومات مفيدة عن الأيوبيين ، كما أشار إلى ذلك حين يقول : ((قال أبو شامة ..)) [4] .

٥ . إبن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) :

هو جمال الدين أبو عبدالله محمد بن سالم بن نصرالله بن واصل الحموي الشافعي ، صاحب كتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) ، قاضي حماه ، عاش في أواخر حكم الأيوبيين[5] ، فاعتمد عليه إبن الدواداري في كثير من مواضيع الجزء الخاص بالأيوبيين ، وفي مناسبات عدة إستفاد منه على سبيل المقارنة مع مصادره الأخرى عن الأيوبيين ، وكثيراً ما نجد أن إبن الدواداري يشير إلى : ((قال إبن واصل ..))[6] .

---

(١) يلاحظ أن إبن الدواداري عندما يشير إلى أنه إستخدم كتاب (مرآة الزمان ..) ، فنجد أنه دائماً يذكر بأن صاحب هذا الكتاب وهو إبن الجوزي ، ولكن يجب أن نعرف بأن صاحب هذا الكتاب وهو (سبط إبن الجوزي) ، و إنما إبن الجوزي الذي هو يذكر إسمه فهو صاحب كتاب (المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم) .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ .. .

(٣) الكتبي ، فوات الوفيات و الذيل عليها ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د . ت . ، ٢ / ٢٦٩ ؛ إبن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ٧ / ٥٥٣ – ٥٥٤ ؛ حسين عاصي ، المؤرخ أبو شامة و كتابه الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص١٢٧ .

(٤) كنز الدرر ، ٧ / ١٨٩ .

(٥) إبن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ٧ / ٧٦٦ ؛ خضر إلياس جلو ، إبن واصل مؤرخاً للحروب الصليبية ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ . كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٩ م ، ص٧ .

(٦) كنز الدرر ، ٧ / ٢٧ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٢ .. .

٦ . الواي أطام بتكي (أو أي أطابتكي) :

وهو كتاب كبير عند الترك ، معناه (كتاب الأب الكبير) ، إستفاد منه إبن الدواداري و أخذ منه معلومات وافية عن قبائل الترك و أصلهم ، ولاسيما عن المغول التتار، فحصل عليه سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٣ م) ، لما أحضر له شخص كان يسمى أمين الدين الحموي كاتب الأمير بدرالدين بيسري ، و أشار بأنه أخذ منه معلومات وافيه ، كما يقول : ((إنتهى ما إستنسخته من الكتاب التركي المسمى (أي أطابتكي) .)) [١].

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٢١٨ ، ٢٣٧ .

المبحث الرابع

أهمية الكتاب

يعد كتاب (كنز الدرر) من المصادر المهمة في التأريخ الإسلامي ، ولاتكمن أهميته في الحقل التأريخي فحسب ، بل يستفاد منه في كثير من المجالات ، ويمكن تلخيص أهمية الكتاب فيما يأتي :

أولاً / أهميته التاريخية :

تأتي أهمية هذا الكتاب في المجال التأريخي بالدرجة الأولى ، كونه يختص بهذا المجال ، فضلاً عن معرفة تأريخ بلاد مصر في مختلف العصور التأريخية ، بدءاً بذكر التأريخ من خلق آدم (عليه السلام) إلى عصره ، ويهتم بشكل خاص بالعصر المملوكي ، ويشير إلى جوانب حضارية كثيرة ذكرها إبن الدواداري في كتابه ، الذي حافظ على التأريخ المدون مدة معينة من الضياع و التلف ، فضلاً عن ذلك قدم معلومات قيمة عن مختلف العصور التأريخية القديمة ، و العصور الإسلامية ، بدءاً من عهد الرسول ، ثم الخلافة الراشدة ، و الأموي ، والعباسي ، والفاطمي ، و الأيوبي و المملوكي .

و يعد كتاب (كنز الدرر و جامع الغرر) من المصادر الأساسية لدراسة القرنين السابع و الثامن الهجري / القرن الثالث عشر و الرابع عشر الميلادي ، للباحثين و المؤرخين الذين يريدون البحث في الحقبتين الأيوبية و المملوكية ، لأن المؤلف يعد من مؤرخي هذا العصر ، فضلاً عن كونه شاهد عيان على كثير من الحوادث التي عاصرها ، وعلى هذا الأساس تكون معلوماته قيمة و مهمة من الناحية التأريخية .

علاوة على ذلك يعد الكتاب مصدراً مهماً لمن جاء بعده من المؤرخين ، وكذلك فيه فائدة للذين يعملون في حقل السيرة و علم التراجم ، ويلاحظ أن فيه معلومات كافية و قيمة عن تراجم كثير من السياسيين و الإداريين و الأعلام و الأعيان ، بإستطاعة كل من يعمل في هذا الحقل الإستفادة منه ، فعلى سبيل المثال جاءت تراجم كثير من أمراء الأيوبيين .

أما أهم المآخذ على الكتاب من قبل الباحثين و المؤرخين فهو كون إبن الدواداري من مؤرخي السلطة وكان يميل إليها ، لأنه دخل في عالم الإدارة و السياسة ، فضلاً عن كونه من عائلة توراثوا هذا الشيء أباً عن جد كانت على تواصل مع السلطة ، هذا ولانغفل أن علاقاته الودية بالملوك و السلاطين وقربه منهم ، ولاسيما مع السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، قد أثرت بشكل كبير على مكانته العلمية و الإجتماعية ، مما إنعكس ذلك بالتأكيد على كتاباته بشكل أو بآخر ، حتى خصص جزءاً منفرداً من كتابه لسيرة و حياة السلطان الناصر المملوكي ، وسماه (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) .

ثانياً / أهميته من الناحية الجغرافية :

وكذلك لكتاب كنز الدرر أهمية جغرافية ، كون إبن الدواداري قدم معلومات جغرافية مهمة ، منها ذكر المياه و الأنهار و الجبال والكهوف والوديان التي لها صلة بالأحداث التاريخية ، فإن الجزء الأول من الكتاب يتحدث عن الجوانب الجغرافية و الطبيعية ، كما أنه يوجد في الكتاب ذكر لهذا المجال في معظم أجزائه ولكن بصورة أقل ، من خلال سرده الأحداث التأريخية ، هذا ولم يهمل إبن الدواداري الكوارث الطبيعية مثل : الفيضانات ، و السيول ، والزلازل ، وغيرها ، بل تحدث عنها ، فعلى سبيل المثال يقول : ((وفي سنة (٤٣٤ هـ / ١٠٣٦ م) وقعت في توريز (تبريز) زلزلة عظيمة فهدمت قلعتها و سورها و دورها ، و قتل عدداً كبيراً من أهلها ، مما أدى إلى أن يلبس أميرها السواد و جلس على المسوح لعظم هذه الزلزلة))(١) ، وكذلك حدث زلازل عظيمة في كل من بلاد الجزيرة و خلاط و أرمينية و أذربيجان سنة (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ، بعد مرورها على مناطق كثيرة من بلاد المسلمين ، فهدمت مناطق كثيرة و قتل كثير من الناس من جرائها (٢) .

---

(١) كنز الدرر ، ٦ / ٣٥٤ .

(٢) نفسه ، ٧ / ١٤٩ – ١٥٠ .

وفي سنة (٥١١ هـ / ١١١٣ م) حدث سيل بسنجار ، وأدى ذلك إلى خراب المدينة [١]، وفي سنة (٥٧٣ هـ / ١١٧٥ م) هبت ريح سوداء ببلاد القفجق ، ووصلت إلى بلاد تفليس (تبليس) ، وهمدان ، و أصبهان ، و كرمان ، فأخربت البيوت ، وقتلت حتى الحيوانات منها البقر و الغنم و الخيل[٢] .

وقد إهتم إبن الدواداري بسرد الفيضانات و السيول التي كانت تحدث في بلاد مصر، لأنها كانت تتأثر كثيراً على حياة الناس هناك ، حتى أنه خصص موضوعاً خاصاً عن معنى الزلازل و أسبابها و عواقبها في كتابه[٣] .

ثالثاً / أهميته السياسية و العسكرية :

أهمية الكتاب من الناحية السياسية و العسكرية تفوق أهمية الجوانب الأخرى ، لأنه تأريخ عام ركز فيه المؤلف على هاتين الناحيتين بشكل أكبر ، فهو قد أعطى أهمية خاصة للحوادث السياسية ، وكذلك المعاهدات و الإتفاقات المعقودة ، فضلاً عن ذلك إهتم بالعلاقات الدبلوماسية و السياسية بين الملوك و الحكام ، فهو رغم كونه مؤرخ السلطة خصص جزءاً كبيراً و مهماً من كتابه لهذا الجانب من خلال كلامه على التأريخ السياسي لكثير من العصور الإسلامية كالعصر الراشدي و الأموي و العباسي .

أما من الناحية العسكرية فإنه إهتم بهذا الجانب أيضاً ، حيث خصص حيزاً من الكتاب لسرد الغزوات و الفتوحات و الحروب قبل و بعد ظهور الإسلام ، فيبين أسباب تلك المعارك وما دار فيها وأسماء قوادها ، وما أستعمل فيها من الأسلحة وما طبق فيها من خطط عسكرية ، وكذلك أشار إلى النتائج التي آلت إليها تلك المعارك و الوقائع ، وأهم بنود الصلح أو الإتفاق .

---

(١) كنز الدرر ، ٦ / ٤٨١ .

(٢) نفسه ، ٧ / ٦٣ .

(٣) نفسه ، ٩ / ١٠٠ – ١٠٨ .

ولم يكن حديثه عن حقبة معينة من التأريخ ، أو دولة معينة حصراً و إنما شمل ذلك جميع ما ورد في كتابه قبل الإسلام وبعده ، فأشار إلى الحروب التي دارت رحاها في العصر الجاهلي مثل حرب البسوس ، و حرب عبس و بني عامر ، و حرب داحس و الغبراء (من أيام حروب العرب)[1] ، فضلاً عن الفتوحات الإسلامية و بقية الحروب التي حدثت منذ بداية ظهور الإسلام إلى عصره .

رابعاً / أهميته الإقتصادية :

يحتوي كتاب (كنز الدرر) على معلومات قيمة تتعلق بالحياة الإقتصادية للدول الإسلامية ، ربما يكون مصدراً لعلماء الإقتصاد حيث يتطرق إلى جميع المجالات ، منها الزراعية و التجارية و الصناعية ، ففيما يخص الزراعة تكلم وبإسهاب عن المحاصيل الزراعية و الأثمار ، والمناطق الخصبة التي تكثر فيها الزراعة ، ثم تحدث أيضاً عن الناحية التجارية وبين الطرق التي كان يسلكها التجار ، وكذلك الوسائل المستعملة في نقل المواد التجارية .

كما تطرق إلى الأسواق والنقود التي كانت تستعمل في كل عصر من العصور ، فضلاً عن الصكوك التي أستعملت بدل النقود في بعض الأحيان ، فمثلاً نجد أنه يشير إلى الأسعار و العملة في مناسبات كثيرة ، كما يقول : ((وسميت الدنانير القراقوشية كل دينار ثلاثة عشر و ثلث ، و ذلك أنه قطع سعر القمح و الشعير و الفول في غالب الأزمان و جمعه ، فكانت جملة ثمن كل أردب ثلاثة عشر درهم و ثلث ، فسمى ذلك دينار جيشي ، و أقطع البلاد على هذه الدنانير ، فاستمرت إلى الآن))[2] .

كما أنه لم يهمل الجانب الصناعي حيث تحدث عن بعض الصناعات التي كانت موجودة في تلك العصور ، مثل صناعة الأواني و الأدوات المنزلية ، وكذلك صناعة

(١) كنز الدرر ، ٢ / ٣٦٥ – ٤١٨ .

(٢) نفسه ، ٧ / ٤٢ .

الأسلحة الحربية كالسيوف و الرماح و المنجنيق و إلى غير ذلك من أدوات الحرب ، كما تحدث عن صناعة السفن و الزوارق ، وكذلك صناعة الأقمشة التي إهتم بها المسلمون كثيراً في بعض الحقب و لاسيما الحرير و الصوف .

خامساً / أهميته الفكرية و الثقافية :

لم يقتصر كتاب (كنز الدرر) على جانب واحد فقط من مجالات الحياة ، وإنما تحدث المؤرخ في مجالات ثقافية و فكرية و أدبية أخرى ، لذلك كان كتابه جامعاً للعلوم و إسمه يدل على ذلك ، فشمل كتابه الأدب و الشعر و لطائف الأخبار ، وهناك إشارات كثيرة عن هذا الجانب في الكتاب ، فعلى سبيل المثال نجد أن إبن الدواداري لما يذكر سيرة الصالح بن رزيك ، يشير أيضاً إلى نبذ من أشعاره[1] .

وقد تكلم هو عن كتابه فقال : ((ولولا خوفي من التغالي و الإنتصار لتألفي و مقالي، لقلت كما قال أبو الفرج الإصفهاني صاحب كتاب الأغاني : وهو كتاب ينتفع به الأديب المتقدم ، كما ينتفع به الشادي المتعلم ، و يأنس به الخليع المتهتك ، ويحتاج إليه الملك في ممالكه ، كما يحتاج إليه المملوك في خدمة مالكه ، وهو نعم الأنيس و خير جليس)) [2].

(١) كنز الدرر ، ٧ / ١٦ – ١٨ .

(٢) نفسه ، ١ / ١١ .

الفصل الثالث

منهج إبن الدواداري في التدوين التاريخي

من خلال كتابه (كنز الدرر و جامع الغرر)

الفصل الثالث

منهج إبن الدواداري في التدوين التاريخي

من خلال كتابه (كنز الدرر و جامع الغرر)

المبحث الأول

منهجه في ترتيب الحوادث و السنين

أولاً / أساليب العرض :

١ . العرض التأريخي :

لايخفى على متتبع التأريخ الإسلامي أن الكتب المؤلفة في هذا الصدد قد إتبع فيها المؤرخون القدامى طريقتين ، الأولى نظام الحوليات بحسب هذه الطريقة ينظم المؤرخ أو الباحث الحوادث و الوقائع على وفق تسلسل زمني ، يجمع جميع الأخبار و الوقائع خلال سنة واحدة ، ثم يأتي ويذكرها خلال هذه السنة ، أما إذا كانت هناك حادثة قد وقعت في سنتين أو أكثر فإنه يذكر تلك الحادثة مقسمة على تلك السنوات ، وقد سلك هذه الطريقة جمع من المؤرخين وعلى سبيل المثال لا الحصر : الطبري (٣١٠ هـ / ٩١٢ م) في كتابه تاريخ الأمم و الملوك [١] ، والكاتب عمادالدين الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) في كتابه البرق الشامي[٢] ، و إبن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك

---

(١) الطبري ، تاريخ الأمم و الملوك ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٨ م ، ص٦ – ٨ ؛ عمادالدين خليل ، في التاريخ الإسلامي مواقف و دراسات ، مطبعة الزهراء ، الموصل ، ط٢ ، ١٩٨٥ م ، ص١٩٢ ؛ العزاوي ، الطبري و منهجه في التأريخ ، أطروحة الدكتوراه ، قسم التاريخ ـ كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦م ، ص٢١٠ – ٢١١ .

(٢) حكيم أحمد مام بكر ، عمادالدين الكاتب الأصفهاني ومنهجه التأريخي من خلال كتابه البرق الشامي ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ـ كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ـ أربيل ، ١٩٩٦ م ، ص٨٤ .

و الأمم [1] ، و عزالدين إبن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢ م) في كتابه الكامل في التاريخ[2] ، و سبط إبن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م) في كتابه مرآة الزمان في تأريخ الأعيان [3] .

أما الطريقة الثانية فهي نظام وحدة الموضوعات ، وعلى وفق هذه الطريقة ترتب الحوادث و الأخبار ترتيباً موضوعياً ، حيث يتناولون حادثة أو خبراً معيناً من جميع جوانبها ، فيكتبونها كاملة حتى ولو إستغرقت سنوات ، ومن الذين طبقوا هذه الطريقة في كتاباتهم التأريخية : اليعقوبي (ت ٢٩٢ هـ / ٨٩٤ م) في كتابه تاريخ اليعقوبي[4] ، وأبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢ هـ / ٨٨٤ م) في كتابه الأخبار الطوال[5] ، و المسعودي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٤٨ م) في كتابه التنبيه و الأشراف[6] .

وفيما يخص إبن الدواداري في كتابه (كنز الدرر) فإنه سلك منهج سلفه من مؤرخي العصور الوسطى الذين كتبوا في التأريخ العام ، والذين دونوا التأريخ من بداية البشرية إلى عصورهم ، إذ رتب الحوادث و الأخبار و الوقائع من بداية الخلق إلى السنة الهجرية الأولى

---

(١) حسن عيسى علي الحكيم ، كتاب المنتظم لإبن الجوزي (دراسة في منهجه و موارده و أهميته) ، عالم الكتب ، بيروت، ١٩٨٥ م ، ص٢٤٤ .

(٢) كرڤان آميدي ، الكرد في كتابات المؤرخ إبن الأثير الجزري ، مطبعة الحاج هاشم ، أربيل ، ٢٠٠٦ م ، ص٤٩ ؛ طارق محمود أبو هدهود ، إبن الأثير و دوره في الكتابة التاريخية ، دار فضاءات للنشر ، عمان ـ الأردن ، ٢٠٠٩ م ، ص١١٧ – ١١٨ .

(٣) جنان جليل محمد الهموندي ، مرآة الزمان في تأريخ الأعيان (٣٤٥ ـ ٤٤٧ هـ) ، رسالة الماجستير ، جامعة بغداد ـ كلية الآداب ، بغداد ، ١٩٨٧ م ، ص١١٠ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، تعليق : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢ م ،ج ١ – ج٢ / ٧ – ٥٩٠ .

(٥) أبو حنيفة الدينوري ، الأخبار الطوال ، تحقيق : عصام محمد الحاج علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١ م ، ص٣١ – ٥٩٥ .

(٦) المسعودي ، التنبيه و الأشراف ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٩٣ م ، ص٢ – ٤٠١ ؛ هادي حسين حمود ، منهج المسعودي في بحث العقائد و الفرق الدينية ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ـ كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥ م ، ص٧٨ .

بنظام وحدة الموضوعات ، ومن السنة الهجرية الأولى ينتقل إلى النظام الحولي ، وهناك عدة من المؤرخين نهجوا هذا الأسلوب من الكتابة التأريخية قبل إبن الدواداري ، ومن الذين سلكوا هذه الطريقة أمثال الطبري في كتابه (تاريخ الأمم و الملوك) ، وإبن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) ، سبط إبن الجوزي في كتابه (مرآة الزمان) ، والجدير بالذكر أن المؤرخ لما يأتي على سنة الهجرية الأولى يقول : ((ولنبتديء من هاهنا بذكر سياقة التأريخ كل سنة من أول عام الهجرة))[1] .

٢ . العرض الأدبي :

وقد إعتنى إبن الدواداري بالجانب الأدبي كثيراً في مؤلفاته بشكل عام ، وفي كتابه كنز الدرر بشكل خاص ، ومع أن هذا الكتاب يختص بالتأريخ ، إلا أنه لم يهمل هذا الجانب بل خصص مساحة كبيرة من كتابه لذكر الشعراء و أشعارهم ، واستعمل أيضاً المختارات الشعرية و النكات و النوادر و الكلمات الضاحكة و الرقائق و المدائح و الحكايات ، ومما يميز المؤرخ إبن الدواداري عن غيره من المؤرخين هو أنه خصص في نهاية كل جزء من كتابه (كنز الدرر) ماعدا الجزأين الأول و التاسع صفحات كثيرة لذكر شعراء تلك الحقبة ، التي تكلم عنها في ذلك الجزء ، فمثلاً ذكر شعراء الجاهلية و أشعارهم في نهاية الجزء الثاني[2]، وفي الجزء الثالث ذكر بقية الشعراء المخضرمين[3]، وفي الرابع ذكر شعراء الإسلام إلى حين إنقضاء دولة بني أمية بالمشرق[4]، وفي الخامس ذكر المخضرمين من صدر شعراء

(١) كنز الدرر ، ٣ / ٥٣ .

(٢) نفسه ، ٢ / ٣٦٥ .

(٣) نفسه ، ٣ / ٤١٤ .

(٤) نفسه ، ٤ / ٥٠٤ .

الدولتين الأموية و العباسية [1]. وفي السادس ذكر شعراء المئة الرابعة من أهل المغرب ، و المختار من أشعارهم في طبقتي المرقص و المطرب ، وذكر فيه أيضاً شعراء المئة الخامسة من أهل المغرب [2].

وفي السابع ذكر شعراء المئة السادسة من أهل المشرق ومن أهل المغرب ، و المختار من أشعارهم في طبقتي المرقص و المطرب ، وذكر فيه أيضاً شعراء المئة السابعة من أهل المشرق و من أهل المغرب ، والمختار من أشعارهم في المرقص و المطرب[3] ، وفي الثامن يذكر الشعراء الذين أدركهم وعاصرهم تحت عنوان : (صور من أدب العصر) [4] ، فعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر نموذجين من هذه الأشعار ، التي ذكرها و استشهد بها إبن الدواداري في كتابه ، فيذكر لنا أن الشاعر إبن الظهير الإربلي[5] يقول :

قلبي و طرفي ذا يسيل دماً و ذا   دون الورى أنت العليم بقرحه

وهما بحبك شاهدان و إنما   تعديل كل منهما في جرحه[6]

وكذلك أشار إلى أن الشاعر إبن عبدالله الكردي يقول :

إذا ما اشتقت يوماً أن أراكم   وحال البعد بينكم و بيني

---

(١) نفسه ، ٥ / ٤١٦ .

(٢) كنز الدرر ، ٦ / ٥٧٣ – ٥٧٩ .

(٣) نفسه ، ٧ / ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠ .

(٤) نفسه ، ٨ / ٣٨٤ .

(٥) إبن الظهير الإربلي (٦٠٢ – ٦٧٧ هـ / ١٢٠٥ – ١٢٧٨ م) : وهو محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد إبن أبي شاكر ، المعروف بـ (الشيخ مجد الدين إبن الظهير الإربلي) ، وكان من أحد فقهاء الحنفية ، وشاعراً و أديباً بارزاً في عصره ، ولد في مدينة إربل سنة (٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م) ، وتنقل في العراق و الشام ، ومات بدمشق سنة (٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) ، فدفن بمقابر الصوفية ، له عدة مؤلفات منها : تذكرة الاريب وتبصرة الاديب ، و مختصر أمثال الشريف الرضي ، و ديوان شعر . ينظر : الكتبي ، فوات الوفيات ، ٣ / ٣٠١ – ٣٠٢ ؛ الصفدي ، المصدر السابق ، ٢ / ٨٧ – ٨٩ ؛ إبن أبي الوفاء الحنفي ، الجواهر المضية .. ، ٣ / ٥٢ – ٥٣ ؛ الزركلي ، المرجع السابق ، ٥ / ٣٢٣ .

(٦) كنز الدرر ، ٧ / ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .

بعثت لكم سواداً في بياض   لأنظركم بشيء مثل عيني [1]

ثانياً / ترتيب الحوادث و السنين :

أما فيما يخص أسلوبه في تنظيم و ترتيب مواد كتابه فنجد أنه رتب الأحداث و الموضوعات بشكل منظم ، بحيث لايرى فيها إشكالاً من هذه الناحية ، حيث راعى التسلسل الزمني للأحداث ، لأهمية ذلك من الناحية التأريخية ، ويبين إبن الدواداري في عدة أماكن من كتابه سبب تقديم موضوع مكان موضوع آخر ، فمثلاً عندما يقدم ذكر السموات العليا على ذكر الأرض يقول : ((رأيت كثيراً من أرباب التواريخ يقدمون ذكر خلق الأرضين ، و تأملت ذلك فلم أجد لهم دليلاً على ذلك ، و نظرت فإذا القرآن العظيم جميع آياته الشريفة تتضمن تقديم[2] السموات على الأرض ، منها قوله تعالى: ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض ﴾ [3]، وأنظارها في جميع الكتاب العزيز ، فاقتديت بذلك و ابتدأت))[4] .

وقد كان إبن الدواداري يرتب موارد كتابه بشكل منظم ، إذ كان يستفتح كلامه عن التأريخ في كل سنة هجرية بعنوان (النيل المبارك في هذه السنة) ، ثم يذكر أسماء الذين كانوا في مقاليد الحكم في تلك السنة من الخلفاء و الأمراء و السلاطين و النواب و القضاة و الولاة و الوزراء .. الخ ، ثم يضع عنواناً آخر بعد ذلك وهو (مالخص من الحوادث) فذكر فيه أهم أحداث هذه السنة بشكل مختصر و ملخص ، ثم بعد ذلك يأتي و يتكلم عن الأحداث بشكل تفصيلي .

---

(١) نفسه ، ٧ / ٣٩٩ .

(٢) وردت هذه الكلمة في (كنز الدرر ، ١ / ٣٠) بشكل تقدمة ، والصحيح تقديم .

(٣) سورة التغابن ، الآية (١) ؛ سورة الجمعة ، الآية (١) ؛ سورة الصف ، الآية (١) .

(٤) كنز الدرر ، ١ / ٣٠ .

يمكن القول بأن هذا الإهتمام بذكر نهر النيل من قبل إبن الدواداري في كتابه يميزه عن المؤرخين الآخرين ، إذ لم يسبقه أحد في هذه المسألة ، ويشير إلى هذا الأمر بنفسه حين يقول : ((وقد إعتنيت بذكر هذا النيل في هذا التأريخ بما لم يعتن به أحد من المؤرخين))[١]، وقد خصص مساحة أكبر لنهر النيل عند ذكره الأنهار في الجزء الأول من كتابه ، وفضلاً عن ذلك على رأس كل سنة هجرية يستفتح كلامه بذكر الحوادث و الأخبار في تلك السنة بالإشارة إلى قياس نهر النيل ، وذلك تحت عنوان : (النيل المبارك في هذه السنة) ، وبدأ بهذا الشيء في السنة الهجرية الأولى ، كما يشير إلى ذلك حين يقول : ((ذكر إبتداء سياقة ذكر النيل المبارك في أول كل عام من أول الهجرة))[٢] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض المؤرخين الذين أتوا بعد إبن الدوداري إهتموا بذكر نهر النيل أيضاً ، ولكن مما يميز هؤلاء المؤرخين عن إبن الدواداري أن الأخير يذكر هذا النهر في بداية كل السنة ، إلا أن الآخرين ذكروا هذا النهر في نهاية كل السنة[٣] .

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ١٩٢ .

(٢) نفسه ، ٣ / ٥٤ .

(٣) إبن تغري بردي ، حوادث الدهور في مدى الأيام و الشهور ، تحقيق : محمد كمال الدين عزالدين ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٠ م ، ١ / ٦٠ ، ٧٧ ، ٩٧ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٣٧ ، ... ؛ النجوم الزاهرة .. ، ١ / ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠، ... ؛ اليوسفي ، نزهة النظار في سيرة الملك الناصر ، تحقيق : أحمد حطيط ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص١٥٩ ، ٢٢٩ ، ٢٨٢ ، ٣٣٧ ، ٣٩٣ .

المبحث الثاني

منهجه في إيراد التراجم

١ . طبيعة التراجم و أسس إنتقائها :

إن التأريخ كما يهتم بدراسة الحوادث و عجائب الأمور من الماضي ، فإنه أيضاً يدرس الأعلام و الرجال ومعرفة عواقب أحوالهم[١]، فعلى هذا الأساس يتبين أن معظم المؤرخين السابقين لاتخلو كتاباتهم التأريخية عن سرد ترجمة الأعلام و المفكرين و القادة و السياسيين ، ومع أن كتاب (كنز الدرر و جامع الغرر) كتاب عام في مجال التأريخ ، فإنه يعد من الكتب المفيدة لحقل التراجم و السير ، حيث ورد تراجم معظم مكونات المجتمع من العلماء و الأعيان والمفكرين و القادة، سواء كانوا رجالاً أو نساءً ، فعلى سبيل المثال نستشهد ببعض ممن أشار إليهن إبن الدواداري من العنصر النسوي في كتابه (كنز الدرر) ، فروى أن فاطمة خاتون[٢] بنت الملك الكامل في سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م) وصل إلى زوجها (الملك العزيز) حاكم حلب ، ثم يشير إلى وصول غازية خاتون[٣] بنت السلطان الملك الكامل إلى زوجها الملك المظفر حاكم حماه في السنة نفسها [٤] .

---

(١) السخاوي ، المصدر السابق ، ص١٧ – ١٨ .

(٢) فاطمة خاتون : وهي فاطمة خاتون بنت الملك الكامل محمد بن العادل سيف الدين أبوبكر بن نجم الدين أيوب ، زوجة الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي بن السلطان الناصر يوسف بن أيوب حاكم حلب ، وبعد وفاة العزيز تزوجت بالملك الصالح أحمد بن الظاهر غازي . ينظر : الحنبلي ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق : ناظم رشيد شيخو ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ م ، ص٣٨٥ – ٣٨٦ ؛ سجى مشعل رشيد الطائي ، النساء الأيوبيات و دورهن الحضاري في بلاد الشام في العصر الأيوبي ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ـ كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٩ م ، ص٤٣ – ٤٥ .

(٣) غازية خاتون : وهي غازية خاتون بنت الملك الكامل محمد بن العادل سيف الدين أبوبكر بن نجم الدين أيوب ، زوجة الملك المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب حاكم حماه ، والدة الملك المنصور محمد بن المظفر ، توفيت سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) . ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من الباحثين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٤ م ، ٢٣ / ٣٤٧ ؛ الحنبلي ، المصدر السابق ، ص٣٨٢ – ٣٨٥.

(٤) كنز الدرر ، ٧ / ٣٠٤ .

ويذكر أيضاً بأن وفاة ضيفة خاتون[1] أدى إلى سيطرة الملك الناصر صلاح الدين على البلاد كلها ، وبسبب صغر سنها كانت ترجع في قراراتها إلى الأمير جمال الدولة إقبال الخاتوني و الوزير القاضي جمال الدين بن القفطي ، وكان بلغ من العمر ثلاث عشرة سنة فقط[2] .

يختلف في ترجمته من شخص لآخر ، فيطول و يقصر بحسب مايتوفر لديه من المعلومات ، أو حسب أهمية المترجم له ، فمنها ما لايتعدى سطراً أو سطرين مثل ترجمة الملك المنصور ناصرالدين محمد بن الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين[3] ، ومنها ما يتجاوز الصفحات مثل ترجمته للسلطان صلاح الدين الأيوبي[4] ، ومنها ما يتعدى ذلك حيث قام بتخصيص جزء كامل لسيرة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وهو الجزء التاسع من كتابه فسماه ((الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)) .

وكان إبن الدواداري يشير في بداية كل سنة لمن كانوا في السلطة كالخليفة ، والأمراء، السلاطين ، و النواب ، والقضاة ، والوزراء ، والقادة العسكريين ، والمتمعن في كتاب (كنز الدرر) يرى أن بعض أجزائه لها أسماء يدخل ضمن صنف التراجم ، ومنها (الدر الثمين في أخبار سيد المرسلين و الخلفاء الراشدين) ، و (الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب) ، و (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) ، وفضلاً عن ذلك يسرد إبن الدواداري تأريخه في معظم كتابه على وفق ترتيب تسلسل تولي حاكم دولة ما السلطة في البلاد ، فيرتب الموضوعات وفق تولي الخليفة الحكم ، فيذكر كل الأخبار و الوقائع التي حدثت خلال حكم هذا الخليفة ، ثم يعقبها بذكر الأحداث بالخليفة الذي يليه ، ونرى هذا

---

(١) ضيفة خاتون : وهي ضيفة خاتون بنت السلطان العادل أبي بكر بن نجم الدين أيوب ، زوجة الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف حاكم حلب ، توفيت سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) . ينظر : إبن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د . ت . ، ٥ / ٣١٢ – ٣١٣ ؛ الحنبلي ، المصدر السابق ، ص٣٢٨ – ٣٢٩ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٣٥١ .

(٣) نفسه ، ٧ / ١٣٦ .

(٤) نفسه ، ٧ / ٤٧ – ١٢٢ .

الشيء في كثير من الأجزاء الكتاب ، وبحكم إحتكاكه المباشر بكبار رجال الدولة السياسيين و العسكريين ، فقد حظي هؤلاء وبالذات أمراء الأيوبيين و سلاطين المماليك بالقسط الأوفر من تلك التراجم ، ثم يأتي بعده الأصناف الأخرى من المجتمع .

وفيما يخص طبيعة التراجم من الناحية الزمانية فنجد أن ممن ذكر إبن الدواداري أخبارهم و ترجم لهم في كتابه لم ينحصر في الفترة الزمنية محددة ، و إنما في كل حقبة زمنية والتي خصص لها المؤرخ جزءاً من كتابه أورد فيه سيرة عدد من المشاهير و الأمراء و الخلفاء و السلاطين و الملوك ، وكذلك لم يكن هناك توازن بين الترجمين لهم ، أي لم يذكر في جميع السنوات عدداً مماثلاً من الأعلام و المشاهير ، وكان ذلك يتم على وفق غنى كل سنة بالأحداث ، وعدد الذين ساهموا فيها .

وأما من الناحية المكانية فإن إبن الدواداري لم يهتم فقط بمنطقة معينة ، و إنما تراجمه شملت معظم مناطق من العالم الإسلامي ، وعلى هذا الأساس نجد أنه يترجم لمن يرى هو مهماً في نظره ، أو الذين كانوا لهم شأن كبير في سير الأحداث التأريخية ، فلم بمكان معين فكما ترجم لخلفاء العباسيين في العراق مثل الخليفة المستنجد بالله بن المقتفى لأمر الله[١] ، فإنه ترجم أيضاً للخليفة الفاطمي العاضد لدين الله في بلاد مصر[٢] ، وللملك عبدالمؤمن سلطان المغرب[٣] ، و السلطان علاءالدين خوارزم شاه في المشرق الإسلامي[٤] .

(١) كنز الدرر ، ٧ / ١١ – ١٢ .

(٢) نفسه ، ٧ / ١٢ – ١٣ .

(٣) نفسه ، ٧ / ٢٢ .

(٤) نفسه ، ٧ / ٢١٧ .

٢ . عنصر الترجمة :

يوجد معظم عناصر الترجمة لمن ترجم لهم في كتاب (كنز الدرر و جامع الغرر) ، فلما يأتي إبن الدواداري على ذكر سيرة المشاهير و الأعلام ، يسرد جميع عناصر تراجم له مثل :

١ . الإسم و اللقب و النسب و الكنية

٢ . الوظيفة

٣ . مولده و نشأته

٤ . مكانته السياسية و الإجتماعية و العلمية .

٥ . وفاته ، تاريخها و سببها .

تتوافر في معظم الأحيان جميع هذه العناصر في ترجمة شخص ما ، وفي بعض الأوقات يتوفر بعض منها ، فيذكر إبن الدواداري الإسم أولاً ، ثم يأتي بعده اللقب و الكنية و النسب و مولده و وظيفته ، ثم يذكر معلومات وافية عن الذين ترجم لهم ، من حيث نشأته و مكانته العلمية و الإجتماعية ، وفي النهاية يشير إلى وفاة المترجم له تاريخها و مكانها ، فيذكر اليوم و الشهر و السنة ، وبيان سبب الوفاة حسب المستطاع ، وقد إهتم إبن الدواداري في كتابه بشكل كبير بذكر سنوات ولادات ووفيات كثير من أعلام و رجال السياسة ، ونجد أنه يذكر في كل سنة وفيات عدد من الأشخاص ، فيقول : ((توفي فيها فلان ..)) ، وكان في بعض الأوقات يشير إلى سنة الولادة فقط ، دون إشارة إلى سنة وفاته مباشرة ، و إنما ذكرها في مكان آخر ، أو لم يذكرها نهائياً ، ومن الذين ذكر سنوات ولاداتهم نجد أنه يشير إلى أن الملك المنصور ناصرالدين محمد بن الملك العزيز عثمان ولد في سنة (٥٨٥ هـ / ١١٨٧م)[1] .

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ١٠٣ .

وفي الأوقات الأخرى نجده يذكر سنة وفاة شخص ما دون إشارته إلى سنة ولادته ، فعلى سبيل المثال نستشهد ببعض ممن ذكر لهم المؤرخ سنة وفاتهم ، ومنهم الأمير شادي الكردي حاكم آمد ، الذي أشار إليه أنه توفي سنة (٣٧٦ هـ / ٩٧٨ م)[١] ، ثم الأمير نصر بن مروان حاكم دياربكر الذي ذكره بأنه توفي سنة (٤٧١ هـ / ١٠٧٣ م)[٢] .

وأحياناً يذكر سنة الولادة و الوفاة معاً ، فنجده يذكر بأن صلاح الدين الأيوبي ولد في سنة (٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م) في تكريت[٣] ، أما فيما يخص وفاته فكانت في سنة (٥٨٩هـ / ١١٩٣ م) ، عن عمر ناهز سبعاً و خمسين سنة ، حكم خلالها بلاد مصر نحو أربع و عشرين سنة ، وبلاد الشام تسع عشرة سنة[٤] ، وهذا الرأي يتفق مع غالبية المصادر التاريخية الأخرى[٥] .

وأما ما يخص أسلوبه في ذكر هذه الأشياء فإما يذكره في بداية السنة ، أو يذكره في نهاية السنة وذلك بعد تفرغه من كلامه عن رواية الأحداث ، فيما يخص الذين ذكر وفياتهم في بداية السنة فعلى سبيل المثال لا الحصر أنه أشار في بداية سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٢ م) وفيات كل من (شاه أرمن) حاكم خلاط[٦] ، و قطب الدين حاكم ماردين ، و نورالدين بن

---

(١) كنز الدرر ، ٦ / ٢١٦ .

(٢) نفسه ، ٦ / ٤٠٥ .

(٣) إبن شداد ، النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٤ م ، ص٦ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٢١ / ٢٧٩ .

(٤) كنز الدرر ، ٧ / ١١٤ .

(٥) إبن شداد ، النوادر السلطانية .. ، ص٢٤٦ ؛ أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين (النورية و الصلاحية) ، تحقيق : إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٧ م ، ١ / ٢٧ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٢١ / ٢٨٧ .

(٦) خلاط (أو خلات) : وهي مدينة كبيرة و مشهورة في بلاد أرمينية ، بها جامع و نهر . ينظر : المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، ١٩٨٧ م ، ص٢٨٩ ؛ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٣٨٠ – ٣٨١ ؛ القزويني ، آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د . ت . ، ص٥٢٤ .

فخرالدين حاكم آمد[1] ، وكذلك ذكر وفاة كل من : أبو الحسن علي بن محمد أبو سعد ، الملقب بـ (تاج الدين بن حمدان) ، صاحب كتاب (التذكرة الحمدونية) ، و فخرالدين إياز جهاركس[2] ، والملك المؤيد مسعود بن السلطان صلاح الدين ، في بداية سنة (٦٠٨هـ / ١٢١٠ م) [3].

وأما من الذين ذكر وفياتهم في نهاية السنة فنذكر على سبيل المثال لا الحصر ، أنه يذكر في سنة (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) أنه توفي فيها كل من : المؤرخ سبط إبن الجوزي صاحب التأريخ الكبير (مرآة الزمان) ، والقاضي عمادالدين الكاتب الأصفهاني صاحب كتاب (البرق الشامي) ، والأمير بهاءالدين قراقوش الأسدي[4] ، وقطب الدين بن محمد بن قرا ارسلان صاحب آمد و حصن كيفا[5] ، وكذلك أشار إلى أنه توفي سنة (٦٤٣ هـ / ١٢٤٥م) كل من : الملك المظفر شهاب الدين غازي ، والملك المغيث بن السلطان الصالح إسماعيل [6].

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٧٨ .

(٢) فخرالدين جهاركس : هو أبو المنصور جهاركس بن عبدالله الناصري ، الملقب بـ (فخرالدين) ، كان من أكابر الأمراء الصالحية ، توفي سنة (٦٠٨ هـ / ١٢١٠ م) بدمشق ، و دفن بجبل الصالحية . ينظر : الصفدي ، المصدر السابق ، ١١ / ١٥٨ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ١٧٠ .

(٤) بهاءالدين قراقوش : هو بهاءالدين قراقوش الأسدي ، كان خادم أسدالدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين الأيوبي، وجعله السلطان صلاح الدين زمام قصره ، توفي سنة (٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) . ينظر : كنز الدرر ، ٧ / ١٥١.

(٥) كنز الدرر ، ٧ / ١٥٠ – ١٥١ .

(٦) نفسه ، ٧ / ٣٥٧ .

المبحث الثالث

خصائص منهجه

١ . النقد والتفحيص و التمحيص :

يعد مبدأ النقد من الأمور الضرورية و المهمة في مجال الكتابة التأريخية ، والقصد من النقد الوصول إلى الحقيقة ، وابتكر هذا العلم من قبل علماء المسلمين ، ولاسيما الذين كانوا يعملون في حقل علم الحديث ، وعرف عندهم بـ (علم الجرح و التعديل) ، وهو ما يمكن من خلاله أن تميز الأحاديث الصحيحة عن الضعيفة[1] ، وبلاشك أن هذا العلم يحتاج إليه أيضاً المؤرخ أو الباحث ، كي يتمكن من خلاله أن يميز الصحيح عن غيره في معلوماته الذي أخذه من المصادر ، وكذلك لمعرفة الرواة و مصداقيتهم في مجال كتاباتهم ، وإذا نظرنا إلى مناهج المؤرخين القدامى في الكتابة التأريخية نجد أن قسماً منهم طبقوا هذا العلم في مؤلفاتهم ، وكان إبن الدواداري واحداً من هؤلاء حيث إلتزم في أماكن كثيرة من كتابه (كنز الدرر) بنقد السند و نقد المتن ، كما يأتي ذكرها لاحقاً .

ويقصد من نقد السند معرفة الرواة ، لأن السند هو سلسلة رواة الخبر ، فتجب عليك معرفة أحوالهم و سيرهم ، و التأكيد على صحة نقلهم الخبر المروي ، ويتأتى ذلك من خلال معرفة الصادق عن غيره ، أما نقد المتن فنقصد منه معرفة صحة النصوص ، وخلوها من الأشياء الغريبة التي تخالف المنطق ، أوالتي تكون قريبة من الخرافة و الأسطورة ، ويتحقق ذلك من خلال تمحيص النص و تدقيقه للوصول إلى ماهو ضعيف من بين تلك النصوص[2] .

---

(١) علم الجرح و التعديل : هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة و تعديلهم بألفاظ مخصوصة ، وعن مراتب تلك الألفاظ ، ويهتم هذا العلم ببيان مرتبة الرواة من حيث تضعيفهم أو توثيقهم بتعابير فنية متعارف عليها عند العلماء ، ونشأ هذا العلم في صدر الإسلام ، واشتد و قوي في القرنين الأول و الثاني الهجريين ، و امتد و اتسع في القرنين الثالث و الرابع الهجريين . ينظر : سيد عبدالماجد الغوري ، المدخل إلى دراسة علم الجرح و التعديل ، دار إبن كثير ، دمشق ـ بيروت ، ٢٠٠٧ م ، ص٢٨ – ٢٩ ، ٤٢ .

(٢) عثمان موافى ، منهج النقد التاريخي الإسلامي و المنهج الأوربي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ـ مصر ، ١٩٩٤ م ، ص٩٩ – ١١٥ .

ومن خلال قراءتنا كتاب (كنز الدرر) نجد أن إبن الدواداري يهتم بنقد المتن أكثر من نقد السند ، والقصد من نقد المتن أي النقد الداخلي للرواية ، ونحاول أن نذكر هنا بعضاً من النماذج التي أخذناها من كتاب كنز الدرر ، فنرى أنه ينقد نصاً نقله عن المسعودي[1] عن الأفلاك و البروج ، وفيه إشارة إلى أنه غير صحيح و خرافي ، عندما يقول: ((هذا كلام خرافة لا يصح في النقل ولا يتصور في العقل ، و إنما ذكرته كونه ذكر أيضاً))[2] .

وفي مكان آخر من كتابه ينقد نصاً آخراً نقله أيضاً من المسعودي[3] فيما يخص عظمة ملك الله تعالى ، ويصفه بأن فيه مبالغة ، عندما يقول : ((وهذه الأخبار و الآثار مبالغة في عظمة ملك الله تعالى الذي لايحد ، و يكفي من ذلك قوله تعالى : ﴿ ولايحيطون بشيء من علمه ﴾[4] .))[5] ، وفي مكان آخر يشير إلى رواية أخرى نقله عن إبن حوقل وجد فيها مبالغة ، كما يقول : ((قصده عرض المسافة من الإسكندرية إلى القلزم[6] فهو أكثر من ذلك ، و إن قصد من دمياط فأيضاً أكثر مما ذكر ، والنهار يقطع في مرحلتين ، والمسافة بينهما خمسة أيام بعشرة مراحل))[7].

وأحياناً يذكر نصاً ويعده ضعيفاً ، فمثلاً عندما يروي لنا خبراً عن ذي القرنين يقول: ((هذه رواية ضعيفة ، إن كان قصدهم ذو القرنين الإسكندر اليوناني فإنه لم تطول

---

(١) أخبار الزمان ومن أباده الحدثان و عجائب البلدان و الغامر بالماء و العمران ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٩٦ م ، ص٢٩ – ٣٠ .

(٢) كنز الدرر ، ١ / ٤٠ .

(٣) أخبار الزمان ، ص٤٠ – ٤١ .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٥٥) .

(٥) كنز الدرر ، ١ / ٤٨ .

(٦) القلزم : هو بحر القلزم ، يطلق عليه في الوقت الحالي البحر الأحمر ، والقلزم أيضاً بلدة على ساحل بحر اليمن ، قرب أيلة و الطور و مدين ، وإلى هذه المدينة ينسب هذا البحر . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٣٨٧ – ٣٨٨ .

(٧) كنز الدرر ، ١ / ١٦٧ .

مدتـه إلى أربعـين سـنة ، و إن أعنـوا ذوالقـرنين الأول فلعلـه)) [1]. وفي بعـض الأحيـان نـراه يـرفض مـصداقية الـنص جملـة و تفـصيلاً ، فمـثلاً عنـد نقلـه روايـة عـن إبـن الجـوزي حـول إنتشار الوباء العظيم ببلاد مصر ، يقول : ((و أما قولـه في الوبـاء فإنـه لم يكـن قـط بمـصر الوباء العظيم ، إلا مع الغلاء العظيم ، نعوذ بـالله مـن شـرهما ، والغـلاء فـلا يكـون بمـصر إلا لقلة طلوع النيل ، وعدم وفاه دون الستة عشر ذراع ، وربما يقع في بعض السنين وباء))[2].

وفي نـص آخـر نجـده يـصف الروايـة بعـدم الـصحة ، عنـدما ينقـل خـبراً لم يـبين لنـا مصدره بأنه جاء فيه أن عباس وزر للحافظ في سنة (٥٤٣ هـ / ١١٤٥ م) ، فيقول : ((وهذا غلط من صاحب هذا التأريخ الذي منه ننقل ذلك ، فإن عباس لم يتوزر للحافظ قط ، ولعلـه غلط في السنين ، أو من ناسخ الجزء وقع السهو)) [3] .

هذا ولم يكتف إبن الـدواداري بالإشارة إلى وجود غلـط في الروايـة ، بل نجده في بعض الأحيان يصحح هذا الغلط ، فعلى سبيل المثال يـشير إلى أن الجـوهري قال : ((الفيـوم مـن أرض مصر ، قتل بها مروان بن محمد آخر ملوك بـني أميـة)) ، فيـأتي و يؤكـد لنـا أن هـذا القـول لـيس صـحيحاً ، ثـم يـصححه فيقـول : ((قتـل مـروان بقريـة بوصـير مـن عمـل غـير الفيوم، بل من عمل البهنسا من طرف صعيد مصر))[4].

وهذا يدل على أن إبن الدواداري لم يكـن نـاقلاً للأخبـار فقط ، و إنمـا كـان في كـثير مـن الأحيان يدقق و يفحص و يمحص الخبر ، ثم بعد ذلك ينقلـه و يـتكلم عنـه ، كمـا يـذكر لنـا هـو حين يقـول : ((هـذا صـحيح ، وقـد فحـصت عنـه و حكـى لـي جماعـة لا أشـك في قـولهم بصحة ذلك)) [5] .

(١) كنز الدرر ، ١ / ١٦٨ .
(٢) نفسه ، ١ / ١٩٢ .
(٣) نفسه ، ٦ / ٥٤٨ – ٥٤٩ .
(٤) نفسه ، ١ / ١٩٤ .
(٥) نفسه ، ١ / ٢٢٦ .

وفي مكان آخر يقول : ((إنتهى الكلام فيما وقعنا عليه من العجائب ، وذلك ما حققناه بالإسناد إلى الثقاة من الرواة ، وما عدا ذلك من الأحاديث الشاذة فأضربنا عنها لقلة الثقة بناقليها))[١] ، ومن جانب آخر يقول : ((هكذا يقول أكثر الرواة بأنه سيف بن ذي يزن ، قلت : صححت ذلك أنه معدي كرب بن سيف بن ذي يزن))[٢].

٢ . مبدأ الشك في مضمون المعلومات :

يعد مبدأ الشك من الوسائل المهمة للوصول إلى مصداقية الروايات و الأخبار ، حيث من المعروف أنه لايشترط أن يكون كل ما جاء في المصادر صحيحاً ، وأشار إلى ذلك عدد من المؤرخين في مؤلفاتهم ، على الرغم من عدم ذكرها عند البعض الآخر ، ويشير إبن الدواداري إلى ذلك في كتابه ، حين يقول : ((قد أتيت بعون الله تعالى و حسن توفيقه بجميع ما إشترطته في ذكر ما قدمه التأريخ من غريب الكلام و حسنه ، ما لعله ما جمع في تاريخ غيره ، ومع ذلك فإني معترف بالتقصير ، واللسان القصير ، وليس الإعتماد إلا على إسبال ذيل الفتوة من كل واقف عليه ، وأسأله سؤال متضرع إليه ، أن يدعو لي بالمسامحة فيما اقترفت ، فإنني عبد بالخطأ قد إعترفت ، ولايبخل علي بما قد سألته فيه ، وبعض هذا السؤال لكل ذي بصيرة يكفيه))[٣] ، وكذلك يقول في مكان آخر عندما يذكر غرائب نهر النيل : ((وفيه شيخ البحر وهو على صورة آدمي ، وله لحية طويلة ، والغالب أنه يكون بنواحي دمياط وهو مشؤوم ، فإذا رؤي في سنة من السنين دل على الغلاء و القحط و الموت و الفتن ، ويقال إنه ظهر في دمياط سنة أخذوها الفرنج ، قلت : هذا يقال قولاً لم أعلم صحته من سقمه))[٤] .

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ٢٦٥ .

(٢) نفسه ، ٣ / ١٢ .

(٣) نفسه ، ٢ / ٢٠٦ .

(٤) نفسه ، ١ / ١٩٦ .

ومن هذا المنطلق يجب علينا أن نبدأ دراستنا عن موضوع ما بمبدأ الشك ، حيث أنه مبدأ كل باحث يريد أن يصل إلى الحقيقة ، ويسجل لنا القرآن الكريم أهمية هذا المبدأ للوصول إلى اليقين ، فيذكر لنا قصة النبي إبراهيم (عليه السلام) عندما يحاور جل جلاله في قضية التعبد ، كما يقول سبحانه و تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [1] .

وعلى هذا يبدأ كل باحث بمبدأ الشك في النصوص المنقولة عن المصادر ، وبعد ذلك يأتي فيحلل و يقارن و يعلل الروايات ، لكي يميز صحيحها عن سقيمها ، ولكي يتمكن من تحقيق ذلك عليه جمع معلومات كافية عن الموضوع المقصود ، وكان من مميزات منهج إبن الدواداري أنه إلتزم بهذا المبدأ كثيراً ، ولاسيما في الحوادث و الأخبار التي نقلها ولم يكن متأكداً من صحتها ، فنجد أنه يستعمل دائماً مصطلح (والله أعلم) في أماكن كثيرة من كتابه [2]، وكان إبن الدواداري يهدف من ذلك أن يعطينا تصوراً بأنه يشك في صحة هذا الخبر ، وكذلك يريد من خلال هذا أن يدفعنا نحو تحقيق و دراسة ذلك الشيء، ومن ناحية أخرى أراد أن يبعد عن نفسه المسؤلية في نقله الخبر ، أو لإظهار تواضعه للقارىء ، مع أنه كان متأكداً في بعض الأحيان من الخبر المنقول أو المعقب من قبله .

(١) سورة الأنعام ، الآية (٧٥ – ٧٩) .

(٢) كنز الدرر ، ١ / ٤١ ؛ ٢ / ١٢ ؛ ٣ / ٣٩ ؛ ٤ / ٩ ؛ ٥ /١٥ ؛ ٦ / ٢٦ ؛ ٧ / ١٠ ؛ ٨ / ٣٣ ؛ ٩ / ٤٠ .

٣ . الأمانة العلمية :

من الشروط الأساسية في المؤرخ الناجح المحافظة على الأمانة العلمية ، وأبرز ما في هذا المجال الإشارة إلى المصدر المنقول عنه ، أو ينقل الأخبار و الحوادث كما هو دون زيادة أو نقصان ، فمن الضروري أن يكون المؤرخ حيادياً في سرده للأحداث التأريخية ، و أن لاينحاز إلى شخص أو قوم أو طائفة أو فئة معينة ، لأن الإنحياز يؤدي إلى عدم تدوين الأخبار كما هي ، وكذلك إلى قلب الحقائق ، وهذا ما يقلل من شأن الباحث أو المؤرخ ، وأيضاً من القيمة العلمية للكتاب .

ولم يكن أسلوب إبن الدواداري في هذا الموضوع متشابهاً في جميع الأوقات ، فكان غالباً ما نجد أنه يشير إلى المصدر الذي نقل عنه الخبر ، ولكنه في بعض الأحيان لايذكر إسم المصدر المنقول ويكتفي بذكر العبارات الآتية : ((قال ..))[(١)] ، أو ((قيل)) [(٢)] ،أو أو ((حكى ..))[(٣)] ، أو ((حدثني ..))[(٤)] أو غير ذلك ، أوغير ذلك .

ومن مميزاته أنه كان يفصل بين ما يكتبه أو يعقب عليه بعبارة : ((قلت))[(٥)]، فهذا يدل على أن إبن الدواداري كان أميناً فيما ينقله ، لذلك أرى أنه من الضرورة أن يكون هو و أمثاله قدوة لكل باحث و مؤرخ يريد أن يمتاز عمله بالأهمية العلمية .

ومما لوحظ عن إبن الدواداري أنه كان في أغلب الأحيان مقيداً بنقل الخبر أو الحادثة كما هو دون أن يكون متأثراً بالرواية ، حيث تظهر حياديته في الحوادث و الأخبار التي ينقلها ، لكن هذا لايمنعه من أن يقع في بعض الأوقات تحت تأثيرات الآخرين و يصدر منه إنحياز لطرف على حساب آخر ، فعلى سبيل المثال نجد أنه عندما يذكر واقعة حدثت بين

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ١٨ ؛ ٧ / ٥٣ ؛ ٨ / ١٣ .

(٢) نفسه ، ١ / ١٩ ؛ ٦ / ٤ ؛ ٧ / ٢٤ ، ٥٥ .

(٣) نفسه ، ٨ / ٣٢ ؛ ٧ / ١٣٤ ؛ ٨ / ٢٥ .

(٤) نفسه ، ٨ / ٤٣ .

(٥) نفسه ، ٤ / ١٢ .

السلطان عمادالدين زنكي[1] و بين ولدي أرتق ، نرى أنه يمدح السلطان كثيراً ، ويصف معارضيه بأوصاف شنيعة ، وبعد إشارته إلى أن السلطان كسرهم و أسر عدداً كبيراً منهم ، يقول : ((و أباع كل واحد منهما بكلب صيد)) [2] .

٤ . التعليل و التحليل :

وهذه الصفات من المفترض أن تتوافر في كل مؤرخ و باحث ، لأنه يجب أن لايكون ناقلاً فقط ، بل مستنتجاً و معللاً و محللاً ، لكي يكون إنتاجه أو مؤلفه من الناحية العلمية و الفكرية بالمستوى المطلوب ، فنحن نجد أن بعض المؤرخين قد إلتزموا طريقة نقل الأخبار السابقة من مجاميع الحوليات التي سطرها المؤرخون السابقون ، وغالباً ما كان هذا النقل يقع في السقطات السابقة نفسها ، ويتبنى الأخبار غير الممحصة وحتى الخرافات و الأساطير التي ينقلها السلف واحداً عن الآخر ، وكلما تتبعنا الأخبار العائدة إلى الحقبة الموغلة في التاريخ تبرز أمامنا الخرافات و التناقل الحرفي للأخبار دون النظر فيها .

تبين من خلال دراستنا أن إبن الدواداري يختلف عن هؤلاء ، حيث يورد النصوص ، ثم يحللها و يعقب عليها حتى يصل إلى الإستنتاج المطلوب ، و يشير إلى ذلك هو بنفسه حين يقول : ((.. إنتخبته و انتقيته ، وغربلته ونقيته ، من تواريخ رئيسة ، وكتب نفيسة ... فعاد كالحديقة المشرقة ، ذات أشجار مورقة ... ونوادر ملهية ، ومضاحك هزلية ، وملح شهية ، ورقائق مبكية ، وأهاجي منكية ، ومدائح زكية ، وحكايات مليحة بروايات

---

(١) عمادالدين زنكي : هو زنكي بن آق سنقر بن عبدالله ، وكان يلقب بـ (عمادالدين) ، ينتمي إلى قبائل (الساب يو) التركمانية ، ولد في سنة (٤٧٧ هـ / ١٠٧٩ م) ، وتولى الحكم في الموصل سنة (٥٢١ هـ / ١١٢٧ م) ، وكانت سلطته تعرف بالأتابكية الزنكية (أو أتابكية الشام) ، ولعب دوراً كبيراً في صد الحملات الصليبية على العالم الإسلامي ، توفي سنة (٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) في أثناء محاصرته قلعة جعبر . ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٣٢٧ – ٣٢٩ ؛ عمادالدين خليل ، عمادالدين زنكي ، مطبعة الزهراء الحديثة ، الموصل ، ١٩٨٥ م ، ص٣١ .

(٢) كنز الدرر ، ٦ / ٥١٢ .

صحيحة ، بألفاظ فصيحة ، تصل إلى العقول الرجيحة ، فلما كملت مسوداته ، ونجزت آياته ، ألفت كل واقعة في زمانها ، وما جرية[1] في أوانها ، وأقمته تاريخاً غريب المثال ، كثير الحكم و الأمثال ، ولخصت من تواريخ الجمع ما ينزه الناظر ...))[2] .

وأما أسلوبه في الإستنتاج و التعليل و التحليل يختلف من جزء إلى آخر ، و اعتقد أنه كان في موضوعات الأجزاء التي لاتخص عصره تقل إستنتاجاته ، أما في موضوعات الأجزاء التي كانت تخص عصره فتكثر فيها إستنتاجاته و أفكاره ، كما نلاحظ ذلك في الأجزاء التي تتحدث عن الأيوبيين و المماليك ، حيث تظهر بصمات هذا المؤرخ عليها كثيراً ، وفيها ملاحظاته و آراؤه و إستنتاجاته على تلك الحقبة من التاريخ الإسلامي ، وتعد هذه الأجزاء مصدراً ثميناً في تاريخ الأيوبيين و المماليك .

وفي بعض الأحيان كان إبن الدواداري يركز على رواية الحدث دون أن يعنى بالتحليل أو التفسير في إطار العلاقة السببية بين الحوادث التأريخية ، على الرغم من أن المؤرخ كان يحاول إستقصاء الأسباب و تحري الحقائق ، بيد أن ذلك كان يتم بشكل قاصر تماماً عن تحديد العلاقة السببية بين مختلف الظواهر التأريخية التي تحدث عنها ، وهو أمر لايتحمل مسؤولية إبن الدواداري وحده ، باعتبار أن المؤرخ كان ملتزماً بتقاليد كتابة التأريخ التي كانت شائعة في عصره .

٥ . ترجيح الروايات :

الترجيح هو الإتيان بآراء مختلفة و أدلة متنوعة ومن ثم تمحيص هذه الآراء و تدقيقها ، والترجيح وفقاً لما يصل إليه ، وإبن الدواداري أحد المؤرخين الذين إتبعوا هذا الأسلوب في كتابه كنز الدرر ، فعندما يذكر أحداث سنة (٥٦٨ هـ / ١١٧٤ م) يشير إلى روايات كثيرة ، بعد ذلك يقول : ((أن إبن واصل قال إن هذه الواقعة [3] كانت في سنة

(١) وقد وردت هذه الكلمة في (كنز الدرر) خطأ ، والصحيح (جرى) .

(٢) كنز الدرر ، ١ / ٩ .

(٣) يقصد إبن الدواداري واقعة الكرك .

(٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) ، بعد رجوع السلطان[1] من بلاد الشرق ، و أقول إنه الصحيح ، فإن صاحب هذا التأريخ ـ أعني أبو المظفر جمال الدين يوسف ـ الذي نقلت منه هذا التأريخ في أخبار بني أيوب ، كان إذا ذكر واقعة إستمر على ذكرها هل يكون في سنيها أو غير سنيها ، والقاضي جمال الدين بن واصل حرر تأريخ السنين ، فالرجوع إليه في وقائع السنين أولى من غيره))[2] ، فنرى إنه يحسم الأمر بأن هذه الحادثة كانت في سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) وليست في سنة (٥٦٨ هـ / ١١٧٤ م) .

وفي مكان آخر عندما يذكر لنا عدد البحار الموجودة في العالم ، يشير إلى وجود إختلاف بين العلماء و المؤرخين في العدد ، فيأتي لنا بثلاثة آراء مختلفة في هذا الموضوع ، رأي لإبن عباس يقول : بأنها سبعة أبحر ، والثاني لمقاتل يقول : إنها خمسة أبحر ، أما الثالث لمجاهد فيقول : أربعة أبحر ، ويرجح إبن الدواداري رأي إبن عباس على الآخرين ، حيث يقول : ((إن السموات سبع ، والأرضين سبع ، والنجوم السيارة سبع ، والأيام سبع ، وخلق الإنسان من سبع ، لقوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾[3] ، والرزق من سبع ، لقوله تعالى : ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴾[4] ، ومن قال بالأربع و الخمس فهي داخلة في السبع))[5].

وأحياناً نجد أنه يقارن بين مصدرين ويفضل أحدهما على الآخر ، فحينما قارن بين (أبي المظفر يوسف) و (إبن واصل) في هذا النص : ((وفيها غلب سيف الدين غازي بن أتابك على ملك الموصل من مملكة نورالدين محمود بن أتابك زنكي)) ، يشير إلى أن الذي

---

(١) يقصد السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٥٣ .

(٣) سورة النور ، الآية (١٢) .

(٤) سورة عبس ، الآية (٢٤) .

(٥) كنز الدرر ، ١ /١٦٠ .

قاله أبي المظفر وهو غلط ، وإنما الصحيح ما ذكره إبن واصل من ذلك المكتوب على الحاشية في أمر بني أتابك زنكي[١].

٦ . مبدأ التذكير و التنبيه (أو مبدأ الإحالة):

ومن مميزات أسلوبه أيضاً مبدأ التذكير و التنبيه ، وهو نوعان التذكير بما قد سبق وهذا ما درج عليه إبن الدواداري في كتابه في كثير من الأماكن ، فنرى أنه يأتي على ذكر حادثة مر ذكرها سابقاً ، فيشير إلى ذلك بعبارة : ((حسبما تقدم من الكلام))[٢] ، أو ((وقد تقدم القول ..))[٣] ،أو ((حسبما تقدم من ذكره ..))[٤] ،أو ((المقدم ذكره ..))[٥] ، وعلى سبيل المثال يقول : ((وقد ذكرهم العبد .. في الجزء الثاني من هذا التأريخ المختص بذكر سيد المرسلين و الخلفاء الراشدين))[٦] .

والنوع الثاني التذكير بالحوادث و الأخبار التي لم يأت الأوان لذكرها ، وجاء ذكرها عرضياً فيشير إلى أنه سيذكرها لاحقاً ، و يستخدم عادة عبارات متنوعة و القصد منها جميعاً هو التفصيل في الكلام على هذه الحادثة في مواضع لاحقة ، مثل العبارات الآتية : ((حسبما يأتي من ذكره في تاريخه إن شاء الله تعالى))[٧]، و ((وسيأتي ذكرهم في تاريخهم إن شاءالله تعالى ..))[٨]، و ((وسيأتي الكلام عن ذلك ..))[٩]، و ((وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى ..))[١٠] .

---

(١) كنز الدرر ، ٦ / ٥٣٨ .

(٢) نفسه ، ٢ /٢٠٢ ؛ ٣ / ٢١٤ .

(٣) نفسه ، ٦ /١٢٠ .

(٤) نفسه ، ٦ / ٥٤ .

(٥) نفسه ، ١ /٧٦ ؛ ٥ / ١٧١ ؛ ٧ / ٩ ؛ ٩ / ٤٠ .

(٦) نفسه ، ٦ /١٠ . وللعلم ألف إبن الدواداري الجزء الأول من كتابه (كنز الدرر) ، بعدما أكمل من تأليف الجزء الأخير المختص بسيرة السلطان الناصر ، وعلى هذا الأساس كان الجزء المختص بذكر سيد المرسلين و الخلفاء الراشدين الجزء الثاني من الكتاب .

(٧) نفسه ، ١ / ١٣٢ ؛ ٧ / ١٢ ؛ ٩ / ٧١ .

(٨) نفسه ، ٣ / ٥٤ ؛ ٦ / ١٦ .

(٩) نفسه ، ٢ / ٢١٢ .

(١٠) نفسه ، ١ / ٩٣ .

والأمثلة على ذلك كثيرة منها عندما جاء على ذكر البلدان و ما فيها لم يذكر بلاد المغرب قط ، وإنما أشار إلى أنه سيذكرها في الأماكن اللائقة بها ، وكذلك لم يذكر أخبار الأندلس في ذلك المكان ، وإنما أشار إلى أنه سيذكرها عند ذكره أخبار خلفاء بني أمية ، وكذلك لم يذكر أخبار القيروان ، بل أشار إلى أنه سيذكرها عند ذكره ملوك الأغالبة [١] ، وكذلك عندما يذكر إسم نهر (فم الصلح) في الجزء الأول من كتابه لا يتعرض له ، وإنما يشير إلى أنه سيفصل فيه في الجزء الأخير من كتابه ، كما يقول : ((لما نذكر من ذلك في آخر جزء هذا التأريخ وهو الجزء المسمى بالدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، أخرناه لمكان لائق به ..)) [٢].

وكثيراً ما نجد أن إبن الدواداري يستخدم مبدأ الإحالة في كتابه (كنز الدرر) ، فلما يأتي على ذكر موضوع ما يشير إلى أنه ذكرها في كتابه الآخر ، والذي ألفه قبل (كنز الدرر)، كما يقول : ((وقد ذكرت ذلك في كتابي الذي ألفته قبل هذا التاريخ ، وسميته بأمثال الأعيان و أعيان الأمثال)) [٣] .

٧ . التلخيص و التفصيل :

كان إبن الدواداري يحاول جاهداً أن يذكر الحوادث و الأخبار بشيء من الإختصار ، من دون أن يؤثر على القيمة العلمية والتاريخية للكتاب ، ويشير إلى ذلك بقوله : ((إذ تأريخنا هذا تأريخ إختصار و تلخيص ، لا تأريخ إكثار و تفحيص))[٤] ، وكذلك يقول : ((كون تاريخنا تاريخ إختصار لا تاريخ تحشية و إكثار)) [٥] ، وفي مكان آخر يقول: ((.. واعتمدت في ذلك كله الغاية في الإختصار ، إذ التواريخ و جمعها لايقع عليها

(١) كنز الدرر ، ١ / ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٢) نفسه ، ١ / ٢٠٧ .

(٣) نفسه ، ٥ / ١٣٥ .

(٤) نفسه ، ١ / ٥١ .

(٥) نفسه ، ٨ / ٥٩ .

إحصار ، ولقد إعتنيت بحصر ما جمعت فيه من ملح تواريخ الإسلام ، وما إخترت من نوادر جواهر الكلام ، فكان نيفاً و خمسين ، مجيدين محسنين ، حسبما ذكرت من أسمائهم ، وبينت من أنبائهم بحكم أنني لم أترك في هذا المجموع المطبوع تقصيراً مخل ، ولا أسهبت و أطنبت تطويلاً مملاً ، وليس الإعتماد في هذا كله إلا على حسن فطرة القاريء ، الذي ذهنه أرق من الماء الجاري ، فإذا حسن من القاريء البراعة ، و أصغى السامع و أخلى قلبه لسماعه)) [1] .

وكذلك عندما يذكر أخبار البرامكة يشير إلى أن للبرامكة أحاديث عجيبة ، وحكايات غريبة ، ولكنه يكتفي بذكر أخبارهم بشكل مختصر ، كما يقول : ((ما لو ذهبنا إلى الإكثار لخرجنا عن شروط الإختصار))[2] .

وقد بين لنا سبب إختياره هذا النهج في الإيجاز ، فقال : ((لتنشيط القاريء ، ولا يمل و يسأم من فن واحد)) ، وقال أيضاً : ((و روي فتح القصر من وجه آخر فيه طول ، فاختصرنا هذا ، إذ القصد أن لا يخلو تأريخنا من واقعة جرت بطريق الإختصار)) [3] ، وعند ذكر الشاعر عمر بن أبي ربيعة و أشعاره ، يقول : ((و استشهد عن جميع ما ذكره من شعر بما يصح عنه ذكره ، فأضربت عنه طلباً للإختصار ، إذ لذة الإستماع في الأحاديث القصار)) [4].

ومن الجدير بالذكر أنه في بعض الأحيان كان يختصر إلى حد أنه يذكر حوادث سنتين تحت عنوان واحد ، فعلى سبيل المثال لا الحصر أنه ذكر حوادث سنتي (٢٧٦ هـ

---

(١) كنز الدرر ، ١ / ٩ – ١٠ .

(٢) نفسه ، ٥ / ١٥٢ .

(٣) نفسه ، ٣ / ٢٢٥ .

(٤) نفسه ، ٤ / ٢٩٧ .

و ٢٧٧ هـ) بعنوان واحد[١]، وسنتي (٤٦٨ هـ و ٤٦٩ هـ)[٢]، وسنتي (٤٧٠ هـ و ٤٧١هـ)[٣]، وسنتي (٤٧٢ هـ و ٤٧٣ هـ)[٤] ، و كذلك سنتي (٤٧٤ هـ و ٤٧٥ هـ)[٥] ، و سنتي (٤٧٦ هـ و ٤٧٧ هـ)[٦] وغيرها كثير ، و أحياناً كان لايذكر أحداث سنة بكاملها ، حين يقول : ((ومضت سنة ست (٥٤٦ هـ) لم يكن بها ما يذكر بحكم التلخيص))[٧] .

ومع أنه كان من المهتمين بالإختصار إلا أنه في بعض الأحيان خرج عن هذا الطور ، ففصل الأحداث تفصيلاً وافياً ، حيث أشار إلى ذلك حين قال : ((فإني وجدت كثيراً ممن يقف على التواريخ تشمأز نفسه من الواقعة أو الحكاية إذا ساقها صاحب التاريخ ، و أفصلها قبل إحكام تمامها ، وينتقل إلى ما سواها في غير وقتها ، فاشترطت على نفسي أنني لا أذكر كلاماً قد إستفتحت فيه ولا أتركه إلا حتى أنهيه))[٨] .

٨ . مبدأ التوظيف :

يعد مبدأ التوظيف من العناصر الضرورية في مجال الكتابة ، لأنه يساعد على فهم القاريء ، و يجذب إنتباهه إليه من جهة أخرى ، و إذا نظرنا إلى كتاب (كنز الدرر) نرى وجود تناسق بين الموضوعات في معظم الأوقات ، وتوظيفها بشكل جميل ، وتقيد المؤرخ إبن الدواداري بمبدأ عدم تكرار الموضوعات حتى لايمل القاريء من كتابه ، كما يشير إلى ذلك هو بنفسه ، حين يذكر موضوع (نكبة جعفر بن يحيى بن خالد و جميع آل برمك) في (كنز الدرر) ويقول : ((وقد ذكرت ذلك في كتابي الذي ألفته قبل هذا التاريخ و سميته

---

(١) كنز الدرر ، ٥ / ٢٩١ .

(٢) نفسه ، ٦ / ٤٠٣ .

(٣) نفسه ، ٦ / ٤٠٤ .

(٤) نفسه ، ٦ / ٤٠٥ .

(٥) نفسه ، ٦ / ٤٠٦ .

(٦) نفسه ، ٦ / ٤٠٨ .

(٧) نفسه ، ٦ /٥٦٠ .

(٨) نفسه ، ٢ / ٢٠٧ .

بأمثال الأعيان و أعيان الأمثال ... فلا أذكرها في هذا التاريخ حرمة لذلك الكتاب المقدم ذكره ، و خشية أن يتكرر الكلام فيما ألفته ، فيقع الخطأ و يعود من عيوب الشعر بمنزلة الإيطاء))[1] .

ولكن في بعض الأحيان نجد عدم توظيف الأشياء بشكل سليم في الكتاب ، فعلى سبيل المثال يوجد تكرار في نقل بعض الوقائع و الأخبار ، كما نجد أنه يذكر خبر مقتل الأمير شاهنشاه بن نجم الدين أيوب جد الملوك بحماة في سنة (٥٤٣ هـ / ١١٤٥ م) وفي صفحة واحدة مرتين[2] .

٩ . الدقة في نقل الأخبار :

فيما يخص مسألة الدقة في نقل الأخبار تكمن الأهمية في مراجعة المؤرخ لما كتبه مراراً وإجراء التعديلات فيه ، إن رأى نقصاً أو خطأً فيما كتبه سابقاً ، وهذا ما فعله مؤرخنا إبن الدواداري حينما أشار إلى ذلك في مناسبات كثيرة ، كما يقول : ((وقد رأيت في مسوداتي ..))[3]، وكذلك كان يرجع كثيراً إلى مؤلفاته السابقة ، ويعيد النظر فيها مراراً ، فيضيف إليها صفحات أو فصولاً ، أو يحذف منها بحسب ما يستجد له من المعلومات والآراء ، فنرى أنه أضاف الجزء الأول إلى الكتاب بعد إنتهائه من الكتابة ، فرأى من الضروري أن يضاف إليه ذكر الدنيا و مافيها ، وهذا يدل على حرصه أن يكون الخبر المكتوب عنده دقيقاً .

ومع دقته هذه ولكن في بعض الأحيان فإنه كان يستطرد أي يخرج عن سياق الموضوع ، وعلى الرغم من أن الإستطراد في بعض الأحيان يكون مملاً ، إلا أنه في أحيان أخرى يغني القاريء بإعطائه تفاصيل أكثر ، وكان إبن الدواداري يتميز بهذا الأسلوب

(١) كنز الدرر ، ٥ / ١٣٥ – ١٣٦ .

(٢) نفسه ، ٦ / ٥٥١ .

(٣) نفسه ، ٤ / ٢٢١ ؛ ٥ / ٦ ؛ ٦ / ١٤٠ ؛ ٧ / ١١٧ .

فكان إذا خرج عن الموضوع أشار إلى ذلك و عاد إلى موضوعه الأصلي ، فيقول : ((ولنعود إلى سياقة الكلام))[1] أو ((لنعود إلى سياقة التاريخ)) [2].

وبلاشك لايخلو هذا الكتاب أيضاً مثل جميع المؤلفات الأخرى للمؤرخين من غيره من الأغلاط و الأخطاء اللغوية ، وحتى أن إبن الدواداري لايخفي هذا الأمر ويشير إليه بصراحة ، عندما يقول : ((والعبد فقد إعترف أن هذا التأريخ بجميع أجزائه من سقط المتاع ، و حقيق به أن يباع و لا يبتاع ، و أن خطأه أكثر من صوابه ، فلا راد على عايب جوابه ، فرحم الله إمرءاً نظر فستر ، و أصلح ما يجده فيه من عور ، و أستغفر الله العظيم و أتوب إليه ، من كل ما قلته و ذكرته و قدرت عليه)) [3] ، وفي مكان آخر يقول : ((قد أتيت بعون الله تعالى و حسن توفيقه بجميع ما اشترطته في ذكر ما قدمته في هذا التاريخ من غريب الكلام و حسنه ، ما لعله ما جمع في تاريخ غيره ، ومع ذلك فإني معترف بالتقصير ، واللسان القصير ، وليس الإعتماد إلا على إسبال ذيل الفتوة من كل واقف عليه ، و أسأله سؤال متضرع إليه ، أن يدعو لي بالمسامحة فيما إقترفت ، فإنني عبد بالخطأ قد إعترفت ، و لايبخل علي بما قد سألته فيه ، وبعض هذا السؤال لكل ذي بصيرة يكفيه)) [4].

ويمكن أن نرجع سبب وقوع المؤرخ في بعض الأخطاء إلى كونه من أصل غير عربي فمن الممكن أن يكون من غير المتقنين للغة العربية ، فلذلك نرى أن العامية غالبة على لغته، أو ربما يعود إلى عمل النساخين ، الذين لايقتضي عملهم أن يكونوا ملمين بالعلوم سوى أنهم يقرأون ويكتبون ، فمن البديهي أن يقعوا في شتى أنواع الأخطاء ويلامون عليها، وتحسب هذه الأخطاء على أصحاب الكتب التي ينسخونها وتبقى في ذمتهم أبد الدهر ، وسبب آخر يعود إلى إعتماده على مصادر مختلفة ، ففي بعض الأحيان نقل المعلومات

---

(١) كنز الدرر ، ٩ / ٣٨ .

(٢) نفسه ، ٣ / ٢٣٠ ؛ ٤ / ١٣ ؛ ٥ / ١٧ ؛ ٦ / ١٠١ ؛ ٧ / ١٠ ؛ ٨ / ٥٩ .

(٣) نفسه ، ٩ / ٤٠١ .

(٤) نفسه ، ٢ / ٢٠٦ .

منها كما هو دون أن تكون له بصماته عليه ، أو يحاول أن يصحح أخطاءه ، وأخذ منهم كل شيء حتى ماهو خرافي ، كما يقول : ((هذا الكلام خرافة لايصح في النقل و لايتصور في العقل ، و إنما ذكرته كونه ذكر أيضاً))[1] .

والجدير بالذكر أن كل هذه الأخطاء و الحكايات الأسطورية و الخرافية فيها ، لاتنقص من شأن هذا الكتاب ، ولا يمحو ما أشرنا إليه من أهمية هذا الكتاب ، وفضل هذا الكتاب في إغناء المكتبة التاريخية الإسلامية بالمعلومات القيمة .

(١) كنز الدرر ، ١ / ٤٠ .

الفصل الرابع
ذكر الأيوبيين في كتاب
(كنز الدرر و جامع الغرر)

الفصل الرابع

ذكر الأيوبيين في كتاب (كنز الدرر و جامع الغرر)

المبحث الأول

تعريف الأيوبيين

١ . تسمية الأيوبيين و أصلهم :

أخذ إسم الأسرة الأيوبية في الأصل من إسم أميرهم نجم الدين أيوب[1] ، وكان هذا الأمير و أخوه أسد الدين شيركوه[2] من أبناء شادي بن مروان ، أما فيما يخص أصل الأيوبيين فإن سلالتهم ترجع إلى عشيرة كردية باسم الروادية ، كما أشار إبن الدواداري إلى ذلك[3] وأشار إلى رأي المؤرخ (إبن الأثير) القائل : ((أن الأيوبيين هم من الأكراد[4] الروادية))[5] .

(١) نجم الدين أيوب : وهو أبو الشكر أيوب بن شادي بن مروان ، لقب بـ (الملك الأفضل نجم الدين) ، والد السلطان صلاح الدين الأيوبي ، توفي سنة (٥٦٨ هـ / ١١٧٠ م) . ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١ / ٢٥٥ ؛ زامباور ، معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ت : زكي محمد حسن و حسن أحمد محمود و آخرون ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص١٥٦ .

(٢) أسدالدين شيركوه : وهو أبو الحارث شيركوه بن شادي بن مروان ، لقب بالملك المنصور أسدالدين ، وكان عم صلاح الدين الأيوبي ، توفي سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٦ م) في القاهرة ، بعدما إنتقل مع عائلته إلى الشام تولى حكم بعلبك من قبل الزنكيين . ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٤٧٩ – ٤٨٠ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٢٠ / ٥٨٧ – ٥٨٨ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٦ .

(٤) الكرد : تسمية تطلق على أعرق قوم يسكنون جبال زاكروس ، و أول ذكر للكلمة يرجع إلى تلك اللوحة الطينية السومرية المكتشفة التي يرجع تاريخها إلى (الألف الثالث ق . م .) ، والتي وردت فيها عبارة (أرض كاردا أو قاردا) ، و أما المؤرخون العرب فيعتقدون أن التسمية الحالية لكلمة (كرد) تعود إلى العصر الساساني (٢٢٦ . ٦٣٦ م) ، ويربطها البعض بالكلمة الفارسية القديمة (غورد) ، والتي تأتي بمعنى (البطل) أو (الشجاع) . ينظر : ج . أر . درايفر ، الكرد في المصادر القديمة ، ترجمة : فؤاد حمه خورشيد ، مطبعة الديواني ، بغداد ، ١٩٨٦ م ، ص١٣ – ١٥ ؛ فرست مرعي ، الكرد و كردستان جدلية الأسطورة و التاريخ و الدين ، مؤسسة بانكى حق ، السليمانية ، ٢٠٠٦ م ، ص١٠ ؛ محمود الدرة ، القضية الكردية ، منشورات دار الطليعة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٦٦ م ، ص٢٠ – ٢١.

(٥) الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٦ م ، ٩ / ٣٤٢ .

وعلى الرغم من أن معظم المصادر التاريخية أكدت على كردية سلالة الأيوبيين[1] ، إلا أن إبن الدواداري أشار إلى أن هناك إختلافاً في أصل هذه الأسرة الكردية ، و يذكر بأن أحد أمراء الأيوبيين وهو الأمير إسماعيل بن سيف الإسلام [2] (٥٩٣ – ٥٩٨ هـ / ١١٩٦ – ١٢٠١ م) حاكم بلاد اليمن بعد أبيه إدعى أن أصلهم يرجع إلى العرب ، أي إنهم كانوا من أصل عربي من حيث النسب ، ولكنهم فيما بعد نزلوا عند الكرد ، و تزوجوا منهم ، فصار بينهم الإختلاط ، ثم ذهب إلى أبعد من ذلك حتى أرجع نسبهم إلى بني أمية ، فقد أشارت المصادر إلى أنه كان يدعي بأن أصلهم يرجع إلى الأمويين ، لأن جدهم الأكبر كان إسمه (مروان) ، وتأييداً لهذا الإدعاء وضعت شجرة نسب لهم بحيث تثبت أن نسلهم يجتمع مع الأمويين ، على النحو الآتي : أيوب ، بن شادي ، بن مروان ، بن الحكم ، بن عبدالرحمن ، بن محمد ، بن عبدالله ، بن محمد ، بن محمد ، بن عبدالرحمن ، بن الحكم ، بن هشام ، بن عبدالرحمن الداخل ، بن معاوية ، بن هشام ، بن عبدالملك ، بن مروان ، بن الحكم ، إبن أبى العاص ، بن أمية ، بن عبد شمس ، بن عبدمناف ، و على هذا يجتمع نسبهم في (عبدمناف) مع نسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) و نسب بنى أمية[3]، وكذلك ورد هذا الشيء في المصادر التأريخية الأخرى [4] .

---

(١) إبن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق : عبدالقادر أحمد طليمات ، د . ت ، ص١١٩ ؛ أبو شامة ، المصدر السابق ، ١ / ٤٠٣ ؛ إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٧ / ١٣٩ ؛ إبن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠١ م ، ص٢١٢ – ٢١٣ ؛ أبوالفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ٣ / ٦١ ؛ إبن خلدون ، المصدر السابق ، ٥ / ٢٨٩ ؛ إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ..، ٦ / ٣.

(٢) إسماعيل بن سيف الإسلام : وهو المعز فتح الدين إسماعيل بن سيف الإسلام ظهيرالدين طغتكين بن نجم الدين أيوب ، تولى الحكم في اليمن سنة (٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م) بعد وفاة والده ، وتوفي سنة (٥٩٨ هـ / ١٢١١ م) . ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٥٢٤ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٢٢ / ٢٢١ ؛ الزبيدي ، ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب ، تحقيق : مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٨ م ، ص٧٧ – ٧٨ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٦ – ٧ .

(٤) إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٧ / ١٤١ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ٤ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٢٢ / ٢٢١ ؛ الحنبلي ، المصدر السابق ، ص٢٢ .

ويعد هذا القول الذي إدعى به الأمير إسماعيل الأيوبي شاذاً عند الأيوبيين ، لأنه الأمير الوحيد من بين أمراء الأيوبيين يدعي ذلك ، والذين أعلنوا بأنهم لايعرفون جداً فوق شادي[1]، وقد رفض هذا الإدعاء بشكل قطعي من قبل الأمراء الأيوبيين أنفسهم ، والدليل على عدم صحته ، لما سمع الملك العادل سيف الدين أبوبكر بن أيوب [2] (٥٨٤ – ٦١٥ هـ / ١١٨٦ – ١٢١٧ م) عم الأمير إسماعيل بن سيف الإسلام هذا الإدعاء رد عليه بقوله إنه لا أساس له من الصحة ، وإن أصلهم لا يرجع إلى بني أمية[3] ، والأمر الذي لابد من الإشارة إليه هو أن إسماعيل لقب نفسه بـ (المعز لدين الله)[4] ، وهذا التصرف إتبعه هو لكي يثبت لليمنيين مدى ولائه لـ (آل البيت) ، وكما هو معروف أن اليمن كان مركز تجمع الفاطميين ، ولاسيما بعدما زال دولتهم في مصر على يد الأيوبيين توجهوا إلى اليمن ، و إن هذا اللقب كان خاصاً بالخلفاء الفاطميين .

وكذلك أشار إبن الدواداري إلى أنه هناك جماعة أخرى يرجعون أصل الأيوبيين إلى بني مرة بن عوف ، ومن الذين إدعوا هذا القول حسن بن غريب الحرسي ، الذي وضع شجرة نسب للأسرة الأيوبية ووصلهم فيها إلى علي بن أحمد المري أحد كبار أمراء قبيلة مرة[5] .

والغريب في المسألة أن بعضاً من هؤلاء المؤرخين يرجعون أصل الأيوبيين إلى أصل عربي أو قوم آخر ، ويستندون في رأيهم على حجة باطلة و غير علمية ، وهؤلاء الأشخاص

---

(١) علي بيومي ، قيام الدولة الأيوبية في مصر ، دار الفكر الحديث ، القاهرة ، ١٩٥٢ م ، ص٥٨ .

(٢) الملك العادل : وهو أبوبكر محمد بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان ، الملقب بالملك العادل سيف الدين ، وولادته كانت في سنة (٥٤٠ هـ / ١١٤٢ م) أو (٥٣٨ هـ / ١١٤٠ م) ببعلبك ، وتوفي سنة (٦١٥ هـ / ١٢١٧ م) في قرية عالقين بظاهر دمشق . ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٥ / ٧٤ – ٧٨ ؛ الصفدي ، المصدر السابق ، ٢ / ١٦٨ – ١٦٩ ؛ زامباور ، المرجع السابق ، ص١٥٠ .

(٣) إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٥٢٤ – ٥٢٥ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ٤ .

(٤) كنز الدرر ، ٧ / ٦ .

(٥) نفسه ، ٧ / ٧ .

يريدون وراء هذه الإدعاءات الباطلة أن يلحقوا كل شخصية بارزة بسلسلة من النسب العربي ، وكأن الفضائل كلها والمكارم جميعها فقط عند العرب وخاصة بهم ، أما المسلم غير العربي في منظورهم فلايستطيع أن يبني حضارة أو مجداً للإسلام ، ولكن هذا غير صحيح بل لو قرأنا التاريخ بالإنصاف ، ودرسنا حياة عظمائنا الذين كان لهم دور في بناء الحضارة الإسلامية ، لوجدنا الكثير من هذه الشخصيات يرجع نسبهم إلى أصل غير عربي(١) .

ونجد كثيراً من الأعراق التي دخلت في دين الإسلام ساهمت بشكل من الأشكال في الحضارة الإسلامية ، وخير مثال على ذلك هو بروز أشخاص أمثال بلال الحبشي و سلمان الفارسي و جابان الكردي في بدايات ظهور الإسلام ، ثم من بعدهم عمادالدين زنكي و نورالدين محمود(٢) من الترك ، وأسدالدين شيركو ونجم الدين أيوب (ت ٥٦٨ هـ / ١١٧٠ م) و إبنه صلاح الدين يوسف من الكرد ، ونظام الملك من الفرس ، ويوسف بن تاشفين من البربر ، وعلماء أمثال البخاري من بخارى ، وغير هؤلاء كثير و كثير(٣) .

ومما يجدر الإشارة إليه أن إبن الدواداري لما أراد أن يبين موطن الأيوبيين و أصلهم، أشار إلى قول أحد أمراء الأيوبيين وهو الملك الكامل حين يقول : ((سألت منه (رحمه الله) ذات يوم(٤) عن جدهم أيوب ، إبن من ؟ ، فقال : أيوب بن شاذي إبن مروان ،

---

(١) عبد الله ناصح علوان ، صلاح الدين الأيوبي بطل حطين و محرر القدس من الصليبيين ، دارالسلام ، القاهرة ، ط١٢ ، ٢٠٠٢ م ، ص ١١ .

(٢) نورالدين محمود : وهو أبو القاسم محمود بن عمادالدين زنكي بن آق سنقر بن عبدالله ، الملقب بالملك العادل نورالدين ، ولد في سنة (٥١١ هـ / ١١١٣ م) ، تولى الحكم في أتابكية الشام في سنة (٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) بعد وفاة أبيه ، ومقر حكمه مدينة حلب ، وتوفي سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧١ م) في قلعة دمشق . ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٥ / ١٨٤ – ١٨٧ .

(٣) علي محمد الصلابي ، صلاح الدين الأيوبي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٨ م ، ص٢٢٣ – ٢٢٤ .

(٤) كان الحديث بين إبن الدواداري و الملك الكامل في سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٢ م) في مدينة دمشق.ينظر: كنز الدرر ، ٧/ ٥

أكراد من جبل نهاوند[1]))[2] ، وكما هو معلوم أن الأيوبيين ليسوا من أهالي جبل نهاوند ، بل يشير معظم المؤرخين و البلدانيين إلى أنهم عائلة كردية كريمة ، ينتسبون إلى قبيلة الروادية ، وكانت تقطن هذه القبيلة في قرية دوين على حدود أذربيجان [3] .

٢ . العائلة الأيوبية :

وقد أشار إبن الدواداري إلى أن عائلة نجم الدين أيوب كانت تتكون من أربع سلاطين كبار ، فذكر أسماءهم و أبناءهم كالآتي :

أ . السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب ، و أولاده هم : الملك الأفضل حاكم دمشق ، الملك العزيز عثمان حاكم مصر ، الملك الظاهر حاكم حلب[4] .

والجدير بالذكر أن إبن الدواداري أشار في مكان آخر من كتابه إلى أن صلاح الدين أنجب سبعة عشر ولداً وبنتاً واحدة ، فأورد أسماء الأولاد كلهم ، بإستثناء إسم البنت لم يذكره في كتابه ، إلا أنه أشار إلى أنها تزوجت من الملك الكامل إبن عمها[5] ، ولكن بعد رجوعنا إلى المصادر الأولية تمكنا من الحصول على إسمها وهي مؤنسة خاتون ، فتزوج بها إبن عمها الملك الكامل إبن الملك العادل ، فبقيت عنده إلى أن ماتت[6] .

ومع هذا يشير المؤرخ إبن تغري بردي إلى أن صلاح الدين كان له ستة عشر ولداً و بنتاً واحدة ، إلا أنه يذكر أسماء ثلاثة عشر ولداً فقط ، و بنته الوحيدة[7] ، في حين أشار مؤرخ آخر إلى أن أولاده هم ثمانية عشر و بنت واحدة [8] .

---

(١) جبل نهاوند : يقع بالقرب من مدينة همدان القديمة ، و توجد على هذا الجبل مدينة نهاوند . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥ / ٣١٣ ؛ القزويني ، المصدر السابق ، ص٤٧١ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٥ .

(٣) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٤٢ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٤٩١ .

(٤) كنز الدرر ، ٧ / ٢٠٥ .

(٥) نفسه ، ٧ / ١١٥– ١١٦ .

(٦) إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٤٢٦ .

(٧) النجوم الزاهرة .. ، ٦ / ٥٧ .

(٨) الحنبلي ، المصدر السابق ، ص١٩٦ .

ب . السلطان العادل سيف الدين أبوبكر بن نجم الدين أيوب ، و أولاده هم : الملك الكامل محمد ، الملك المعظم عيسى ، و الملك الأشرف موسى ، و الملك الأوحد حاكم خلاط ، والملك الصالح إسماعيل المعروف بـ (أبي الجيش) ، و الملك شهاب الدين غازي حاكم الرها[١] ، و الملك العزيز عثمان[٢] . و أما في مكان آخر من كتابه أشار إبن الدواداري إلى أن السلطان الملك العادل كان له خمس عشر ولداً ، وقيل سبعة عشر[٣] .

ج . السلطان سيف الإسلام طغتكين بن نجم الدين أيوب ، و أولاده هم : الملك المعز إسماعيل ، و الملك الناصر أيوب[٤] .

د . السلطان المعظم شاهنشاه بن نجم الدين أيوب ، و أولاده هم : الملك فروخ شاه ، و الملك الناصر قليج أرسلان ، و الملك تقي الدين عمر[٥] .

وأشار إبن الدواداري أيضاً إلى أن الملك الصالح نجم الدين أيوب كان له ثلاث ذكور ، وهم : الملك المغيث ، والملك القاهر ، والملك المعظم[٦] .

٣ . صفاتهم :

على الرغم من أنه لم يذكر الصفات العامة للأيوبيين إلا أنه وصف بعضاً من رجالاتهم ، ونذكر منهم على سبيل المثال الأمير (مروان) جد السلطان صلاح الدين الأيوبي ، حيث يصفه بالقوة و الشجاعة فيقول : ((إنه كان يركض مع الفرس و ينافسه

---

(١) الرها : من المدن القديمة في بلاد الجزيرة ، تقع بين الموصل و الشام ، مسافة بينهما ستة فراسخ (٣٦ كم) . ينظر: الاصطخري ، المصدر السابق ، ص٧٦ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ١٠٦ ؛ حكيم أحمد مام بكر ، الكرد و بلادهم عند البلدانيين و الرحالة المسلمين (٢٣٢ – ٦٢٦ هـ / ٨٤٦ – ١٢٢٩ م) ، أطروحة الدكتوراه ، قسم التاريخ . كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين . أربيل ، ٢٠٠٢ م ، ص١٣٧ – ١٣٨ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٢٠٥ .

(٣) نفسه ، ٧ / ١٩٧ .

(٤) نفسه ، ٧ / ٢٠٥ .

(٥) نفسه ، ٧ / ٢٠٦ .

(٦) نفسه ، ٧ / ٣٧٤ .

في القوة و الجرأة ، وكان يضع القدم مع قدمه و يرفعها معه ، حتى أن الجواد كان يقف من ساعته ، ولا يعود يتنفس ، وكان يمسك ذنب الفرس و يقول للراكب : ((حرك فرسك)) فلا ينقل خطوة ، وكان يركب ولده شادي أعفى فرس عنده ، ويأمره أن يحرك عليه ، و يعارضه فى الميدان ، فيصدمه بصدره فيوقفه ، وكان رمحه ستين رطلاً بالبغدادي ، وكان إذا تقابلت الصفوف فى وقت المصادمات يبرز إلى الميدان و يطلب المبارزة ، ولا يجرؤ أحد أن يخرج إليه))[١].

وربما هناك مبالغة في كلامه لكن يستنتج منه أنه كان رجلاً شجاعاً و مغواراً ، ومن المعلوم أيضاً أن هناك رجالاً يشذون عن القاعدة و يتمتعون بقوة هائلة ، ويبدو أنه في بعض الأحيان صفة القوة و الشجاعة تكون بالوراثة ، فيقول إبن الدواداري : ((كان يقارب شادي أباه مروان في بعض شجاعته))[٢] ، لذلك نقول أن صلاح الدين الأيوبي قد ورث القوة و الشجاعة أباً عن جد .

أما صلاح الدين الأيوبي فأشار إبن الدواداري إلى كثير من صفاته وذلك نقلاً عن المصادر التاريخية قبله ، فيذكر أنه في بداية عمره قليل المال و الرجال ، ومن أصحاب الأكل و الشرب و الطرب ، ولكن سرعان ما تغيرت أحواله وتاب عن جميع ذلك [٣] ، لأنه كان يفكر بأن يقود المسلمين و يحرر البيت المقدس من أيدي الصليبيين ، فنجد أن إبن الدواداري يصفه في مكان آخر من كتابه بأنه : ((رجلاً مسلماً ، و ساذج الباطن ، و مستسلم النية ، و كثير الدين ، و خال من المكر و الخداع ، و صادق القول ، وعديم الكذب و السفه ، فالصليبيون قد إستغلوا أخلاقه هذه ، وبدأوا بإشغاله بالمراسلات و المواعيد الكاذبة))[٤] .

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٥ .
(٢) نفسه ، ٧ / ٥ – ٦ .
(٣) نفسه ، ٧ / ٣٥ .
(٤) نفسه ، ٧ / ١٠٤.

فوق هذا و ذاك أنه كان عادلاً مع رعيته ، ويورد لنا إبن الدواداري وقفة جميلة لصلاح الدين يظهر فيها كيف كان عادلاً مع الناس ، ونقل هذا عن إبن واصل الذي كان جالساً يوماً في مجلس صلاح الدين ، فدخل عليه ولده الملك العزيز عمادالدين عثمان ، وكان صغير السن ، وطلب من أبيه أن يعطيه ديناراً ، فقال صلاح الدين لمملوك ، والذي كان أميناً مالياً في دولة الأيوبية ، وهو قائم بين يديه أعطه ، فأجابه هذا المملوك ماعندي ، وبعيد هذا الحوار وصلت القوافل التجارية من الإسكندرية و الصعيد[1] ، فأمر صلاح الدين بإفراغ المال بين يديه ، ثم وزعه على الجميع ، حتى لم يبق منه شيء ، فعندما رأى صاحب الكتاب هذا الموقف لم يتحمل وقال للقائد صلاح الدين يامولاي كل الأمور تمكنت الصبر عليه إلا هذا ، فقال له صلاح الدين وماهو الشيء الذي ما استطعت أن تصبر عليه ، فقال له رأيت ولدك يطلب منك ديناراً ، والأموال العظيمة بين يديك ، وتفرقه على الفقراء و المساكين ، فلم تجد مع خازنك ما تعطيه لإبنك ، وكان جواب صلاح الدين لهذا الشخص هو أن هذه الأموال إنما إشتريت بها رءوسهم و مهجهم[2] .

وكما تؤكد المصادر التاريخية أن صلاح الدين كان من أشجع القادة العسكريين ، وظهرت شجاعته بوضوح من خلال قيادته الجيش في الميادين العسكرية ، وإشرافه على إدارة الحروب بنفسه من قريب ، وجيشه يسير إلى المواجهات و الغارات و الإستطلاعات و الكمائن ، حتى أصبح كالعجينة بيديه ، و كان شديد البأس على أعدائه في ساحة الجهاد ، وثابتاً على المصائب ، وهذا يدل على إيمانه العميق بالله سبحانه و تعالى ، وعدم الخوف

---

(١) الصعيد : ولاية واسعة ببلاد مصر تسمى الصعيد ، تقع في جنوبي الفسطاط ، فيها عدة مدن منها : أسوان و قوص و قفط و إخميم و البهنسا و غير ذلك ، وتنقسم الصعيد إلى ثلاثة أقسام وهي : الصعيد الأعلى تبدأ حدوده من أسوان وتنتهي في إخميم ، والثاني من إخميم إلى البهنسا ، والثالث وهي الصعيد الأدنى من البهنسا إلى قرب الفسطاط . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٤٠٨ ؛ القزويني ، المصدر السابق ، ص٢١٣ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ١١٧ – ١١٨ .

من الموت ، لأنه كان يدرك أن النصر و الإستشهاد بيد الله تبارك و تعالى[1] ، ويؤكد إبن الدواداري على ذلك أيضاً ، ويقول أن رواة التاريخ أجمعوا على أنهم لم يسمعوا بملك أسمح ولا أجود من صلاح الدين الأيوبي ، وأكثر من ذلك فإنهم صرحوا بأنه لا يوجد شخص أشجع و أكثر جرأة منه ، و كان هذا القائد حريصاً جداً على أمة نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) ونصرة دين الإسلام[2] .

ويذكر إبن الدواداري أوصافاً أخرى حميدة لصلاح الدين وذلك نقلاً عن إبن شداد[3] أيضاً ، أنه كان : ((كريماً جواداً ، صاحب بشاشة و همة ، كثير التفكر في مصالح المسلمين ، شريف النفس ، عالي الهمة ، عزيز المروءة ، واسع الصدر ، كثير الحياء ، قليل السفه ، عظيم الحرمة ، شديد الهيبة ، متزهداً ، غير متطلع لما في أيدي الناس ، يحب أهل الفضل و العلم و الأدب ، متواضعاً لأهل العلم و الشرع ، حسن التدبير ، ليس له همة في لذات الدنيا و زخارفها ، أكبر همه الجهاد في سبيل الله ، و قيام منار الإسلام ، و إخماد جمرة الكفر ، يرى نفسه كأحد من الناس))[4] .

---

(١) إبن شداد ، النوادر السلطانية .. ، ص١٩ – ٢١ ؛ شاكر مصطفى ، صلاح الدين الفارس المجاهد و الملك الزاهد المفترى عليه ، دار القلم ـ دمشق ، ١٩٩٨م ، ص٥١ ؛ هيثم جمعة هلال ، الناصر صلاح الدين الأيوبي ، دار النهج ، حلب ـ سوريا ، ٢٠٠٧ م ، ص٧٢ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ١١٥ .

(٣) النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية ، ص٧ – ٣٤ .

(٤) كنز الدرر ، ٧ / ١١٧ .

المبحث الثاني

الأيوبيون في العهدين الأتابكي و الفاطمي

١ . الأيوبيون في الأتابكية الزنكية ببلاد الشام :

ترجع علاقة الأيوبيين بالأتابكية الزنكية[(١)] إلى عهد الأمير عمادالدين زنكي (٥٢١ – ٥٤١ هـ / ١١٢٦ – ١١٤٦ م) ، واستمرت هذه العلاقة في عهد إبنه الأمير نورالدين محمود (٥٤١ – ٥٦٩ هـ / ١١٤٦ – ١١٧٤ م) أيضاً ، و يشير إبن الدواداري إلى أن مروان الجد الأكبر للأيوبيين كان يخدم في الجيش السلجوقي[(٢)] ، ثم أتى بعد ذلك دور إبنه شادي عندما دخل إلى خدمة الجيش الأتابكي ، وتمكن خلال مدة وجيزة أن يظهر شجاعته ، حتى أصبح بذلك أمير علم [(٣)] في ذلك الجيش ، ورفع الأتابك عمادالدين زنكي شأنه ، وأعطى له

(١) الأتابكية الزنكية : من أعظم الأتابكيات في الدولة السلجوقية ، تولت حكمها العائلة الزنكية في بلاد الشام و الموصل ، وكان يرأسها في البداية عمادالدين زنكي ، وبعد وفاة زنكي في سنة (٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) قسمت المملكة إلى قسمين : القسم الشرقي من الأتابكية تولى حكمها إبنه الأكبر (سيف الدين غازي) ، وكان مقر حكمه مدينة الموصل ، و أما القسم الغربي فتولاه ولده نورالدين محمود ، ومقره مدينة حلب . ينظر : أبوشامة ، المصدر السابق ، ١ / ١٥٤ – ١٥٨ ؛ أحمد محمد عبدالكريم ، الكرد في عهد الأتابكية الزنكية (٥٢١ – ٥٨٩ هـ / ١١٢٧ – ١١٩٣ م) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ، أربيل ، ٢٠١٠ م ، ص١٢ – ١٣ ؛ سيدة إسماعيل كاشف ، صلاح الدين الأيوبي ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص١٦ .

(٢) السلاجقة : تنسب هذه الأسرة الى سلجوق بن دقاق ، وهم أحد فروع قبائل الغز الترك ، نزحوا في سنة (٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) من سهول تركستان الى بلاد ماوراء النهر ، ثم بعد مدة وجيزة تمكنوا من السيطرة على مركز الخلافة بغداد في سنة (٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م) عندما تمكن (طغرلبك) أن يدخل هذه المدينة . ينظر : الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤ م ، ص٧ – ٨ ؛ إبن الطقطقا ، الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية (تاريخ الدول الإسلامية) ، دار صادر ، بيروت ، د . ت ، ص٢٩٢ ؛ تامارا تابوت رايس ، السلاجقة تاريخهم و حضارتهم ، ت : لطفي الخوري و إبراهيم الداقوقي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٨ م ، ص١٧ ؛ كليفورد . أ . بوزورث ، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ت : سليمان إبراهيم العسكري ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ، ط٢ ، ١٩٩٥ م ، ص١٦٨ – ١٦٩.

(٣) أمير علم : لقب يطلق على الذي يتولى أمر الأعلام و الطبلخاناه السلطانية . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٥ / ٤٥٦ ؛ دهمان ، المرجع السابق ، ص٢٢ .

مكانة مميزة في الدولة ، ثم أخضع بعده إبنه نجم الدين أيوب إلى خدمة ولده نورالدين محمود ، كي يتربى تحت رعايته و يحل مكان أبيه في المستقبل[(١)] .

وشهدت حقبة حكم نجم الدين أيوب تطوراً كبيراً في علاقة الأيوبيين بالزنكيين ، والذي كان دزداراً[(٢)] في تكريت ، فقد أناط مجاهدالدين بهروز[(٣)] شحنة[(٤)] العراق إليه ، وذلك قبل رحيل العائلة الأيوبية من العراق نحو الشام[(٥)] ، ولاسيما عندما مد أيوب يد العون و المساعدة في شتى المجالات لقوات الزنكي المنسحبة من بغداد[(٦)] ، وذلك عندما هزم عمادالدين زنكي (حليف السلطان مسعود) أمام قوات الملكين طغرل و داود ، وقد دارت بين الطرفين معركة في سنة (٥٢٦ هـ / ١١٣١ م) قرب بغداد ، إنسحب زنكي خلالها مع قواته نحو تكريت عابراً نهر دجلة ، فأحسن نجم الدين أيوب هناك إليهم و داوى جرحاهم ، وقدم لهم مساعدات إنسانية كثيرة ، ثم ودعهم بحفاوة و إكرام إلى بلادهم[(٧)] .

وبعد هذه الحادثة إزدادت العلاقة الحميمة بين الأيوبيين و الزنكيين ، ولكن في المقابل تدهورت العلاقة بين الأيوبيين و مجاهدالدين بهروز ، حتى أرغمت الأوضاع

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٦ – ٧ .

(٢) دزدار : وهي كلمة فارسية ، يتكون من لفظين ، دز : معناها قلعة ، و دار : معناها الحافظ أو الممسك ، والكلمة معاً معناها حاكم الحصن أو القلعة ، أو متوليها . ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٧ / ١٤٢ ؛ دهمان ، المرجع السابق ، ص٧٥ .

(٣) مجاهدالدين بهروز : هو مجاهدالدين بن عبدالله الغياثي ، تولى شحنة العراق من قبل السلطان مسعود بن غياث الدين محمد بن ملكشاه السلجوقي ، توفي سنة (٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) . ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٧ / ١٤١ – ١٤٢ .

(٤) الشحنة : وظيفة إدارية ، تأتي بمعنى رئاسة الشرطة ، أو محافظ المدينة أو الأمير المشرف على حراستها . ينظر : دهمان ، المرجع السابق ، ص٩٦ - ٩٧ .

(٥) إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٧ / ١٤٢ ؛ إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٦ / ٤ ؛ علي بيومي ، المرجع السابق ، ص٦١ .

(٦) إبن الأثير ، التاريخ الباهر .. ، ص٤٣ – ٤٦ ؛ محمد سهيل طقوش ، تاريخ الزنكيين في الموصل و بلاد الشام ، بيروت ، ١٩٩٩ م ، ص٩١ – ٩٢ .

(٧) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٤ ؛ كنز الدرر ، ٦ / ٥١٠ .

الأيوبيين على الرحيل من تكريت في سنة (٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م) ، فغادروها وتوجهوا إلى مدينة الموصل ، وبعد وصولهم إليها رحب بهم عمادالدين زنكي بحفاوة ، ووعد نجم الدين أيوب و أخاه أسدالدين شيركوه أن يعطيهما إقطاعات و إمتيازات كبيرة في مملكته ، فلما فتح عمادالدين زنكي بعلبك سنة (٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م) جعل نجم الدين أيوب والياً عليها ، و أما أسدالدين شيركوه فأدخله في خدمة إبنه نورالدين محمود حاكم حلب [١].

ولما تولى نورالدين محمود الحكم في أتابكية الشام تجددت العلاقة بين الأيوبيين و الزنكيين ، وتبين ذلك بعد إستيلاء نورالدين على الشام ، فأعطى لهم مناصب رفيعة في مملكته ، وقربهم من نفسه ، فجعل أسد الدين شيركوه أميراً و حاجباً على الكرد من جيشه، و أما نجم الدين أيوب فمنحه نورالدين قصره ، وجعله صاحب الإذن عليه [٢] .

ويمكن القول أن إهتمام نورالدين محمود بالأيوبيين يرجع إلى تلك الخدمات التي قدموها هم للأتابكية ، وكانت براعة هؤلاء في المجال العسكري قد جعلت نورالدين لايستغني عنهم ، وتمكن أن يستفيد منهم كثيراً في الجانب العسكري في كثير من الأوقات الصعبة .

٢ . علاقة الأيوبيين بالخلافة الفاطمية :

أما فيما يخص علاقة الأيوبيين بالفاطميين فقد ذكر إبن الدواداري أنه إستنجد شاور[٣] بقوات الأتابكية في الشام ، وذلك لحسم نزاعه مع خصمه ضرغام[٤] على الوزارة في

---

(١) أبوالفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ٣ / ٦١ ؛ إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٦ / ٤ – ٥ ؛ سيدة إسماعيل كاشف ، المرجع السابق ، ص٢١ – ٢٢ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٧ .

(٣) شاور : وهو أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار بن عشائر بن شأس بن مغيث بن حبيب بن الحارث بن ربيعة ، وقد وزر الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله بعد مقتل رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك سنة (٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م) ، ولكن حاجبه ضرغام دبر له مؤامرة و عزله عن الوزارة ، حتى يحل هو مكانه ، وقتل في سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٦ م) .
ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٤٣٩ – ٤٤١ ؛ بسام العسلي ، صلاح الدين الأيوبي ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، ص٦٣ – ٦٥ .

(٤) ضرغام : هو المنصور أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار اللخمي ، وقد وزر في الدولة الفاطمية بعدما تمكن من عزل شاور عن هذا المنصب ، وكانت مدة وزارته في مصر تسعة أشهر و عشرة أيام ، توفي (٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م) .

سنة (٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م)[1] ، فوافق نورالدين على إرسال قوات بقيادة الأمير أسدالدين شيركوه الأيوبي و إبن أخيه صلاح الدين ، بعدما وعد شاور بأن يضم بلاده إلى حكم الدولة الأتابكية ، وهذا الإتفاق يكون ساري المفعول عندما ينحي ضرغام عن الوزراة و يرجع هو إلى مكانه[2] .

وبعد إقتراب قوات الأيوبي من مصر خرج لهم (همام بن سوار) على رأس جيش كبير ، والذي كان يلقب بـ (ناصر المسلمين) أو (ناصرالدين) ، فوقعت مواجهة بينهم سنة (٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م) في منطقة تسمى بلبيس[3] ، هزمت قوات همام في المعركة[4] ، و قتل هو و أخوان له في تلك المواجهة ، وكان أخوه ضرغام من بين القتلى ، و مقتله عند مشهد السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد[5] ، وبذلك أعيد شاور إلى الوزارة ، و استقر أسد الدين شيركوه و صلاح الدين مع قوات الأيوبي في ظاهر القاهرة[6] .

ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٤٤٢ ؛ سمير فراج ، الدولة الأيوبية ، مكتبة فكري ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م ، ص٣٥ .

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٢٥ .

(٢) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٠٥ ؛ إبن شداد ، النوادر السلطانية .. ، ص٣٦ ؛ أبو شامة ، المصدر السابق ، ١ / ٤٠٣ – ٤٠٤ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ١٣٧ – ١٣٨ .

(٣) بلبيس : وهي مدينة تقع على طريق الشام ، بينها و بين فسطاط مصر عشرة فراسخ (أي ٦٠ كم بالمقياس الحالي). ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٤٧٩ ؛ البغدادي ، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢ م ، ١ / ٢١٦ .

(٤) الحنبلي ، المصدر السابق ، ص٢٥ – ٢٦ ؛ منصور عبدالحكيم ، صلاح الدين المنقذ المنتظر ، دار الكتاب العربي ، دمشق ـ القاهرة ، ٢٠٠٨ م ، ص٩١ ؛ سمير فراج ، المرجع السابق ، ص٣٧ .

(٥) مشهد السيدة نفيسة : تقع هذه المنطقة من قرب مدينة القاهرة ، وكان في السابق يعرف بـ (درب السباع) ، ثم أطلق عليها مشهد السيدة نفيسة نسبة إلى إسم (السيدة نفيسة إبنة أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين)) ، وهي زوجة إسحاق بن جعفر الصادق (رضي الله عنه) ، فلما ماتت عزم زوجها على حملها إلى المدينة المنورة ليدفنها فيها ، ولكن المصريين طلبوا منه أن تبقى عندهم ، ولذلك دفنت في الموضع المعروف الآن بـ (مشهد السيدة نفيسة) .ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٥ / ٤٢٣ – ٤٢٤.

(٦) الأزدي ، أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق : عصام هزايمة و الآخرين ، دار الكندي ، إربد ـ الأردن ، ١٩٩٩ م ، ١ / ٢٦١ ؛ كنز الدرر ، ٧ / ٢٦ ؛ إبن الوردي ، تاريخ إبن الوردي ، ٢ / ٦٦ .

لم تدم هذه العلاقة بين الأيوبيين و شاور ، ومع أن الأيوبيين ساعدوه على عودته إلى الوزارة ، إلا أنه تراجع عن وعده الذي قطعه لنورالدين عندما إستنجد به ، فأمر أسدالدين بالرجوع إلى الشام مع قواته ، وتركه وحده ليحكم فيها ، الأمر الذي رفضه شيركوه بشكل قطعي ، لأنه يكون خلافاً للأتفاق السابق بينهما ، ولجأ شاور في هذه الأثناء إلى الصليبيين بالشام و استنجد بهم ، و استغل ملكهم مري[1] (٥٥٨ – ٥٦٩ هـ / ١١٦٣ – ١١٧٤ م) هذه الفرصة للتوغل في مصر ، لأنه كان يعلم جيداً بأن وجود الأيوبيين فيها يمثل خطراً على وجودهم بالشام ، وجرى بينهم اتفاق على إرسال شاور الأموال لهم ، في حال رحيل قوات الأيوبي من مصر ، فتحركت قوات الصليبيين نحو منطقة بلبيس و تحصنت فيها ، وفرضت حصاراً شديداً على الأيوبيين فيها[2] .

يشير إبن الدواداري إلى أن أسدالدين شيركوه بعث برسالة إلى مري ملك الصليبيين، جاء فيها: ((ليس لك فينا غرض ، ولا معنا مال يقنعك ، فإن شاور غدر بنا ، و لم يف بما شرطه لنا من المال ، و نحن قوم غرباء في هذه الديار ، أتينا لنصرة هذا الغادر، والبغي له مصرع ، وأنت تعلم أن وراءنا مثل الملك العادل نورالدين ، وكأنك به و قد أطل عليك بجيوش تعرفها ولا تنكرها ، وأنت قصدك مال ، ومصر قدامك ، وهى أحب إليك من مطاولتنا بغير فائدة لك ، وليس بمصر مانع يمنعك عنها ، فإن تركت البغي ،

---

(١) مري : هو أملريك الأول (Amalric1) ملك الروم بالشام ، و يأتي إسمه في المصادر العربية بـ (مري) أو (عموري الأول) ، ويأتي أحياناً بصيغة (آموري) ، تولى الحكم في سنة (٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م) ، في مملكة بيت المقدس ، بعد وفاة أخيه بلدوين الثالث (Baldwin III) ، وكان قبل ذلك حاكماً على إمارة يافا و عسقلان ، وتوفي سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) . ينظر : سيد علي الحريري ، الأخبار السنية في الحروب الصليبية ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٥ م ، ص١١٧ – ١١٨ ؛ قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٠ م ، ص١٣٩ – ١٤٢ ؛ محمود سعيد عمران ، تاريخ الحروب الصليبية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ٢٠٠٠ م ، ص١٠٩ – ١١١ .

(٢) إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ١٣٩ – ١٤٠ ؛ كنز الدرر ، ٧ / ٢٧ ؛ بسام العسلي ، المرجع السابق ، ص٦٥ – ٦٦ ؛ سمير فراج ، المرجع السابق ، ص١٤ .

وقنعت بما فى أيدينا من فضلات نفقاتنا نفذناها إليك ، وتدعنا نرجع إلى بلادنا ، وإن أبيت فنحن والله ما يقتل الواحد منا حتى يقتل عدداً منكم ، وبعد ذلك المدد واصل إلينا ، والسلام))[1].

لما وصلت الأخبار إلى نورالدين محمود بأن الصليبيين توجهوا إلى بلاد مصر ، ووقعت قوات الأيوبي في حصارهم ، أمر نورالدين بتحريك قواته نحو حارم[2] ، حتى يفتح جبهة أخرى على الصليبيين ، فتوترت أحوال الصليبيين بسبب قلة قواتهم في الشام ، لأن قسماً من قواتهم توجه نحو بلبيس ، فهزم الصليبيون في حارم ، وأدى ذلك بالصليبيين إلى مراجعة حساباتهم في المنطقة ، واضطروا إلى الخضوع في صلح مع الأيوبيين ، وذلك خوفاً من ضياع بلادهم ، و ليتفرغوا لجبهة الشام ، ورفع بذلك حصار الصليبيين على قوات أسدالدين ، وأعطي لهم المجال بالعودة إلى الشام ، ودفع أسدالدين مقابل ذلك الأموال للصليبيين [3] .

وعلى الرغم من وجود هذا الإتفاق بين الأيوبيين و الصليبيين ، إلا أن الصليبيين لم ينقطعوا عن إعتداءاتهم ، بل وضعوا كميناً لأسدالدين في الطريق كي يقتلوه ، ولكن حكمة أسدالدين في السياسة تغلبت على مكرهم ، فعرج الطريق الذي سلكه إلى طريق المدرية ، و تمكن بذلك من الخلاص من شرهم بحكمته السياسية و لطف الله تعالى[4] ، وعلى هذا يمدحه الشاعر(عمارة اليمني)[5] بقصيدة جاء فيها:

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٢٧ .

(٢) حارم : وهي من مدن بلاد الشام ، ومن أعمال حلب ، كانت كثيرة الأشجار و المياه . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٢٠٥ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٢٧ ؛ محمود محمد الحويري ، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة و أثرها في التصدي للصليبيين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٢ م ، ص١٣٥ – ١٣٦ .

(٤) كنز الدرر ، ٧ / ٢٨ .

(٥) عمارة اليمني : هو القاضي أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي اليمني ، لقبه نجم الدين ، وكان شاعراً مشهوراً ، أمضى شطراً كبيراً من حياته في القصر الفاطمي ، وعاش على سخاء و كرم الوزراء

أخذتم على الإفرنج كل ثنية و قلتم لأيدي الخيل مُرى على مُرى

لئن نصبوا فى البر جسرا فإنكم عبرتم بجسر من حديد على الجسر [١]

عاد أسدالدين شيركوه إلى الشام وكان في قلبه نار لاتطفيء ، و قص على نورالدين جميع ما جرى لهم في مصر ، وشعر نورالدين بظلم كبير ما تعرض له قواته في ذلك البلاد ، فغضب كثيراً من تصرفات شاور ، وإتيان قوات العدو إلى مصر لضرب المسلمين[٢] .

أرسل نورالدين محمود في سنة (٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م) مرة ثانية قواته إلى بلاد مصر بقيادة أسدالدين شيركوه ، وطلب منه يرافقه أيضاً صلاح الدين[٣] ، وسلكت قوات الأيوبي طريق البدرية تاركة الصليبيين في يمينها ، ثم عبروا نهر النيل حتى وصلوا إلى منطقة اطفيح [٤] ، واستمروا في السير إلى أن وصلوا إلى الجيزة[٥] ، إستنجد شاور مرة أخرى بالصليبيين ، وعلى الرغم من أن إبن الدواداري روى كل هذه الأحداث خلال حوادث سنة (٥٦١ هـ / ١١٦٦ م) ، إلا أنه في الأخير ذكر أن البعض يقولون إن هذه الأمور كلها حدثت في سنة (٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م) ، وأكد على أن رأيهم هو الصحيح[٦] .

الفاطميين ، حاول أن يتقرب من أمراء الأيوبيين لاسيما توران شاه ، وكان له دور كبير في تشجيع هذا الأمير للإستيلاء على بلاد اليمن ، قتل في سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) في القاهرة . ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣ / ٤٣١ – ٤٣٥ ؛ سمير فراج ، المرجع السابق ، ص٢٠ – ٢١ .

(١) عمارة اليمني ، النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية ، مطبعة مرسو ، شالوت ، ١٨٩٧ م ، ص٨٠ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٢٨ .

(٣) إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ١٤٨ – ١٤٩ ؛ الحنبلي ، المصدر السابق ، ص٢٨ – ٢٩ ؛ ناصر عبدالرزاق ، صلاح الدين الأيوبي في الدراسات الإستشراقية الإنكليزية و الأمريكية ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ـ كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٢ م ، ص٧٠ ؛ منصور عبدالحكيم ، المرجع السابق ، ص٩٤ – ٩٥ .

(٤) إطفيح : هي بلدة في الصعيد بمصر ، تقع على شاطيء النيل في شرقه . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٢١٨ .

(٥) الجيزة : هي في غربي فسطاط مصر ، على شاطيء النيل ، وفيها الأهرامات التي هي من عجائب الدنيا . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٢٠٠ .

(٦) كنز الدرر ، ٧ / ٣٧ .

لما علم أسدالدين بتحرك قوات الصليبيين لمقاتلتهم ، حرك قواته من الصعيد إلى منطقة تعرف بالبابين[1] ، و جرت هناك معارك عنيفة بين الجانبين ، وكانت الأوضاع تنذر في البداية أن المعركة ستحسم لصالح الصليبيين ، إلا أن الله قدر ما شاء بعكس ذلك ، فانتصر المسلمون في آخر نهار اليوم الثالث من المعركة [٢] .

بعد إنتهاء المعركة عاد شاور و الملك مري إلى القاهرة ، أما أسد الدين فتوجه بقواته إلى الإسكندرية ، وبقي فيها مدة محدودة ، ثم عاد إلى الصعيد الأعلى ، وترك صلاح الدين الأيوبي في الإسكندرية مع قلة من القوات ، فاستغل الصليبيون هذه الفرصة وحركوا جيوشهم براً و بحراً نحوه ، وفرضوا حصاراً شديداً على قوات الأيوبيين الموجودة في المدينة[٣] ، و ضرب عليهم هذا الحصار سبعة و خمسين يوماً ، ونقص الطعام نتيجة الحصار ، إلا أن الأيوبيين و أهالي المدينة صبروا على ذلك ، ولما علم أسد الدين بذلك حرك قواته من الصعيد ، وفرض في طريقه حصاراً على القاهرة ، وضاقت الأمور على من في المدينة ، و لاسيما على الخليفة العاضد[٤] نتيجة الحصار ، فاتفق رأي كبار البلد مع رأي العاضد أن يصالحوه ، فرفع من خلالها الحصار على صلاح الدين في

---

(١) بابين : بلدة تقع في الصعيد ببلاد مصر . ينظر : إبن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق : سامي الدهان ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٩٥٤ م ، ٢ / ٣٢٣ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٢٨ ؛ أ . ب . هەورى ، صلاح الدين الأيوبي أسد القارتين ، مطبعة سلمان الأعظمي ، بغداد ، ١٩٦٧ م ، ص٢٥ .

(٣) إبن العبري ، تاريخ الزمان ، ت : الأب إسحق أرملة ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩١ م ، ص١٧٨ – ١٧٩ ؛ محسن محمد حسين ، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ، مطبعة وزارة التربية ، أربيل ، ط٢ ، ٢٠٠٣ م ، ص٤٠ .

(٤) العاضد : هو أبو محمد عبدالله بن أبي الحاج يوسف بن الحافظ أبي الميمون عبدالمجيد بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي ، الملقب بـ (العاضد لدين الله) ، كان آخر خلفاء العبيديين الذين حكموا بلاد مصر ، ولد في سنة (٥٤٦ هـ / ١١٥١ م) ، تولى الخلافة عام (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) في الدولة العبيدية الفاطمية ، وعزل عن الحكم في سنة (٥٦٦ هـ / ١١٧١ م) ، و توفي عام (٥٦٧ هـ / ١١٧١ م) . ينظر : الأزدي ، المصدر السابق ، ١ / ٢٥٧ – ٢٥٩ ؛ إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣ / ١٠٩ – ١١٢ ؛ كنز الدرر ، ٧ / ١٢ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٥ / ٢٠٧ ؛ إبن إياس ، المصدر السابق ، ١ / ٢٣٠ – ٢٣١ .

الإسكندرية ، وفك الأسرى الذين قبض عليهم من قبل الصليبيين ، واتفق الجانبان أن يعودا إلى بلادهما ، فعاد أسدالدين إلى الشام ، و الصليبيون إلى بلادهم[1] .

لما علم نورالدين بأنه أصبح للصليبيين نفوذ في مصر ، بسبب دخولهم هذه البلاد مرتين ، وكانت الأبواب مفتوحة أمامهم لدخولها في أي وقت يشاؤون ، ووصلت الأخبار إليه في هذه الأثناء أن الصليبيين هاجموا على مصر ، وتمكنوا من السيطرة على مدينة القاهرة ، قرر أن يرسل قواته إلى هذه البلاد في سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م) ، و أوكل قيادة جيشه إلى أسدالدين شيركوه ، فانطلق من حمص[2] مستصحباً إبن أخيه صلاح الدين ، ومر الجيش بالمناطق البرية حتى وصل إلى مصر[3] ، وعندما سمع ملك الصليبيين مري بالخبر تحرك هو و جيشه من بلبيس حتى نزل بسمنود[4]، ولكنه لم يبق هناك أيضاً ، بل تركها وترك القاهرة أيضاً ، وعاد الجيش الأيوبي مرة ثالثة إلى بلاد مصر ، فأطلقت البشائر و الأفراح في عموم البلاد ، وكان يوماً عظيماً عند المسلمين ، ومع أن إبن الدواداري قد ذكر ذلك خلال أحداث سنة (٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م)[5] ، إلا أن المصادر التاريخية أشارت إلى أنه حدث في سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م)[6] .

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٢٩ .

(٢) حمص : مدينة مشهورة وقديمة ، تعد من المدن الكبيرة والواسعة في بلاد الشام ، تقع بين دمشق و حلب . ينظر : الإدريسي ، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٤ م ، ص٣٧٤ – ٣٧٥ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٣٠٢ – ٣٠٣ ؛ القزويني ، المصدر السابق ، ص١٨٤ – ١٨٥ ؛ إبن الوردي ، خريدة العجائب و فريدة الغرائب ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ ، ص٣٢ .

(٣) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٣٩ – ٣٤٠ ؛ إبن شداد ، النوادر السلطانية .. ، ص٣٨ – ٣٩ ؛ المقريزي ، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق : محمد حلمي محمد أحمد ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، ١٩٩٦ م ، ٣ / ٢٩١ – ٢٩٣ .

(٤) سمنود : هي مدينة قديمة على ضفة نهر النيل بمصر ، تقع على جهة دمياط . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٢٥٤ ؛ القزويني ، المصدر السابق ، ص٢٠٣ ؛ إبن بطوطة ، المصدر السابق ، ص٥٣ .

(٥) كنز الدرر ، ٧ / ٣١ .

(٦) إبن شداد ، النوادر السلطانية .. ، ص٣٨ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ١٥٥ – ١٥٧ .

إستمر شاور في علاقته الحميمة بالصليبيين ، ومراسلاته مع مري و إرسال الهدايا إليه ، واستنجاده كثيراً بهم ، وكان يردد دائماً قول : ((الصليبيون و لا أسد الدين شيركوه)) ، ومن خلال ذلك تمكن الصليبيون من وضع أقدامهم في بلاد مصر ، فأصبح بذلك شخصاً مكروهاً في العالم الإسلامي ، ويشير إبن الدواداري إلى إتفاق أسدالدين شيركوه مع إبن أخيه صلاح الدين على تدبير خطة للتخلص من شره ، وذلك بأمر من نورالدين محمود ، فلما أتى إليهم قام كل من (جرديك)[1] و (برغش)[2] بقتله ، و لكنهم لم يقتلوه حتى حضر توقيع من العاضد على يد خادم خاص بقتله ، ومع أن إبن الدواداري ذكر هذه الحادثة في سنة (٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م) ، إلا أنه في نهاية كلامه يشير إلى أنها حدث في سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م)[3] ، والجدير بالذكر أن الصحيح أنها حدث في سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م) ، كما أشار إليه معظم المصادر التأريخية[4] .

٣ . الأيوبيون في وزارة الدولة الفاطمية :

وبعد مقتل شاور أصبحت الأوضاع مهيأة أمام الأيوبيين لكي يتسنموا المناصب الإدارية في بلاد مصر ، وكان من عادة المصريين أن يرث شخص ما منصب شخص آخر ، عندما يقوم هذا الشخص بتنحية الآخر عن منصبه ، فيذكر لنا إبن الدواداري أن الخليفة

---

(١) جرديك : هو عزالدين جرديك بن عبدالله النوري ، كان من أكابر أمراء نورالدين محمود ، و أحد القادة العسكريين في الجيش الذي كان يقوده أسدالدين شيركوه في حملاته على بلاد مصر ، وشارك في عملية القبض على شاور و قتله مع صلاح الدين ، ثم ولاه الأخير نيابة القدس ، وبقي في هذا المنصب إلى أن أخذها منه الأمير الأيوبي الأفضل ، وتوفي سنة (٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م) . ينظر : إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٢٢ ، ٣ / ٥٢ ؛ إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة .. ، ٦ / ١٢٩ .

(٢) برغش : هو شرف الدين برغش بن عبدالله النوري ، أخو عزالدين جرديك ، وكان أيضاً أحد أمراء نورالدين محمود ، و من القادة العسكريين في جيش أسدالدين شيركوه ، شارك في قتل شاور . ينظر : إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ١٥٠ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٣٢ – ٣٥ .

(٤) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٤١ – ٣٤٢ ؛ إبن شداد ، النوادر السلطانية .. ، ص٤٠ ؛ الحنبلي ، المصدر السابق ، ص٣٥ ؛ منصور عبدالحكيم ، المرجع السابق ، ص٩٩ .

الفـاطمي العاضـد (٥٥٥ – ٥٦٧ هـ / ١١٦٠ – ١١٧٢ م) أنـاط الـوزارة إلى أسـدالدين شيركوه ، و منحه لقب الملك المنصور ، وكانت مدة وزارته أربعة أشهر ، ويقول البعض أنها كانت ثمانية أشهر[1] .

وقد وزر صلاح الدين في بلاد مصر بعد وفاة عمه أسدالدين شيركوه في سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م) ، بعدما أرسل العاضد مبعوثاً إلى صلاح الدين ، لكي يبلغه بأن الخليفة يريد أن يحضر إلى قصر الخلافة حتى يسند إليه الوزارة ، فلما إستجاب صلاح الدين لندائه خلع عليه هذا المنصب ، ولقبه بالملك الناصر[2] ، ومع أن جماعة من الأمراء في الدولة النورية كانوا يطمعون في الوزارة ، ومن بينهم عين الدولة (أو عين الدين) الياروقي ، و قطب الدين خسرو بن التليل ، و سيف الدين علي بن أحمد المشطوب الهكاري[3] ، و شهاب الدين محمود[4] الحارمي[1] ، إلا أن جميعهم إتفقوا في النهاية على تولي صلاح الدين

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٣٥ ، ٤٠ .

(٢) إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٦ / ٦ ؛ خانزاد صباح محيى الدين ، علاقة الدولة الفاطمية بالكرد ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ـ كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ـ أربيل ، ٢٠٠٩ م ، ص٨٥ – ٨٦ ؛ دريد عبدالقادر نوري ، سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر و الشام و الجزيرة ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٦ م ، ص٩٠ – ٩١ ؛ قدري قلعجي ، صلاح الدين الأيوبي ، دار الكاتب العربي ، ط٥ ، ١٩٧٩ م ، ص١٩٧ – ٢٠٠ .

(٣) المشطوب الهكاري : هو سيف الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الهيجاء بن عبدالله بن أبي الخليل بن مرزبان الهكاري ، ينتسب إلى عشيرة الهكارية الكردية ، لقب بـ (المشطوب الهكاري) ، كان أميراً شجاعاً و صابراً في ميدان الحرب ، و مطيعاً لأوامر قائده ، رافق القائد الأيوبي أسدالدين شيركوه في حملاته الثلاث على مصر ، ثم عاد بعد ذلك إلى بلاد الشام ، وبقي فيها حتى توفي سنة (٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م) في نابلس . ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١ / ١٨٢ – ١٨٣ ؛ إبن شاهنشاه الأيوبي ، مضمار الحقائق و سر الخلائق ، تحقيق : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م ، ص٢٤٠ ؛ محمدامين زكي بك ، مشاهير الكرد و كردستان في العهد الإسلامي ، ت : الآنسة الكريمة ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٤٧ م ، ٢ / ٨٣ – ٨٤ ؛ نبز مجيد أمين ، المشطوب الهكاري دراسة عن دور الهكاريين في الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ـ كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ـ أربيل ، ص٧١ – ٩٣ .

(٤) شهاب الدين : هو شهاب الدين محمود الحارمي بن تاج الملوك بوري ، خال السلطان صلاح الدين الأيوبي . ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٧ / ١٥٤ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٢٠ / ١٣ .

هذا المنصب ، وكان للفقيه ضياءالدين عيسى الهكاري[2] دور كبير في إقناعهم لإجتماع رأيهم على صلاح الدين[3] .

---

(١) الحنبلي ، المصدر السابق ، ص٦٦ – ٦٧ .

(٢) ضياءالدين الهكاري : هو الفقيه أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى ، الملقب بـ (ضياءالدين) ، المعروف بـ (الفقيه عيسى الهكاري) ، وكان من أعيان أمراء عسكر صلاح الدين ، و رافق صلاح الدين في حملته على بلاد مصر ، توفي سنة (٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م) في عكا . ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣ / ٤٩٧ – ٤٩٨ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود محمد الطناحي و عبدالفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٤ م ، ٧ / ٢٥٥ – ٢٥٦ ؛ إبن حجر العسقلاني ، رفع الأصر عن قضاة مصر ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د . ت . ، ٢٩٤ .

(٣) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٤٣ – ٣٤٤ ؛ إبن العديم ، المصدر السابق ، ٢ / ٣٢٨ – ٣٢٩ ؛ أبو شامة ، المصدر السابق ، ٢ / ٦٩ – ٧١ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ١٦٨ – ١٦٩ ؛ محمد سهيل طقوش ، تاريخ الأيوبيين في مصر و بلاد الشام و إقليم الجزيرة ، دار النفائس ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٨ م ، ص٢٠ .

الفصل الخامس

التأريخ السياسي للدولة الأيوبية

في كتاب (كنز الدرر و جامع الغرر)

الفصل الخامس

التأريخ السياسي للأيوبيين في كتاب (كنز الدرر و جامع الغرر)

المبحث الأول

الأيوبيون في عهد صلاح الدين الأيوبي

(٥٦٧ – ٥٨٩ هـ / ١١٧٢ – ١١٩٣ م)

أولاً / محاولات صلاح الدين لتثبيت حكمه في مصر :

١ . القضاء على مؤامرة مؤتمن الخلافة :

لما تولى صلاح الدين الحكم في مصر واجه تحديات كثيرة ، و كانت هذه التحديات داخلية و خارجية ، ومن أول التحديات الذي واجهه صلاح الدين هي تثبيت حكمه في البلاد ، ففي بداية توليه الحكم في بلاد مصر واجهه بعض رجال من قصر الدولة الفاطمية، فيروي إبن الدواداري أن مجموعة من رجال قصر وضعوا مؤامرة لتصفية شخص مثل صلاح الدين ، وكاتبوا الصليبيين لهذا الغرض ، وكان على رأسهم خصي سوداني يدعى مؤتمن الخلافة ، الذي خطط[1] لرجاله كي تتمكن جماعته من السيطرة على زمام الحكم في القصر ، ولكن لم يفلحوا في ذلك ، بل تمكن رجال صلاح الدين من إلقاء القبض عليه ثم قتله[2] .

---

(١) الخطة كانت هي أن هذا الخصي إتفق مع مجموعة من الشيعة العلوية على إعادة الدولة الفاطمية بمصر و القضاء على الدولة الأيوبية ، فأعدوا خطة لهذا الغرض ومنها الإستعانة بالصليبيين من صقلية و الشام مقابل مبالغ من المال يدفعونها إليهم ، ففي وقت يصل الصليبيون إلى مصر يخرج إليهم صلاح الدين الأيوبي على رأس جيشه ، فيقومون هم بثورتهم في مصر و القاهرة ، ويرجعون الدولة الفاطمية في مصر مرة اخرى . ينظر : إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٤٥ – ٣٤٦ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ١٧٤ – ١٧٥ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٤٤ ؛ الحنبلي ، المصدر السابق ، ص٧١ – ٧٢ ؛ الزبيدي ، المصدر السابق ، ص١٠ – ١١ ؛ أ . ب . هەورى ، المرجع السابق ، ص٣٢ – ٣٣ .

وأدت هذه الحادثة إلى قيام السودانيين بالثورة ، و قدر عددهم بخمسة آلاف نفر تقريباً ، فلما علم صلاح الدين بذلك أرسل إليهم قوة عسكرية ، فوقعت بينهم الحرب في منطقة تسمى (بين القصرين)[(١)] ، وكانت لهم محلة عظيمة على (باب زويلة)[(٢)] تعرف بالمنصورية ، فقتلت منهم جماعة كثيرة ، فهزم السودانيون في المعركة ، وتمكن صلاح الدين بذلك من القضاء عليهم ، وقد ذكرها إبن الدواداري ضمن أحداث سنة (٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م) ، ولكن يشير في آخر كلامه إلى أنها وقعت في سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م)[(٣)] .

وإذا قارنا ما ذكره إبن الدواداري عن مؤامرة مؤتمن الخلافة بما ورد عنها في المصادر التأريخية الأخرى ، نجد تشابهاً عاماً في جميع المصادر حول سرد الحادثة ، ولكن هناك إختلاف بينهم على سنة حدوثها ، ففي حين يذكر إبن الدواداري بأنها وقعت في سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م) ، إلا أن المصادر التاريخية الأخرى تذكر بأنها حدثت خلال سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م)[(٤)] .

٢ . عزل العاضد عن الحكم :

لما تولى الخليفة العباسي المستضيء بنورالله أبو محمد الحسن (٥٦٦ – ٥٧٦ هـ / ١١٧٠ – ١١٨٠ م) الحكم بعد وفاة أبيه المستنجد بالله (٥٥٥ – ٥٦٦ هـ / ١١٦٠ – ١١٧٠م) طلب من جميع الدويلات الإسلامية الموجودة بإعطاء البيعة له ، فأعلن كلهم الولاء و البيعة له ومن ضمنهم نورالدين محمود ، وأرسل الخليفة العباسي إلى صلاح الدين

(١) بين القصرين : إسم محلة بالقاهرة في بلاد مصر ، وكانت توجد أيضاً محلة في بغداد بباب الطاق بالجانب الشرقي بهذا الإسم . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٥٣٤ .

(٢) باب زويلة : كانت لمدينة القاهرة عدة أبواب ، وفي جهتها القبلية بابان متلاصقان يسميان باب زويلة ، و زويلة هي حارة (محلة) بالقاهرة ، وقد بني هذا الباب في سنة (٤٨٤ هـ / ١٠٨٩ م) . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ٣ / ١٦٠ ؛ المقريزي ، الخطط ، ٢ / ٢٣٩ – ٢٤٠ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٤٤ .

(٤) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٤٥ – ٣٤٦ ؛ أبوشامة ، المصدر السابق ، ٢ / ١٣٠ – ١٣٢ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ١٧٥ – ١٧٦ .

أيضاً هذا الطلب ، وكان في نية صلاح الدين تحقيق ذلك ، إلا أنه لم يعلنه إلى حين الوقت المناسب ، ويرجع سبب ذلك إلى تخوف صلاح الدين من رد فعل أتباع العاضد[1] ، وكذلك رأى صلاح الدين إن إعلان ذلك الشيء يحتاج إلى بعض الوقت ، ولكن بعد إلحاح كثير من قبل الخليفة العباسي و نورالدين محمود على إسراع من تحقيق ذلك ، قام صلاح الدين في سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م) بجمع العلماء و الفقهاء في الدولة و شاورهم بهذا الخصوص[2] ، وطلب منهم إصدار فتوى حول عزل العاضد عن الحكم ، لأن الخليفة الفاطمي لم يكن عادلاً في حكمه ، وانحاز لمذهب معين ، وأبعد كل من لاينتمي إلى مذهبه من مناصب الدولة، وقام بأعمال مخلة بالعقيدة السليمة ، وانتشر في بلاده التشهير بحق الصحابة[3] .

وكان من بين العلماء الذين أفتوا بذلك رجل صوفي يدعى الشيخ نجم الدين الخبوشاني[4] ، ويروي إبن الدواداري قصة غريبة تخص هذا الشخص ، وهي أن العاضد رأى في منامه عندما كان في أواخر حكمه عقرباً يخرج من مسجد بمصر فلدغه ، ولما إستيقظ إرتاح كثيراً لأنه لم يكن حقيقة ، ثم سرد رؤياه لأحد مفسري الرؤيا ، فجاوبه بأنه يناله مكروه من شخص ما مقيم بهذا المسجد ، فطلب العاضد من متولي المسجد أن يقوم بكشف كل من هو مقيم بالمسجد ، وقال له إذا رأيت أحداً بهذا الوصف فأحضره إلي ، وقام المتولي يبحث عنه في المسجد حتى أحضر رجلاً صوفياً إليه ، وبدأ العاضد يسأله

---

(١) إبن العبري ، تاريخ الزمان ، ص١٨٧ .

(٢) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٦٤ – ٣٦٥ ؛ إبن شداد ، النوادر السلطانية .. ، ص٤٥ ؛ أبو شامة ، المصدر السابق ، ٢ / ١٨٩ – ١٩٠ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ٢٠٠ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٤٧ – ٤٨.

(٤) الشيخ نجم الدين الخبوشاني : وهو أبو البركات محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن الحسن بن عبدالله الخبوشاني، الملقب نجم الدين ، وهو من أحد فقهاء الشافعية الأفاضل ، وكان من كبار علماء المتصوفة ، ينتسب إلى قرية (خبوشان) من نواحي نيسابور ، ثم إنتقل إلى بلاد مصر ، وعظمت هناك مكانته عند صلاح الدين ، توفي سنة (٥٨٧ هـ / ١١٩٢ م) . ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤ / ٢٣٩ – ٢٤٠ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية ، ٧ / ١٤ – ١٥ ؛ الزركلي ، المرجع السابق ، ٧ / ١٢٠ .

من أين هو و متى قدم إلى مصر ، وكان الصوفي يجيب عن كل سؤال دون تردد و قلق ، فلما رأى العاضد أنه صادق في كلامه ، وكذلك بعيد عن إلحاق الأذى به ، أطلق سراحه و عاد الرجل إلى المسجد ، ولما تولى صلاح الدين الحكم لعب هذا الصوفي دوراً بارزاً في تشجيعه على عزل العاضد عن الحكم[١] ، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه القصة أوردها القلقشندي في كتابه أيضاً[٢] .

وعلى الرغم من أن صلاح الدين قام بعزل العاضد عن الحكم ، إلا أنه لم يقطع علاقته الجيدة به ، وحتى أنه لما توفي العاضد في سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م) تأثر كثيراً بوفاته وبكى عليه ، وحضر جنازته ، وأشفق بأهله فرتب لهم الأرزاق ليعيشوا بها ، وأعطاهم داراً ليسكنوا فيها[٣] .

٣ . القضاء على الدولة الفاطمية :

بعدما أفلح صلاح الدين من عزل العاضد عن الحكم ، بدأ بإجراءاتها لتغير ملامح الدولة وتصحيح مسارها ، لأن الفاطميون لما سيطروا على مصر غيروا كل شيء ، وعزلوا هذا البلاد عن الخلافة العباسية ، ويشير إبن الدواداري إلى أن صلاح الدين قام بتخصيص دار لتكون مدرسة للمذهب الشافعي ، و داراً أخرى للمدرسة المالكية ، لأن الدراسة في الدولة الفاطمية كانت محصورة للمذهب الإسماعيلي[٤] ، وكذلك قام بإزالة عبارة (حي على خير العمل) عن الأذان ، والتي أضافوها إليه بعد توليهم الحكم في مصر ، وكلف القاضي صدرالدين عبدالملك بن درباس الشافعي[٥] بتولي القضاء في بلاد مصر ، فعاد

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ١٤ .

(٢) مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، ص١٨٦ .

(٣) هيثم جمعة هلال ، المرجع السابق ، ص١٠ .

(٤) إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ١٩٧ – ١٩٨ ؛ سمير فراج ، المرجع السابق ، ص١٨ – ١٩ .

(٥) إبن درباس : هو القاضي صدرالدين أبو القاسم عبدالملك بن عيسى بن درباس الماراني الهذباني الكردي ، وكان من أشهر قضاة الشافعية ببلاد مصر ، تولى مناصب رفيعة في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي . ينظر : إبن واصل ،

بذلك وضع الدولة إلى سابق عهده كما كان من قبل [1] .

ثم أمر صلاح الدين أن تكون الخطبة لبني العباس في بلاد مصر ، ويذكر إسم نورالدين محمود حاكم دمشق في الخطبة أيضاً بعد إسم الخليفة العباسي ، وأرسل جميع الممتلكات التي إستولى عليها في قصر الخلافة بمصر إلى نورالدين ، من أموال القصر و ذخائره و جواهره و تحفه ، وكان من بين الأشياء التي أهداها إليه الحمارة العتابية و الفيل و الزرافة [2] .

وكما هو معلوم فإنه إنقطعت الخطبة لبني العباس في مصر في سنة (٣٥٨ هـ / ٩٦٢م) ، وعادت إليهم سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م) ، فكانت مدة إنقطاع الخطبة العباسية بمصر مئتان و تسع سنين [3] . وكانت هذه الخطوة بمثابة إنهاء الحكم الفاطمي بشكل نهائي في بلاد مصر ، و إرجاع هذا الجزء الكبير من العالم الإسلامي إلى حضيرة الخلافة العباسية في بغداد ، واستطاع صلاح الدين أن ينهي التقسيم في القرار السياسي في العالم الإسلامي ، ويصف العالم والمؤرخ المصري الشهير السيوطي هذا العمل الكبير الذي قام به صلاح الدين ، بأنه لاقى حفاوة كبيرة من قبل جميع المسلمين ، حتى أنهم فرحوا به كثيراً [4] .

المصدر السابق ، ١ / ١٩٨ ؛ عزت سليمان حسين ، الكرد في جيش الدولة المملوكية البحرية ، مطبعة الحاج هاشم ، أربيل ، ٢٠١١ م ، ص٤٩ .

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٤٧ – ٤٩ ؛ طقوش ، تاريخ الأيوبيين .. ، ص٣٥ – ٣٦ ؛ منصور عبدالحكيم ، المرجع السابق ، ص١٠٤ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٤٨ .

(٣) إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ٢١٨ .

(٤) حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة ، ٢ / ٣٢ – ٣٣ .

ثانياً / مجهودات صلاح الدين لتوحيد الصف الداخلي :

١ . الإستيلاء على بلاد النوبة و اليمن :

بعد وفاة الخليفة الفاطمي العاضد تهيأت الأمور أمام صلاح الدين ، أصبح هو حاكماً في بلاد مصر ، و بعدما أخذ تأييداً كاملاً من الخليفة العباسي في بغداد أخذ حكمه شرعية أكثر ، فأطلق يده حتى يقوي سلطته في المناطق التي كانت مهددة من قبل الصليبيين ، وكان الخلافة العباسية ينظر إليه كحامي الدولة الإسلامية في بلاد مصر والشام ، فبدأ صلاح الدين يعمل من أجل توحيد العالم الإسلامي ، وتجهيز نفسه لتحرير البلاد الإسلامية من يد الصليبيين ، فيشير إبن الدواداري إلى أن صلاح الدين أرسل في سنة (٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م) قواته إلى بلاد النوبة بقيادة أخيه فخرالدين توران شاه(١) ، وتمكن هذا الجيش من فتح قلعة بريم (٢) ، ثم أسر جماعة من أهلها و أخذهم إلى مصر(٣) .

وقد أشار إبن الدواداري إلى أن السلطان صلاح الدين أرسل في سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) قواته إلى بلاد اليمن ، وتمكن من الإستيلاء عليها ، و رجع سبب مهاجمة بلاد النوبة و اليمن إلى تخوف صلاح الدين و أهله من نورالدين محمود ، أن يدخل مصر و يأخذها منهم ، فكانوا يبحثون دائماً عن مكان ليسيروا إليها إذا هاجم عليهم نورالدين(٤) ، إلا أن المصادر التأريخية الأخرى ذكرت في الوقت نفسه أسباباً أخرى للإستيلاء على

---

(١) فخرالدين توران شاه : وهو الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان ، الملقب بـ (فخرالدين) ، توفي سنة (٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م) . ينظر : الأصفهاني ، البرق الشامي ، تحقيق : فالح صالح حسين ، مؤسسة عبدالحميد شومان ، ١٩٨٧ م ، ٣ / ١٥٣ ؛ أبو شامة ، المصدر السابق ، ٣ / ٦٣ – ٦٤ ؛ إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١ / ٣٠٦ – ٣٠٧ .

(٢) قلعة بريم : سميت هذه القلعة بهذا الإسم نسبة إلى جبل بريم الأحمر ، تقع في واد بالحجاز قرب مكة المكرمة . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٤٠٧ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٥٠ .

(٤) نفسه ، ٧ / ٥٧ .

اليمن، ومنها وجود حاكم في اليمن إسمه علي بن مهدي يعرف بـ (عبدالنبي) ، وقد ملك هذا الشخص مدينة زبيد [1]، وقام بقطع الخطبة لبني العباس في اليمن ، وأمر بالخطبة لنفسه ، وقد أدى هذا إلى غضب صلاح الدين من هذا التصرف ، فاستأذن من نورالدين أن يسير إليه في اليمن ، حتى يرجع هذا البلد إلى أكناف الدولة العباسية[2] ، وفي الوقت نفسه كان يوجد في مصر شاعر مشهور بإسم عمارة بن علي اليمني ، كان يحث الملك المعظم على التوجه إلى بلاده ، ويصف له بلاده بشكل حسن ، ويعظمها أمامه ، هذه الأمور كلها شجعت صلاح الدين على أرسال أخيه إلى اليمن[3] .

و إذا قارنا بين ما ذكره إبن الدواداري مع ما جاء عند إبن الأثير و إبن واصل ، نخرج بالملاحظات الآتية :

أ . يتفق رأي إبن الدواداري مع معظم ما ورد في الرواية عند إبن الأثير و إبن واصل ، من حيث زمان و مكان الحادثة .

ب . يعتمد إبن الدواداري على رأي إبن الأثير أكثر من الاخرين حول أسباب الحادثة ، عندما يذكرون بأن سبب مهاجمة بلاد النوبة و اليمن كان بسبب تخوف صلاح الدين من نورالدين محمود .

٢ . إخماد حركة كنز الدولة :

ويشير إبن الدواداري إلى أنه ظهر في سنة (٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م) رجل بالصعيد يعرف بـ (الكنز) ، وقد قام هذا الشخص بقتل بعض من أمراء الأيوبيين ، فأرسل إليه صلاح الدين حملة عسكرية بقيادة أخيه الملك العادل و رافقه في الحملة كل من الأمير

---

(١) زبيد : إسم واد باليمن يقال لها الحصيب ، ثم غلب عليها إسم الوادي فلا تعرف إلا به ، وهي مدينة مشهورة باليمن، تبعد عن عدن مسيرة ثمانية أيام . ينظر : التطيلي ، رحلة بنيامين التطيلي ، ت : عزرا حداد ، دار الوراق للنشر ، ٢٠١١ م ، ص ٢٠٢ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ١٣١ – ١٣٢ .

(٢) القلقشندي ، مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، ص١٨٧ .

(٣) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٨٨ – ٣٨٩ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ٢٣٧ – ٢٣٨ .

عزالدين موسك و الأمير حسام الدين أبي الهيجاء السمين مع جماعة من الأمراء حتى وصلوا إلى أسوان[١] ، فتمكنوا من قتله و جماعة من أتباعه السودان بعد مواجهة معه [٢] ، وقد أكدت المصادر التأريخية على وقوع هذه الحادثة في تلك السنة[٣] .

٣ . الإستيلاء على بلاد الشام :

بعدما تمكن صلاح الدين من توفير الأمن الداخلي و انتصاره على الذين كانوا يعارضون حكم الأيوبيين في مصر ، ثم سيطرته على بلاد النوبة و اليمن ، قرر هذه المرة أن يوحد بين بلاد مصر و الشام ، وكان ذلك بعد وفاة نورالدين محمود ، وانتقال سلطة الزنكيين إلى إبنه الملك الصالح إسماعيل ، وما كان هذا الأمير موفقاً في الحكم بسبب صغر سنه ، وعدم وجود خبرة كافية لديه لإدارة البلاد ، ففي عهده تعرض أولاد الداية[٤] إلى ظلم كبير من قبل بعض أمراء الزنكيين ، وكذلك إستغل الصليبيون الأوضاع المتوترة في بلاد الشام ، وتمكنوا أن يشنوا هجوماً على الشام و سيطروا على بعض المناطق ، ولم يتمكن الملك الصالح إسماعيل أن يفعل أي شيء ، بل عكس ذلك أبرم معهم صلحاً حتى يتمكن من خلاله أن يستمر في الحكم ، وما أشرنا إليه كان من الأسباب الرئيسية وراء تحرك صلاح الدين قواته نحو بلاد الشام[٥] .

---

(١) أسوان : وهي مدينة عظيمة ، تقع في الجانب الشرقي من نهر النيل ، في آخر الصعيد الأعلى ، ومن ثغور بلاد النوبة . ينظر : اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ص٩٣ ؛ الاصطخري ، المصدر السابق ، ص٥٠ – ٥١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ١٩١ – ١٩٢ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٥٨ .

(٣) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤٠٤ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ١٦ – ١٧ .

(٤) أولاد الداية : عائلة كبيرة و مشهورة بالشام ، وكان للداية عدة أولاد وهم : شمس الدين علي بن الداية بحلب ، و سابق الدين عثمان بن الداية في تل باشر و قلعة جعبر ، و بدرالدين حسن بن الداية في عين تاب و عزاز ، ومجدالدين أبوبكر بن الداية في حارم ، و كان هؤلاء من كبار أمراء الشام في الدولة النورية ، وبسبب قربهم من نورالدين و علو منزلتهم عنده ، أسندت إليهم مهمة تربية الملك الصالح . ينظر : إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٥٦ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٩ .

(٥) إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ١٧ – ١٨ .

يشير إبن الدواداري ضمن أحداث سنة (٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م) إلى أن صلاح الدين لما رأى هذه الأوضاع في بلاد الشام قرر أن يستولي عليها ، بعدما ترك أخوه الملك المعظم عيسى في مصر لينوب عنه حتى يعود إلى البلاد ، تحرك بقواته نحو الشام واستقر فيها ، بعد ذلك قام بمحاصرة مدينة حلب لعدة أيام ، ثم أبرم بين الأيوبيين و الزنكيين صلحاً ، كان بموجبه ينبغي للملك الصالح إسماعيل أن يبقى حاكماً في حلب و أعمالها ، ولكن تحت سيادة صلاح الدين ، وعاد الأخير بعد ذلك إلى مصر من خلف السويس على طريق قلعة صدر[1] ، و جعل أخاه الملك العادل سيف الدين أبابكر نائباً على الشام ، وقد عاد صلاح الدين إلى مصر بسبب تحركات الصليبيين نحوها ، فخاف أن يسيطروا عليها و يستفيدوا من غيابه فيها ، ومع أن إبن الدواداري ذكر هذه الحادثة ضمن أحداث سنة (٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م) ، إلا أنه أشار في ختام كلامه إلى أنها حدثت في سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧٢م)[2] ، أما المصادر التاريخية الأخرى فقد أشارت إلى أنها كانت في سنة (٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م)[3] .

وضمن أحداث سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) يذكر إبن الدواداري وقعة (تل السلطان)[4]، التي حدثت بين صلاح الدين و حاكم الموصل [5] ، إلا أن المصادر التأريخية أشاروا إلى أنها وقعت في سنة (٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) ، وذكروا سبب وقوع هذه المواجهة بأنها ترجع إلى عدم رضا سيف الدين غازي بن مودود بذلك الصلح ، الذي وقع بين صلاح الدين و الحلبيين ، فلما سمعه سيف الدين عتب على الحلبيين ، وأرغم الحلبيين على

(١) قلعة صدر : تقع على طريق من الشام إلى مصر ، بين القاهرة و أيلة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٣٩٧ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٤٣ .

(٣) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤٠٤ – ٤٠٥ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ١٧ – ١٩ .

(٤) تل السلطان : تقع في غربي مدينة حلب في الشام . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٤٢ .

(٥) كنز الدرر ، ٧ / ٥٦ .

نقضهم لهذا العهد والخروج منه ، ولما علم صلاح الدين بذلك طلب من نائبه بمصر أخاه الملك العادل سيف الدين أبابكر بن أيوب بأن يأمر العسكر بالإستعداد للخروج ، وبعد تسليح كلا الجانبين و وصول الإمدادات من الرجال و الأسلحة و الأموال ، إلتقى الجانبان في تل السلطان ، فانتصر فيها صلاح الدين على عساكر المواصلة و الحلبيين و الذين ساعدوهم [(١)] .

ويذكر إبن الدواداري في مكان آخر من كتابه أن صلاح الدين قد تمكن في سنة (٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) من فتح (حصن بزاعة)[(٢)] و (حصن اعزاز)[(٣)] ، وكان الإستيلاء عليهما بمشاق و تعب كثيرين[(٤)] ، وكان فتح قلعة إعزاز قد تم بعد محاصرتها ثمانية و ثلاثين يوماً[(٥)] .

وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية أشارت إلى أنه في أواخر سنة (٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) قد ترك الملك المعظم شمس الدولة فخرالدين تورانشاه بلاد اليمن[(٦)] ، إلا أن إبن الدواداري أشار إلى ذلك ضمن أحداث سنة (٥٧٢ هـ / ١١٧٧ م) ، بأنه إتجه إلى بلاد الشام حتى وصل إلى دمشق ، ثم رحل منها و توجه نحو حماه ، واجتمع بصلاح الدين

---

(١) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤١٥ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٣٦ – ٤٠ .

(٢) حصن بزاعة : تقع في بلدة بزاعة القريبة من مدينة حلب . ينظر : إبن جبير ، المصدر السابق ، ١٩٥ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٤٠٩ .

(٣) حصن اعزاز (أو عزاز) : وهي بلدة فيها قلعة ، تقع شمالي مدينة حلب . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ١١٨ ؛ القزويني ، المصدر السابق ، ص٢٢١ ؛ العمري ، المصدر السابق ، ص١٨١ .

(٤) كنز الدرر ، ٧ / ٦٠ .

(٥) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤١٧ – ٤١٨ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٤٤ .

(٦) إبن الأثير ، نفسه ، ٩ / ٤٢١ ؛ إبن واصل ، نفسه ، ٢ / ٤٨ .

فيها ، وكان الأخير قد عاد إلى دمشق من حصار حلب ، وتمكن من السيطرة عليها ، ثم رحل بعد ذلك إلى حماه واجتمع بتورانشاه فيها ، ثم عاد صلاح الدين بعد ذلك إلى مصر[1].

تولى الملك المعظم شمس الدولة توران شاه الحكم في الإسكندرية في سنة (٥٧٥ هـ / ١١٨٠ م) ، وذلك بموجب مرسوم سلطاني ، وبقي توران شاه في منصبه إلى أن توفي سنة (٥٧٦ هـ / ١١٨١ م) بثغر الإسكندرية ، وفي السنة التي توفي فيها شمس الدولة توسعت سلطة صلاح الدين في المنطقة حتى شملت كل من بلاد مصر و الحجاز واليمن والشام[2].

إستلم عزالدين فروخ شاه إبن شاهنشاه بن أيوب في سنة (٥٧٥ هـ / ١١٨٠ م) حكم مدينة بعلبك و أعمالها من عمه صلاح الدين الأيوبي ، واستمر في منصبه حتى توفي في حياة صلاح الدين ، ثم إنتقل الحكم بعده إلى ولده الملك الأمجد مجدالدين بهرام شاه (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣٣ م) ، وبقي فيها حتى أخذ الملك الأشرف مظفرالدين موسى بن العادل الكبير هذه المدينة منه [3] .

أشرنا خلال دراستنا هذه إلى أن الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه ترك بلاد اليمن في أواخر سنة (٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) ، بعدما عين سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ الكناني[4] حاكماً على مدينة زبيد ، و عزالدين عثمان بن الزنجيلي[5] على مدينة عدن ، وبعد مدة رغب سيف الدولة بالرحيل إلى بلاد الشام لأنها موطنه ، واستأذن لهذا الغرض من الملك المعظم ، ولم يمنعه الملك من فعل ذلك و استناب في مكانه حطان بن

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٦٢ .

(٢) إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٧٣ – ٧٤ ؛ كنز الدرر ، ٧ / ٦٧ – ٦٨ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٦٧ .

(٤) إبن منقذ الكناني : وهو أبو الميمون مبارك بن كامل بن منقذ الكناني ، الملقب بـ (سيف الدولة) ، ولما ترك الملك المعظم بلاد اليمن سنة (٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) إستناب هو في مكانه ، حاكماً على مدينة زبيد . ينظر : أبو شامة ، المصدر السابق ، ٢ / ٤١٦ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ١٠٢ – ١٠٣ .

(٥) إبن الزنجيلي : وهو عزالدين عثمان بن علي الزنجيلي ، تولى حكم مدينة عدن من قبل الملك المعظم ، صاحب مدرسة الزنجيلية (أو الزنجارية) بدمشق . ينظر : إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ١٠٢ – ١٠٤ ؛ النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ م ، ١ / ٤٠٤ .

من الملك المعظم ، ولم يمنعه الملك من فعل ذلك و استناب في مكانه حطان بن منقذ ، ولما توفي الملك المعظم وقع الخلاف بين حطان و إبن الزنجبيلي ، وحدث ذلك في سنة (٥٧٧ هـ / ١١٨١ م) ، فأراد كل واحد منهما أن يوسع حدود سلطته على حساب الآخر[1] .

ويذكر إبن الدواداري خلال أحداث سنة (٥٧٧ هـ / ١١٨٢ م) أن أنباء هذه الأحداث التي وقعت في بلاد اليمن قد بلغت صلاح الدين ، فخاف أن يفسد الأمر بينهما ، وتضيع بلاد اليمن بسببها ، فأرسل إليها الأمير صارم الدين والي مصر للسيطرة على الأوضاع ، ويطفيء نار الفتنة فيها ، وفي سنة (٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م) توجه سيف الإسلام ظهيرالدين طغتكين بن أيوب[2] إلى بلاد اليمن للغرض نفسه ، وذلك بأمر من صلاح الدين بعد مشاورة جرت بينهما ، وتمكن من الوصول إلى مدينة زبيد و الإستيلاء عليها[3] .

٤ . الإستيلاء على بلاد الجزيرة الفراتية :

وأشار ضمن أحداث سنة (٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) إلى عبور صلاح الدين نهر الفرات ، ووصول المساندة من قبل مظفرالدين كوكبري[4] و حاكم حصن كيفا[5] نورالدين محمود

---

(١) إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ١٠٢ – ١٠٤ .

(٢) سيف الإسلام طغتكين : وهو سيف الإسلام أبو الفوارس طغتكين بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان ، الملقب بالملك العزيز ظهيرالدين ، كان حاكماً في اليمن ، وتوفي سنة (٥٩٣ هـ / ١١٩٨م) في المنصورة . ينظر : إبن خلكان، وفيات الأعيان ، ٢ / ٥٢٣ – ٥٢٤ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٢١ / ٣٣٣ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٧٠ – ٧٣ .

(٤) مظفرالدين كوكبوري : وهو أبوسعيد كوكبوري بن أبي الحسن زين الدين علي كجك بن بكتكين ، الملقب بـ (الملك المعظم مظفرالدين) ، حاكم مدينة إربل ، ولد سنة (٥٤٩ هـ / ١١٥١ م) ، وتوفي سنة (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) . ينظر: إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤ / ١١٣ ، ١٢٠ ؛ إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤٦٢ ؛ سبط إبن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مطبعة دائرة العثمانية ، حيدر آباد . الدكن ، الهند ، ١٩٥١ م ، ٨ / ٦٨٠ ؛ إبن دقماق ، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام ، تحقيق : سمير طبارة ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٩٩ م ، ص٥٢ . ٥٣ .

(٥) حصن كيفا : وكانت تعرف أيضاً بإسم (حصن كيبا) ، وهي بلدة كبيرة تقع في حدود دياربكر ، وبها قلعة عظيمة ، وتشرف على نهر دجلة ، بين آمد و جزيرة إبن عمر . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٢٦٥ .

بن قرا أرسلان[1] ، وقد خرج صلاح الدين لكي يتوجه إلى بلاد الجزيرة ، وقام كوكبري بتشجيعه على هذا الشيء ، ولما أتى إلى خدمته وصل عسكر صلاح الدين إلى قرب نهر الفرات ، ثم قصدوا بعد ذلك قلعة البيرة[2] ، وخيم عسكره في غربي هذه القلعة ، وقد بعث صلاح الدين وفوداً إلى حكام بلاد الجزيرة ، طالباً منهم إبداء السمع و الطاعة له ، و أعطاهم الأمان و الوعود مقابل ذلك بإبقائهم في أماكنهم ، وكان واحداً من الذين إستجاب لطلبه هو حاكم حصن كيفا ، وتمكن صلاح الدين من كسب نورالدين بعدما وعده بتسليمه مدينة آمد[3] إليه ، وكان ذلك بعد الإستيلاء عليها من قبل عسكر صلاح الدين[4] .

ولما تحركت قوات صلاح الدين نحو بلاد الجزيرة ، هاجمت في باديء الأمر مدينة الرها[5] ، و بعد قتال شديد قام حاكمها فخرالدين مسعود بن الزعفراني بتسليمها إليهم ، وأسند صلاح الدين حاكمية الرها و حران[6] إلى مظفرالدين كوكبري ، ثم إستولى على الرقة[7] و الخابور[1] و قرقيسيا[2] و ماكسين و عرايان[3] .

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٧٣ .

(٢) البيرة : وهي قلعة حصينة تقع على نهر الفرات في بلاد الجزيرة الفراتية ، بين حلب و ثغور بلاد الروم . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٥٢٦ ؛ إبن شاهين ، المصدر السابق ، ص٥١ .

(٣) آمد : وهي أعظم مدن إقليم ديار بكر ، وأكثرية بيوتها بنيت بالحجارة ، و عدت من المدن الحصينة ، يحيط بها نهر دجلة من جوانبها إلا من جهة واحدة على شكل هلال ، وإنها كثيرة الأشجار والبساتين والثمار والزروع ، وتوجد في وسط المدينة عيون وآبار ، وجامع كبير ، وكانت للمدينة خمسة أبواب : باب الماء ، وباب الجبل ، وباب الروم ، وباب التل ، وباب أنس . ينظر : المقديسي ، المصدر السابق ، ص١٢٤ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٥٦ – ٥٧ ؛ القزويني ، المصدر السابق ، ص٤٩١ – ٤٩٢ .

(٤) الأصفهاني ، البرق الشامي ، ٥ / ٢٦ ؛ إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤٦٢ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ١١٥ – ١١٧.

(٥) كنز الدرر ، ٧ / ٧٣ .

(٦) حران : هي مدينة كبيرة و مشهورة من في بلاد الجزيرة ، تقع على طريق الموصل و الشام . ينظر : الاصطخري ، المصدر السابق ، ص٧٦ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٢٣٥ .

(٧) الرقة : هي مدينة مشهورة في بلاد الجزيرة ، تقع على نهر الفرات ، بينها و بين حران ثلاثة أيام . ينظر : الاصطخري ، المصدر السابق ، ص٧٥ – ٧٦ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٥٩ .

وبعد عبوره من الخابور وصل صلاح الدين إلى أطراف مدينة نصيبين ، وتمكن من محاصرتها و السيطرة على المدينة بإستثناء قلعتها ، وبعد مرور عدة أيام سيطر عليها أيضاً[٤] ، وأشار إبن الدواداري إلى أن صلاح الدين توجه بعد ذلك إلى الموصل و حاصرها ، ولكن لم يدخلها بسبب وصول مبعوث الخليفة إليه وطلب منه أن يعفو عنهم ، ويدخل في صلح معهم ، ويرفع الحصار عن المدينة ، فاستجاب صلاح الدين إلى طلبهم ، وغير توجهه إلى سنجار[٥] وتمكن من السيطرة عليها[٦] .

وأما مدينة آمد فتمكن صلاح الدين من فتحها سنة (٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م) ، ثم أعطى حاكميتها إلى نورالدين محمد بن قرا أرسلان حاكم حصن كيفا [٧]، بعد ذلك نزل صلاح الدين بجيشه في حلب ، و تمكن من فتحها في السنة نفسها [٨]، وبهذه المناسبة كتب إليه القاضي محيي الدين بن زكي الدين قاضي القضاة بدمشق قصيدة ، يهنئه فيها بالفتح الذي ظفر به و من جملتها : ((و فتحكم حلباً بالسيف في صفر ، مبشر بفتوح القدس في رجب))[٩] .

---

(١) الخابور : نهر كبير في بلاد الجزيرة ، يقع بين رأس عين و نهر الفرات . ينظر : الاصطخري ، المصدر السابق ، ص٧٤ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٣٣٤.

(٢) قرقيسيا : بلدة على نهر الخابور . ينظر : الاصطخري ، المصدر السابق ، ص٧٧ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ٤ / ٣٢٨ .

(٣) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤٦٢ – ٤٦٣ .

(٤) الأصفهاني ، البرق الشامي ، ٥ / ٣٠ .

(٥) سنجار : مدينة مشهورة في بلاد الجزيرة الفراتية ، بينها و بين الموصل ثلاثة أيام ، وبينها و بين نصيبين ثلاثة أيام أيضاً . ينظر : الاصطخري ، المصدر السابق ، ص٧٢ – ٧٣ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٢٦٢ .

(٦) كنز الدرر ، ٧ / ٧٣ .

(٧) البنداري ، سنا البرق الشامي ، تحقيق : فتحية عبدالفتاح النبراوي ، دار اللواء ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٨٩ م ، ص٢١٨ – ٢٢٠ .

(٨) الأصفهاني ، البرق الشامي ، ٥ / ٩٥ ، ١١٣ – ١١٤ .

(٩) كنز الدرر ، ٧ / ٧٥ ؛ سلطان جبر سلطان ، الدور السياسي للعلماء المسلمين ابان الحروب الصليبية (٤٩٠ – ٦٩٠ هـ / ١٠٩٦ – ١٢٩١ م) ، أطروحة الدكتوراه ، قسم التاريخ . كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٩ م ، ص٢٣٣ .

ولكن المؤرخ عمادالدين الأصفهاني أشار إلى أن هذا القاضي أرسل هذا الكتاب قبل أن يفتح صلاح الدين مدينة حلب ، و كان يبشره بأن هذه المدينة يفتح على يده ، فوافق لما قاله بما صار بعد ذلك ، ففي شهر صفر سنة (٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م) فتح مدينة حلب ، وفي رجب سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) فتح مدينة القدس الشريف[1] ، ويؤكد البنداري على ذلك أيضاً[2] ، ولكن يشير أبوالفداء إلى أن صلاح الدين إستولى على آمد و حلب سنة (٥٧٧ هـ / ١١٨١ م)[3] .

وبعدما فتح صلاح الدين مدينة حلب إستدعى أخاه الملك العادل سيف الدين أبابكر من بلاد مصر ، وسلم له حاكمية هذه المدينة ، ووضع في مكانه الملك المظفر تقي الدين عمر[4] حاكماً على مصر ، فبقيت بيده المدينة حتى سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) ، ثم ولي في مكانه الملك الظاهر[5] ، وفي السنة التي فتح فيها مدينة حلب تمكن صلاح الدين من الإستيلاء على مدينة حارم ، ثم عاد إلى دمشق مؤيداً بالنصر العظيم[6] .

يشير إبن الدواداري إلى وقوع عدة أحداث في سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) ، منها الخلاف الذي وقع بين الكرد و الترك ، حيث قتل بينهم خلق كثير . وفي جانب آخر قطع صلاح الدين في هذه السنة نهر الفرات ، و نزل عند مدينة الموصل و حاصرها ، ووقع الصلح بينه و بين عزالدين حاكمها ، وكذلك فتح صلاح الدين ميافارقين ، فقتل فيها خلق كثير ، و فتحت معاقل اليمن على يد سيف الإسلام ، فقويت سلطته في المنطقة جراء ذلك ، و أما

---

(١) البرق الشامي ، ٥ / ١١٩ .

(٢) سنا البرق الشامي ، ص ٢٢٦ .

(٣) التبر المسبوك في تواريخ الملوك ، تحقيق : محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ـ مصر ، ١٩٩٥ م ، ص٦٧ .

(٤) تقي الدين عمر : هو الملك المظفر تقي الدين أبوسعيد عمر بن نورالدولة شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان ، حاكم مدينة حماه ، وكان إبن أخي السلطان صلاح الدين ، ولد سنة (٥٣٤ هـ / ١١٣٨ م) ، توفي سنة (٥٨٧ هـ / ١١٩٠ م) . ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣ / ٤٥٦ – ٤٥٨ .

(٥) كنز الدرر ، ٧ / ٧٦ .

(٦) البنداري ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

الملك العادل سيف الدين أبوبكر فخرج في هذه السنة عن حلب ، و سلمها للملك الظاهر إبن أخيه ، ثم توجه بعد ذلك إلى مصر ، واستولى صلاح الدين على شهرزور[1] أيضاً في هذه السنة [2] .

وكذلك وقعت في سنة (٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) أحداث كثيرة ، ولأهميتها سرد إبن الدواداري في كتابه عدداً منها ، ففي هذه السنة عندما وصل صلاح الدين إلى الموصل أتى إلى خدمته معين الدين سنجرشاه حاكم الجزيرة و دخل في طاعته ، ثم توجه صلاح الدين بعد ذلك إلى دياربكر ،ثم عاد من هناك إلى الموصل ،وحصل الصلح بينه و بين المواصلة . و في هذه السنة أيضاً وصل إلى خدمة السلطان صلاح الدين رسل الخلافة بالخلع العظيمة ، وجابوا إليه توقيعاً بإضافة ماردين[3] مع حصن كيفا إلى سلطته ، ومنحه الخليفة العباسي ألقاباً تليق بمكانته . ثم يشير إبن الدواداري إلى أن صلاح الدين مرض في هذه السنة ، وكان مرضه شديداً ، ولكن ولله الحمد شفي من مرضه سالماً معافى[4] .

(١) شهرزور : هي كورة واسعة في الجبال ، بين إربل و همدان ، وأهلها كلهم من الكرد . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٣٧٥ – ٣٧٦ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٧٨ – ٧٩ .

(٣) ماردين : وهي مدينة كبيرة في بلاد الجزيرة ، حتى عرفها البعض أنها قلعة مشهورة ، وهي قريبة من مدن دنيسر ودارا ونصيبين . ينظر : الاصطخري ، المصدر السابق ، ص٧٣ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥ / ٣٩ ؛ القزويني ، المصدر السابق ، ص٢٥٩ – ٢٦٠ .

(٤) كنز الدرر ، ٧ / ٨٠ .

المبحث الثاني

الحروب الصليبية في عهد صلاح الدين الأيوبي

١ . مهاجمة الصليبين على دمياط :

لما تسلم صلاح الدين الأيوبي الحكم في بلاد مصر واجه تحديات خارجية كثيرة ، فضلاً عن التحديات الداخلية التي أزعجت الدولة كثيراً ، وكان تهديدات الصليبيين على مصر و العالم الإسلامي أخطر من كل التهديدات الأخرى ، فالصليبيون هاجموا ثغر دمياط[1] في سنة (٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م) ، وهي أول مواجهة جرت بين صلاح الدين و الصليبيين بعد تسلمه الحكم في مصر ، فجمع الصليبيون كل قواتهم من السلاح و الرجال و الأموال من أجل إنتصارهم في هذه المواجهة ، ولما بلغ الخبر إلى صلاح الدين جهز جيشاً بقيادة خاله شهاب الدين محمود و إبن أخيه تقي الدين عمر ، و أرسلهم إلى دمياط ليتصدوا للصليبيين ، وفي البداية تمكن الصليبيون من مضايقة الثغر بعد فرضهم حصاراً شديداً عليه ، حتى كاد أن يسيطروا على دمياط كلها ، إلا أنهم لم يصمدوا في هذه المواجهة بل أضطروا إلى ترك المكان و العودة إلى بلادهم ، ويرجع إبن الدواداري سبب ذلك إلى إنتشار الوباء بينهم ، حتى أدى هذا الوضع إلى أن لايقدر أحد الوقوف على قدميه[2].

ومع أن إبن الدواداري أشار إلى أن مغادرة قوات الصليبيين دمياط كانت بسبب إنتشار الوباء بينهم ، فإن المصادر التاريخية ذكرت سبباً آخراً لرحيل الصليبيين عنها وهو وصول الإمدادات العسكرية من القاهرة و الشام إلى المسلمين ، وتمكن نورالدين محمود من دخول المدينة ، بعد فتحه جبهة أخرى على الصليبيين من جهة الشام ، مما أرغم ذلك الصليبيين على مغادرة المدينة بعد بقائهم فيها خمسين يوماً ، و أتى نورالدين

---

(١) دمياط : وهي مدينة قديمة مشهورة في مصر ، تقع على الساحل عند ملتقى النيل بالبحر الأبيض المتوسط ، قريبة من تنيس . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٤٧٢ ؛ القزويني ، المصدر السابق ، ص١٩٣ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٤١ .

لمساعدة المسلمين المحاصرين في دمياط بطلب من صلاح الدين ، إذ بين له أنه إذا لم يرسل القوات إليه ، فالصليبيون يستغلون الفرصة ويسيطرون على المنطقة[1] .

٢ . إغارة على الرملة[2] و عسقلان[3] و أيلة[4] :

وفي سنة (٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م) خرج صلاح الدين هذه المرة إلى الصليبيين في الرملة و عسقلان ، ثم عاد بعد ذلك إلى القاهرة دون البقاء فيهما ، لما وصله الخبر بأن أهله خرجوا من دمشق نحو مصر ، إلتقى بهم في الطريق واستقبلهم بحفاوة ، ثم رافقهم حتى أوصلهم إلى مصر سالمين ، وذلك خوفاً من العدو الصليبي أن يهاجم عليهم . وفي السنة نفسها تمكن من فتح قلعة أيلة ، التي كانت حصناً منيعاً للصليبيين في البحر ، وسيطر عليها من خلال البحر عندما جهز لها مراكب و شحنها بالمقاتلين و الإمدادات العسكرية[5].

٣ . مهاجمة الإسكندرية من قبل الصليبيين :

هاجم الصليبيون في الشهر الأخير من سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) بأساطيلهم الضخمة على الإسكندرية ، ويعود سبب هذا الهجوم إلى تلك المكاتبات من بعض المصريين لحاكم صقلية الريدكور ، وطلبوا منه أن تأتي قواته إلى بلاد مصر ، فوافق حاكم صقلية أن يرسل قواته إليهم ، ولكن سرعان ما علم صلاح الدين بهذا الأمر ، و قبض على الذين كاتبوه ، ثم

---

(١) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٥٠ – ٣٥١ ؛ إبن شداد ، النوادر السلطانية .. ، ص٤٣ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ١٨١ – ١٨٣ .

(٢) الرملة : وهي مدينة عظيمة في فلسطين ، وكانت قصبتها ببلاد الشام . ينظر : إبن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص٧٨ – ٧٩ ؛ اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ص ٨٩ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٦٩ .

(٣) عسقلان : وهي مدينة قديمة في فلسطين ، من المدن الساحلية ، وكانت من ثغور بلاد الشام ، قريب من غزة . ينظر: أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٢٣٨ .

(٤) أيلة : مدينة كبيرة تقع على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام . ينظر : اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ص ٩٨ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٢٩٢ .

(٥) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٦١ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ١ / ١٩٩ ؛ كنز الدرر ، ٧ / ٤٧ .

أمر بتجهيز جيش و توجه إلى الإسكندرية ، وجرت هناك مواجهة عظيمة بين القوتين في شهر محرم من سنة (٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م)[١] ، وعرفت هذه المواجهة في التاريخ بموقعة الريدكور ، فهزم فيها الصليبيون وهرب ملكهم من ساحة المعركة ، وقد تمكن المسلمون أن يغنموا منهم مغانم كثيرة ، ومع أن إبن الدواداري ذكر هذه المواجهة ضمن أحداث سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧١ م) ، إلا أنه في نهاية كلامه يذكر بأنه يوجد إختلاف في تاريخ حدوث هذه المواجهة ، ففي الوقت الذي أشار البعض إلى أنها حدثت في سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧١ م)، ولكن الآخرين قالوا إنها كانت في سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م)[٢] ، إلا أنه يتأكد أن القول الأخير هو الصحيح[٣] .

٤ . موقعة الرملة :

أشار إبن الدواداري إلى موقعة الرملة ضمن أحداث سنة (٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) ، وذكر بأن صلاح الدين خرج إليهم من القاهرة حتى يخرجهم من المنطقة ، ولكن لم يتمكن من تحقيق هذا الأمر[٤] ، لأنه عارضه في الطريق نهر ، فازدحم جيشه نتيجة ذلك و حاولوا العبور ، ولم يعلموا حتى وصلتهم عساكر العدو ، وكان مع صلاح الدين قليل من العسكر ، و أكثر جنوده تفرقوا منه باحثين عن الغنائم ، وبقي تقي الدين عمر إبن أخيه معه وقاتلوا الصليبيين ، وقتل من الجانبين أناس كثيرون ، وفي هذا الوقت أمر تقي الدين أحد أولاده وهو شهاب الدين أحمد أن يقوم بحملة على الصليبيين ، وبعد شن حملتين عليهم إنتصر في الأولى واستشهد في الأخرى ، وفي جانب آخر إشتد القتال بين الفقيه عيسى الهكاري و الصليبيين ، ولكن كان مصير هذه الحملة مثل سابقتها ، ووقع الفقيه عيسى في أسر

---

(١) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤٠٢ – ٤٠٣ .

(٢) إبن شداد ، النوادر السلطانية .. ، ٤٨ – ٤٩ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ١١ – ١٦ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٤٩ .

(٤) نفسه ، ٧ / ٦٣ .

الصليبيين ، وبقي سنين عدة في الأسر ، حتى فداه صلاح الدين هو و جماعة كثيرة من الأسرى المسلمين مقابل ستين ألف دينار[1].

٥ . موقعة حارم :

وردت هذه الواقعة في المصادر التأريخية بأنها حدثت في سنة (٥٧٣ هـ / ١١٧٧م)[2]، إلا أن إبن الدواداري ذكرها ضمن أحداث سنة (٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م) ، فاستغل الصليبيون الصراع الذي حدث بين الملك الصالح بن نورالدين و سعدالدين كمشتكين و أصحابه في قلعة حارم ، وكان الصالح صغير السن و قليل العسكر ، وكان صلاح الدين في بلاد مصر بعيداً عن المنطقة ، فانتهزوا هذه الفرصة و انطلقوا من حماه نحو حارم بقيادة قائدهم البرنز أرناط[3] ، حتى نصبوا عليها المجانيق و استقرت عساكرهم حولها ، وفرضوا بذلك حصاراً شديداً عليها ، فأقاموا عليها أربعة أشهر ، ولما وصلت الأخبار إلى صلاح الدين بما جرى في بلاد الشام ، قرر أن يخرج إلى مواجهتهم ، ولكن لم يستطع من الإنتصار عليهم ، و أرجع إبن الدواداري سبب ذلك إلى إعتراضه نهر الصافية في الطريق ، ونتيجة ذلك إزدحمت عليه عساكر و جمال و أثقال الصليبيين ، ولم يشعر صلاح الدين

---

(١) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤٢٨ – ٤٢٩ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٥٨ – ٦١ ؛ محمد سهيل طقوش ، تاريخ الحروب الصليبية (٤٨٩ – ٦٩٠ هـ / ١٠٩٦ – ١٢٩١ م) ، دار النفائس ، بيروت ، ٢٠١١ م ، ص٤٥٢ – ٤٥٣ .

(٢) إبن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤٣٠ – ٤٣١ ؛ إبن شداد ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة ، تحقيق: يحيى زكريا عبارة ، وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ١٩٩١ م ، ج١ ق٢ / ٦٢ – ٦٣ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٦٤ .

(٣) أرناط : وهو رينو دي شاتيون (Prince Renaud de Chatillon) الفرنسي الأصل ، والذي عرف في المصادر العربية بإسم (البرنز أرناط) أو (البرنس أرناط) ، من أعظم قادة الفرنج الصليبيين ، و أشدهم عداوة للمسلمين ، وكان حاكماً في الكرك ، ومن أحد الفرسان الذين كان الملك يستأجرهم . ينظر : وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ت : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ م ، ٣ / ٣٥٩ ؛ إبن الأثير، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ١٨ .

بذلك حتى دار بهم الصليبيون بالخيل و الرجال ، فارتبك جيشه و تفرق عنه ، وقتل نتيجة ذلك من المسلمين خلق كثير ، وأسر عدد آخر منهم[(١)] .

٦ . الإغارة على بلاد الأرمن :

وذكر إبن الدواداري أن صلاح الدين قد خرج سنة (٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م) من بلاد مصر بنية جهاد الغزاة ، تاركاً أخاه الملك العادل نائباً عنه في مصر ، ثم توجه إلى بلاد الأرمن وتمكن من فتح حصن المناقير فيها ، ثم عاد إلى بلاد مصر في السنة نفسها وسلم بلاد الشام لإبن أخيه الملك المنصور عزالدين فرخشاه[(٢)] ، وأشارت المصادر التأريخية إلى أن سبب دخوله إلى بلاد الأرمن كان نتيجة تعرض التركمان الظلم من قبل (إبن لاون)[(٣)] حاكمها ، الذي غدر بهم و أسر عدداً كبيراً منهم ، فتمكن صلاح الدين أن ينجيهم من هذا الظلم ، ويفك أسراهم ، و يخضع إبن لاون إلى سلطته[(٤)] .

٧ . الإستيلاء على طبرية و بيسان :

وضمن أحداث سنة (٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) يذكر إبن الدواداري تطورات سياسية مهمة في بلاد الشام ، دون التطرق إلى تفاصيلها ، ومنها إستيلاء صلاح الدين على طبرية و بيسان في هذه السنة ، وحصل هذا بعد إغارته عليهما ووصوله إلى دمشق ، وعاد صلاح الدين بعد النصر العظيم إلى دمشق[(٥)]، ولكن وردت في المصادر التأريخية تفاصيل إستيلاء صلاح الدين على طبرية و بيسان[(٦)] .

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٦١- ٦٢ .

(٢) نفسه ، ٧ / ٦٨ - ٦٩ .

(٣) إبن لاون : وقد ذكر هذا الإسم في أغلب المصادر التاريخية بإسم (إبن ليون الأرمني) ، وهو كان حاكماً في بلاد الأرمن في زمن حكم السلطان صلاح الدين الأيوبي . ينظر : إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤٤٩ .

(٤) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤٤٩ ؛ البنداري ، المصدر السابق ، ص١٧٧ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٩٨ - ٩٩ .

(٥) كنز الدرر ، ٧ / ٧٣ .

(٦) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤٦٠ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ١١٥ .

بعدما ترك صلاح الدين بلاد الشام في سنة (٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) و عبر نهر الفرات ، توجه نحو بلاد الجزيرة الفراتية للسيطرة عليها ، فاستغل الصليبيون هذه الفرصة و شنوا هجوماً واسعاً على دمشق ، فوصلت الأخبار إلى صلاح الدين أن الصليبيين قد نهبوا القرى ، ووصلوا إلى داريا[(١)] وأحرقوا الجامع فيها ، فعاد صلاح الدين مباشرة بعد هذه الأحداث إلى بلاد الشام[(٢)] ، وقد ذكر إبن الدواداري هذا ضمن أحداث سنة (٥٧١ هـ / ١١٧٥م) ، وكذلك ذكر إبرام هدنة بين صلاح الدين و بين الصليبيين من خلالها[(٣)] .

٨ . فتح عكا :

ومع أن غالبية المصادر التاريخية قد أشارت إلى أن دخول المسلمين مدينة عكا ، كان في يوم الجمعة ثاني جمادي الأولى من سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م)[(٤)] ، إلا أن إبن الدواداري ذكره ضمن أحداث سنة (٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) ، وأشار إلى أن المسلمين لما وصلوا إلى منطقة (تل الفضول) ، أرغم هذا كبار قادة الصليبيين إلى تسليم المدينة إلى المسلمين ، وطلب الأمان منهم على أنفسهم ، فأعطاهم صلاح الدين الأمان على أنفسهم و أهاليهم و جميع أموالهم ، وكذلك جعلهم مخيرين بين أمرين ، إما أن يختاروا البقاء في المدينة ، أو الخروج و الرحيل عنها ، فاختاروا الثاني وتركوا هذه المدينة ، ولما دخل المسلمون المدينة قاموا بإطلاق الأسرى من المسلمين ، الذين كان عددهم أربعة آلاف أسير ، وجعل صلاح الدين ولده الملك الأفضل حاكماً على عكا ، ووضع جميع الأموال و الممتلكات التي تركها الصليبيون فيها تحت تصرفه ، وأخذ هذا الأمر شكلاً رسمياً لما وقع له صلاح

---

(١) داريا : قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٤٣١ .

(٢) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤٦٢ – ٤٦٣ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ١١٨ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٦٠ .

(٤) الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ م ، ص٦٤ ؛ إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٢٨ ؛ البنداري ، المصدر السابق ، ص٣٠٠ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٢٠١ .

الدين بعلامته على الكتاب ، والذي يتضمن تمليكها لولده بجميع نواحيها ، ويكون الفقيه عيسى الهكاري أميناً بها من قبل الملك الأفضل[1] .

بعد إكتمال فتح عكا أرسل صلاح الدين كتاباً إلى أخيه الملك العادل بمصر، يبشره فيه بما فتح الله عزوجل عليه ، ويأمره في الوقت نفسه أن يخرج مع جنوده نحو الصليبيين بالساحل في جهة بلاد مصر[2] ، واستجاب العادل لنداء أخيه وسار من مصر حتى نزل على حصن مجد ليابا (ليابة) ، وتمكن من فتحها واغتنم ما فيها[3] .

٩ . موقعة الكرك :

أشار إبن الدواداري إلى أن السلطان صلاح الدين خرج في سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤م) من دمشق ، وكان يقصد مهاجمة الكرك ، فهاجمها و تمكن من الإستيلاء عليها ، بعد وصول الملك المظفر تقي الدين بالعساكر المصرية إلى خدمته ، وكذلك نورالدين محمد بن قرا أرسلان حاكم حصن كيفا و جنوده ، ففرضوا حصاراً عليها ، وبعد قتال شديد تمكن المسلمون من السيطرة على الربض ، وبقي الحصن فقط بيد الصليبيين[4] ، وكان هذان الموقعان على سطح جبل واحد ، وبينهما خندق عظيم عمقه ستون ذراعاً ، فأصبح هذا عائقاً أمام المسلمين للسيطرة عليه ، وعلى الرغم من أن صلاح الدين قرر إزالة هذا العائق، عندما أمر جنوده بإلقاء الأحجار و الأتربة فيه ، لكن لم يتمكنوا من ذلك بسبب كثرة الرمي عليهم من الجرخ و القوس و الأحجار من مجانيق العدو ، ولما أدرك عدم جدوى هذا الشيء أمر ببناء الأخشاب و اللبن عليها ، كي يتمكن رجاله من السير تحته ، وبعد نشوب قتال شرس دار بينهم و دام وقتاً ، قرر صلاح الدين تركه و التوجه نحو نابلس ، لأنه كان

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٩٤ .

(٢) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٢٨ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٢٠٢ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٩٤ .

(٤) نفسه ، ٧ / ٧٨ .

على يقين أنه من الصعب السيطرة عليها ، وذلك بسبب خشونة الأرض و صعوبة المسالك إلى ذلك الحصن ، ثم رحل من نابلس و توجه إلى سبسطية[١] ، وتمكن فيها من فك أسرى جماعة من المسلمين ، ثم عاد إلى دمشق[٢] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن إبن الدواداري يروي ضمن أحداث سنة (٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م) منازلة أخرى بين المسلمين و الصليبيين على الكرك ، ويذكر أن السلطان صلاح الدين أمر جيشه بالإستعداد للهجوم على الصليبيين في الكرك ، ويذكر بأن سبب ذلك يعود إلى خرق حاكم الكرك الإبرنز (الابرنس) للإتفاق الذي كان بينهم ، وأمر هذا الحاكم عسكره بقطع الطريق على المسافرين من المسلمين ، في وقت كان فيه هو في حالة سكر ، فقام رجاله بتنفيذ أوامر سيدهم ، وأخذوا خلقاً كثيراً من التجار و الفقراء و المسافرين من المسلمين ، فلما سمع صلاح الدين بذلك قرر أن يواجههم ، ويرغم هؤلاء بفك أسر المسلمين، ويردعهم عن تصرفاتهم العدوانية ، وفي المقابل لما علم ملوك الصليبيين أن صلاح الدين إستعد لهم ، أعلنوا حربهم ضد المسلمين ، ورفعوا شعاراتهم الدينية لتشجيع قومهم على القتال ، ومن بين هذه الشعارات الموت في الأرض المقدسة خير لنا من كل شيء ، وكتبوا إلى رؤسائهم في الغرب لإرسال الإمدادات إليهم ، فأتاهم رجال من كل أرض و بلاد ، ورفعوا (صليب الصلبوت)[٣] الذي يؤمنون به ، ثم تحركوا نحو جيش صلاح الدين ليمنعوه من أخذ طبرية ، ولما بلغ هذا الخبر إلى صلاح الدين أسرع في سيره حتى سبقهم إليها بيوم واحد ونزل عليها ، وفي الليل بات جيش صلاح الدين على مصافهم في سلاحهم ،

---

(١) سبسطية : وهي مدينة عظيمة في ساحل بلاد الشام على طريق القسطنطينية ، تشرف على النهر . ينظر : التطيلي، المصدر السابق ، ص١٢٢ – ١٢٣ ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص٣٠٢ .

(٢) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٤٨١ – ٤٨٢ .

(٣) صليب الصلبوت : وهو قطعة خشبية يعتقد بها النصارى أن عيسى بن مريم (عليه الصلاة و السلام) صلب عليها. ينظر : إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٢٥ . والله سبحانه وتعالى يعلمنا أنه ما صلب و إنما شبه به و رفعه عزوجل إلى السماء ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شك مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ سورة النساء ، الآية (١٥٧) .

و توجهوا إلى الله عز وجل بالدعاء و التضرع ، وسألوه أن ينصرهم على أعداء الإسلام ، وفي الصباح التقى الطرفان بأرض لوبية ، واستمرت الحرب بينهم حتى ليل ذلك اليوم ، وتمكن المسلمون أن يستحوذوا على الماء بأرض الجزيرة إلى الصباح ، فاشتد بذلك العطش و الحر عند الصليبيين ، فأوقع الله في قلوبهم الرعب والخوف ، وفي ظهر ذلك اليوم إنكسرت طائفة منهم ، وقتل و أسر منهم عدد كبير ، فلم ينج منهم إلا من تعلق بجبل أو أدرك حصناً من حصونهم ، وعلى الرغم من أن جيش صلاح الدين كان صغيراً مقابل الجمع الغفير من جيوش الصليبيين ، إلا أن النصر كان حليفاً للمسلمين(١) .

ومع أن إبن الدواداري سرد هذه المواجهة في الكرك ضمن أحداث سنة (٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م) ، إلا أنه في نهاية كلامه يشير إلى أنه يوجد إختلاف على سنة وقوع تلك المواجهة ، فيذكر بأنه نقل هذه الواقعة من أبي المظفر جمال الدين يوسف (سبط إبن الجوزي) ، الذي أشار إلى أنها حدثت في تلك السنة التي ذكرها هو ، إلا أن المؤرخ إبن واصل ذكر أنها حدثت في سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م)(٢) ، ثم يقارن إبن الدواداري بين هذين المؤرخين ويقول إن المؤرخ أبا المظفر جمال الدين يوسف إذا ذكر حادثة إستمر على ذكرها ، دون أن تكون في السنة نفسها أو غيرها ، أي أنه يذكر الحوادث دون ترتيب سنوي ، ولكن إبن واصل كان عكس ذلك يذكر الحوادث بحسب ترتيب سنواتها ، فالإعتماد عليه أولى من الآخر ، وعد رأي إبن واصل أنه هو الصحيح(٣) ، ويمكن القول بأن الصحيح أنها حدثت في (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) كما يذكرها إبن الأثير أيضاً ضمن أحداث تلك السنة(٤) .

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٥٢ – ٥٣ .

(٢) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ٢ / ١٨٦ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٥٣ .

(٤) الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٢٠ .

١٠ . فتح بيت المقدس :

ومن أهم المكتسبات التي حصل عليها صلاح الدين في مدة حكمه ، والتي ذكرها إبن الدواداري في كتابه هو فتح بيت المقدس في سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) ، وهذه المهمة الكبيرة كانت على يد أحد أبناء الأسرة الأيوبية ، والتي لم يستطع أن يقوم بها أحد من قبله بإستثناء الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، ويروي لنا أن نجم الدين أيوب عندما كان صبياً ، رأى في منامه أنه كان يوماً ما مع عائلته في تكريت وكأنه قاعد للتبول ، فعادت إراقته تطلع من إحليله كالفوارة ، إلى أن تعلقت بالسحاب ، ثم انعقدت سحابة و كأنها على بيت المقدس ، ثم مطرت تلك السحابة مطراً عاماً حتى غسلت القدس ، مع سائر تلك الأرض ، ثم ظهر في تلك السحابة قمر مع نجوم كثيرة ، حتى أضاءت الأرض كلها من نوره ، ثم نبتت تلك الأراضى أنواع الحشائش ، وكان في تلك الأراضى أبقار ترعى ، عددها دون المائة ، ثم ظهرت من جهة البحر المالح خنازير حتى ملأت تلك الأرض ، فقتلت تلك الأبقار إلا بقرة واحدة ، هربت إلى ناحية الشام ، ثم ظهرت من جهة مصر أسود كالبخاتي ، فقتلت جميع تلك الخنازير ، حتى لم يبق منها إلا من هرب و قطع البحر ، ثم عاد ذلك الحشيش ، و حسنت نضارته[١] .

قص نجم الدين أيوب رؤياه على شخص يعرف بـ (إبن المرزبان) ، ففسرها له هذا الرجل بأنه يظهر في نسله مجموعة من قادة ، وواحد منهم يحرر بيت المقدس [٢] ، ويبدو أن مفسر الأحلام تعجب من هذه الرؤيا لذلك قال إنه : ما يجب أن تكون إلا لملك ، ولكن الله يعطي ملكه من يشاء ، وسيكون من نسلك أيها الرجل ملوك بعدد تلك النجوم ، ويكون منهم ملك عظيم يظهر على الصليبيين ، ويطهر بيت المقدس من أرجاسهم و أنجاسهم ،

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٩ .

(٢) بيت المقدس : وفي القديم كانت تسمى (إيليا) ، وهي مدينة مرتفعة على جبل ، ويوجد في المدينة مسجد لامثيل له في الدول الإسلامية ، ويسمى بالمسجد الأقصى . ينظر : إبن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص٧٨ – ٧٩ ؛ الاصطخري ، المصدر السابق ، ص٥٦ – ٥٧ .

وتشرق الدنيا بملكه ، ثم تكون مدة هؤلاء الملوك بعده بعدد تلك الأبقار من السنين ، ثم يخرج عليهم الصليبيون فيظهرون عليهم ، حتى يخرج من جهة مصر جيش كالسباع ، فيكون هلاك الخنازير على أيديهم [١] .

ويمكن القول أن أهمية البيت المقدس عند المسلمين تعود إلى عدة أسباب ، منها أنه كان القبلة الأولى للمسلمين قبل أن يتحول إلى البيت الحرام في مكة المكرمة ، ومنها أنه أسرى الله سبحانه و تعالى بالرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وسلم) إليه ، وكذلك أنه يعد قلب بلاد الشام ، ويقع على الطريق التي تربط الشام ببلاد الحجاز من ناحية ، وتربط الشرق بالغرب من خلال البحر من ناحية أخرى ، ومع أهميته عند المسلمين فكانت له أيضاً مكانة مميزة عند الديانات الأخرى ، بسبب ظهور و نشوء أغلب الديانات فيه ، وبداية الدعوة لأغلب الأنبياء إنطلقت منه ، ولذلك كان يعرف صلاح الدين جيداً ماذا يعني فتح البيت المقدس من قبل المسلمين ، من جميع النواحي العسكرية والسياسية والإقتصادية و الدينية ... إلخ .

وقد أشار إبن الدواداري إلى أن صلاح الدين كان عازماً في فتح مدينة القدس الشريف منذ سنة (٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م) ، ولكن لم يتحقق ذلك حتى سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) ، فلما تفرغ من فتوحاته من بلاد الشرق كلها ، هيأ نفسه لمهمة فتح القدس الشريف من أيدي الصليبيين ، وكانت هذه المدينة إدارياً ضمن سلطة حاكم الرملة البطرياك الكبير الباب بن بارزان ، وكانت لهذا البطرياك مكانة عظيمة في قلوب الصليبيين ، فلما علم بتحشد قوات المسلمين حول المدينة ، نادى على سكان بلاده بخروج كل رجاله لمواجهة المسلمين ، فأجابه جمع كبير من الرجال و أتوه من كل المناطق للقتال ، وكان هو يحثهم و يشجعهم على القتال ، ويقول لهم : ((الموت عليكم بهذه الأرض المقدسة خير لكم مما تسلمون بيت معبودكم)) ، ولما بلغ هذا إلى صلاح الدين كان موقفه تجاه ذلك أنه قال :

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٩ – ١٠ .

((نعم نأخذه منهم بحول الله و قوته ، ونخرب بيوتهم ، ونكسر لاهوتهم ، ونهدم القمامة التي يدعون أنها القيامة ، محل صلاتهم و قبلة ضلالهم)) ، فلما بدأت المعركة هاجم المسلمون المدينة من كل الجوانب ، وبعد قتال شديد بينهم ظفر المسلمون بالنصر العظيم ، وفرحوا بهذا الإنتصار بشكل كبير ، حتى صاحوا (حي على الصلاة ، حي على الفلاح) ، وانتشر الفرح و البهجة في عموم بلاد المسلمين[1] .

وتشير المصادر التاريخية إلى أن الصليبيين لما رأوا أنهم يهلكون ، إذا ما إستمر القتال بينهم ، وذلك بسبب العزم الكبير لدى المسلمين للسيطرة على المدينة ، وكذلك لشدة القتال على المدينة من قبل المسلمين ، إتفق رأي كبار قادتهم على طلب الأمان ، وتسليم بيت المقدس إلى صلاح الدين الأيوبي ، وبعد مشاورته كبار قادته وافق صلاح الدين على إعطاء الأمان لهم ، و تسلم صلاح الدين مفاتيح البيت المقدس في يوم الجمعة من شهر رجب من سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) ، ودخل إلى الصخرة الشريفة المقدسة وهو في غاية الفرح و السرور ، لأنه فتح على يده هذا المكان المقدس على وجه الأرض[2] ، وهو الفتح الثاني بعد الفتح الأول الذي كان على يد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وبعد الإبتهاج و الأفراح توجه المسلمون إلى خطبة الجمعة ، التي ألقاها القاضي (محيي الدين بن القاضي زكي الدين) في ذلك اليوم في البيت المقدس[3] .

والأمر المهم الذي لابد أن نشير إليه هنا هو التعامل و الأخلاق التي تصرف بها المسلمون في أثناء فتحهم القدس الشريف ، فذكر إبن الدواداري أنه إذا قارنا التعامل الذي قام به المسلمون تجاه الصليبيين عند فتحهم المدينة بتعاملهم ، كان بعكس أخلاق و تعامل الصليبيين تجاه أهل المدينة ، عندما سيطروا على المدينة في سنة (٤٩١ هـ / ١٠٩٦ م) ، وقاموا بقتل جميع من كان فيه من المسلمين ، ولم يبق واحد منهم ، و كذلك

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٧٦ – ٨٥ .

(٢) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٣٥ – ٣٦ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٢١٢ – ٢١٣ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٨٦ .

نحروا أولاد المسلمين و نساءهم ، أما تعامل المسلمين تجاه أهل المدينة من غير المسلمين الذين لم يرفعوا السيف بوجه المسلمين ، كان إعطاؤهم الأمان و السلام ، والأمر بقادة الجيش بعدم إلحاق أي أذى بالنساء و الأطفال و الشيوخ ، مع أن المسلمين كانوا منتصرين و مسيطرين على الأوضاع ، وكانوا يعلمون أن الصليبيين ماذا فعلوا بالمسلمين عندما سيطروا على هذه المدينة من قبل[1].

وبعد سيطرته على القدس الشريف قام صلاح الدين بتحويل حال المدينة إلى سابق عهدها ، إلى حقبة ما قبل إحتلالها من قبل الصليبيين الوافدين من الغرب ، وقد أزال عن الصخرة المقدسة البناء[2] ، الذي قام أهل الصليب به بعد سيطرتهم على المدينة ، وخلال ذلك البناء قطعوا أجزاء كبيرة من الصخرة المقدسة ، وغيروا كذلك أوضاعها ، ونقشوا على حيطانها أشباه الخنازير ، وجعلوا فيها أماكن للرهبان ، ومحطاً للإنجيل ، وتركوا موضع قدم صغير للقبة ، ووقع مابين الأعمدة من الرخام ، وقطع الصليبيون من الصخرة قطعة كبيرة ، وذهبوا بها إلى القسطنطينية و صقلية ، وباعوها بوزن من الذهب ، حتى أن بعض الملوك تولى خدمة ستارة الصخرة ، وكان كل ملك يأتي إلى زيارة القدس يريد أن يأخذ منها قطعة ، إما لكي يبيعه أو بنية البركة ، فأمر صلاح الدين الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري أن يكون أميناً عليها ، ثم حكمها بصفائح من حديد[3] .

وفي جانب آخر قام بتجديد الصخرة المقدسة ، ونقل إليها منبراً من حلب ، وكان المنبر قد بدأ بالإشتغال عليه الأمير نورالدين محمود قبل فتح القدس الشريف[4] ، وكذلك

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٨٥ – ٨٦ .

(٢) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٣٨ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٢١٧ ، ٢٢٩ – ٢٣٠ ؛ محمد الحافظ النقر ، تاريخ بيت المقدس من الفتح العمري حتى نهاية العهد الأيوبي ، دار الرازي للطباعة ، عمان ـ الأردن ، ٢٠٠٣ م ، ص١٧٤ – ١٧٥ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٨٩ .

(٤) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٣٧ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٢٢٨ – ٢٢٩ .

أمر صلاح الدين بتعيين إمام في قبة الصخرة ، وعين في جامع الأقصى من يقوم بوظائفه ، وكذلك تامين المصاحف و الختمات و الربعات المنصوبة على كراسي الجامع الأقصى ، و جعل (دار البطريك) رباطاً للفقراء ، وكانت قبور الصليبيين مجاورة للصخرة ، ونحو باب الرحمة(١) ، ولهم قباب معقودة ، فأمر صلاح الدين بإزالتها و محو آثارها ، وأغلق كنيسة القمامة (كنيسة القيامة)(٢) ، وبعد كل هذه الأعمال أتى من دمشق الملك المظفر تقي الدين عمر إلى مدينة القدس الشريف بصحبة أحمال كبيرة من ماء ورد ، وتولى بنفسه غسل قبة الصخرة(٣) .

١١ . فتح صفد :

وقد أشار إبن الدواداري إلى فتح قلعة صفد خلال ذكره حوادث سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٥م) ، وذكر بأنها فتحت في مدة أحد عشر يوماً(٤) ، ولكن بعد إطلاعنا على المصادر التأريخية تبين بأنه لايوجد إشارة إلى فتح هذه القلعة في تلك السنة ، وإنما هناك إشارات إلى فتحها في سنوات (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م)(٥) ، و (٥٨٤ هـ / ١١٨٨م)(٦).

---

(١) باب الرحمة : وهي إحدى أبواب مدينة القدس الشريف ، تقع في شرق المدينة ، وكانت لهذه المدينة عدة أبواب : باب المحراب ، و باب صهيون ، و باب عمود الغراب ، وباب الرحمة . ينظر : الإدريسي ، المصدر السابق ، ص٣٥٨ ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص٦٨ ؛ إبن الوردي ، خريدة العجائب و فريدة الغرائب ، ص٣١ .

(٢) كنيسة القمامة (أو كنيسة القيامة) : وهي الكنيسة المحجوج إليها من جميع بلاد الروم التي في مشارق الأرض ومغاربها ، فيدخل من باب في غربها فيجد الداخل نفسه في وسط القبة التي تشمل على جميع الكنيسة . ينظر : الإدريسي ، المصدر السابق ، ص٣٥٨ ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص٦٨ ؛ إبن الوردي ، خريدة العجائب و فريدة الغرائب ، ص٣١ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٨٩ – ٩٠ .

(٤) نفسه ، ٧ / ٧٩ .

(٥) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٤٢ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٢٤٦ .

(٦) إبن الأثير ، نفسه ، ١٠ / ٥٩ ؛ إبن واصل ، نفسه ، ٢ / ٢٧٢ .

١٢ . موقعة عكا :

لما كان صلاح الدين مخيماً على شقيف أرنون[١] في سنة (٥٨٥ هـ / ١١٨٦ م)[٢] ، وصلته الأخبار أن جيشاً عظيماً من الصليبيين هاجم عكا ، فأمر بتوجيه جيشه نحوها لأنه كان يخشى من فقدانها ، ولكن الصليبيين قد تمكنوا من الوصول إليها قبلهم ، وذلك في الرابع عشر من شهر رجب من السنة المذكورة ، عندما نزل جيشهم الكبير عليها براً و بحراً ، إلا أن المسلمين وصلوا إليها في الخامس عشر من ذلك الشهر ، فتقدمت الميسرة من جيش صلاح الدين إلى طريق نهر الحلو ، و آخر الميمنة إلى مقابل تل العياضية ، وأما صلاح الدين فكان يقاتل من جهة القلب ، أراد المسلمون أن يشغلوا الصليبيين عن حصار عكا ، ولكن يبدو أن الصليبيين كانوا عازمين على الإستيلاء عليها [٣] .

وكانت المعركة دائرة بين الطرفين إلى الأربعاء لتسع بقين من شهر شعبان ، في ذلك الوقت وصل الأمير مظفرالدين كوكبوري و حسام الدين سنقر الأخلاطي (الخلاطي) للمشاركة في حرب الصليبيين ، وفي جانب آخر خرج الصليبيون بقواتهم الكبيرة ، وكان البطرياك حمل الإنجيل على يده حتى يرفع معنويات الجنود ، أما صلاح الدين الأيوبي فقاد الجيش الإسلامي بنفسه ، وخاطبهم للقتال بقوله المشهور : ((هيا يا أمة محمد المختار ، عليكم بالكفرة الفجار ، فهذا يوم وعدالله فيه الصابرين بالحور العين ، أما ترضون أن تبيعوا أنفسكم بالجنان ، ومجاورة الرحمن ، في دار لايحزن مقيمها ، ولايفنى نعيمها ، ولاينفد سرورها ، ولايبرح حبورها ، ياخيل الله إركبي ، وبالجنة أبشري)) [٤] .

---

(١) شقيف أرنون : وهي قلعة حصينة في كهف من الجبل قرب بانياس ، من أرض دمشق ، بينها وبين الساحل . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٣٥٦ .

(٢) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٦٥ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٢٨٨ – ٢٩٠ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٩٩ – ١٠٠ .

(٤) نفسه ، ٧ / ١٠٠ .

ثم رتب صلاح الدين جيشه على أن يكون هو على رأس قلب الجيش ، وولده الملك الأفضل في الميمنة ، وولده الظافر في الميسرة ، ومما يلي القلب يكون الأمير الكردي سيف الدين علي بن أحمد المشطوب عليه ، والذي كان ضمن قواته عدد كبير من رجال المهرانية و الهكارية و غيرهم ، وفي محاذيه قاد مجاهدالدين برنقش قوات سنجار ، وكذلك كان ضمن الجيش عدد كبير من المماليك الترك ، ويشير الفقيه ضياءالدين عيسى الهكاري أمين مدينة القدس الشريف إلى أنه شاهد بعينيه صلاح الدين يشرف على الجيش ، ويدور بنفسه على جميع هذه القوات ، ويحرضهم على القتال[(١)] .

هاجم الصليبيون مرة أخرى عكا ، وهذه المرة كانت في سنة (٥٨٧ هـ / ١١٩١م)، ففي هذه السنة دار قتال عنيف بين المسلمين و الصليبيين ، وتمكن فيه الصليبيون من السيطرة على عكا ، وألحقوا بالمسلمين أذى كثيراً ، حتى صار حال المسلمين إلى أسوأ الأحوال[(٢)] ، ويشير إبن الدواداري إلى أنه في صباح يوم المواجهة ركب صلاح الدين فرسه و سير جيشه نحو الصليبيين ، حتى وصل إلى تلك الخنادق التي كان الصليبيون تحصنوا بها ، وكان يحث المسلمين على القتال وينادي : ((يا للإسلام ، يا لدين محمد عليه السلام)) ، وعيناه إمتلأتا بالدموع لحال المسلمين ، وكان ذلك بسبب سيطرة الصليبيين على جميع أسوار المدينة من خارجها وداخلها ، وأثبتوا فيها الشروخ و الزنارات والنشاب، واستولوا كذلك على الخنادق حول المدينة ، ونقبوا أسوار البلد وحشوها خشباً و أحرقوه ، فوقعت الباشورة وهي بدنة السور ، فتمكن الصليبيون من دخول المدينة وقتلوا و أسروا جماعة من المسلمين ، وفي المقابل قتل المسلمون عدداً كبيراً من الصليبيين من جملتهم ست ملوك ، وأسروا أيضاً جماعة منهم[(٣)] .

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ١٠٠ .

(٢) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٩٥ – ٩٧ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٣٥٠ – ٣٥٥ ؛ محمود ياسين التكريتي ، الأيوبيون في شمال الشام و الجزيرة ، دار الرشيد للطباعة ، بغداد ، ١٩٨١ م ، ص٢٥٨ – ٢٥٩ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ١٠٦ .

ويبدو أن هذه الحروب المستمرة على هذه المدينة أرهقت جيش صلاح الدين كثيراً ، وضعفت قوة المسلمين ، و نفد منهم الصبر لسوء حالهم ، حتى قال جماعة من المسلمين إلى قائدهم صلاح الدين : ((نحن والله قد عجزنا عن القتال ، وقد بلغنا غاية لابعدها غاية ، ولم يكن بقي لنا غير التسليم ، ونحن نهار الغد نستسلم إليهم و نطلب الأمان إذا لم تفعلوا لنا شيئاً يخلصنا مما نحن فيه)) ، وكان ذلك أصعب شيء جرى على ذلك القائد ، فأرغم صلاح الدين على أن يطلب من الصليبيين الأمان ، حتى يخرج جيشه و أهل المدينة من المسلمين سالمين ، فبعث إليهم سيف الدين المشطوب يطلب الصلح منهم، وفي جملة كلامه : ((إنا نحن أخذنا منكم بلاداً كثيرة وحصونا كثيرة و إنا لم ننزل على بلد ولا قلعة وطلبوا منا الأمان و الصلح إلا أجبناهم لذلك ، فافعلوا أنتم أيضاً كذلك))[1] .

١٣ . موقعة تل العياضية :

يروي إبن الدواداري واقعة أخرى بين المسلمين و الصليبيين ، وهذه المرة كانت في منطقة تسمى (تل العياضية) ، والتي حدثت في الحادي و العشرين من رجب سنة (٥٨٧ هـ / ١١٨٩ م) ، وانتصر المسلمون فيها على الصليبيين ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً[2] ، ويرجع سبب هذه الواقعة إلى ذلك العمل الذي قام بها ملك الصليبيين الأنكتير ، عندما خرج مع جماعة من الخيالة ، و أخذ معه جماعة من أسرى المسلمين ، الذين أسروا من قبل الصليبيين في عكا ، و قتلهم الصليبييون في تلك المنطقة ، و هذا العمل أغضب صلاح الدين كثيراً ، فخرج لنجدة المسلمين [3].

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ١٠٧ .

(٢) نفسه ، ٧ / ١٠٨ .

(٣) الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص٢٨٤ – ٢٨٦ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٣٥٠ .

ثم بعد هذه المواجهة ذهب الصليبيون إلى الرملة ، ومن هناك توجهوا نحو بيت المقدس ، ووقعت هناك أيضاً مواجهة بين المسلمين و الصليبيين في منطقة النطرون[1] ، وذلك بعد وصول صلاح الدين إلى بيت المقدس في الشتاء من شهر ذي الحجة من هذه السنة[2] ، وكانت الأمطار شديدة ، فنزل بـ (دار الأقساء) المجاورة لـ (كنيسة القمامة) ، وكذلك وصل في هذا الشهر جنود مصر بقيادة أبي الهيجاء ، ولما وصل الصليبيون إلى النطرون حاصرهم المسلمون في قلعتها ، وحدثت بينهم في هذه المنطقة معركة كبيرة [3] .

(١) النطرون : وهو واد كبير ببلاد مصر ، يطلق عليه أيضاً (وادي هبيب) . ينظر : المقريزي ، الخطط ، ٤ / ٤٣٤ .

(٢) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ١٠١ ؛ إبن واصل ، المصدر السابق ، ٢ / ٣٧٠ – ٣٧١ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ١٠٩ .

المبحث الثالث

الأيوبيون بعد صلاح الدين الأيوبي

(٥٨٩ – ٦٤٨ هـ / ١١٩٣ – ١٢٥٠ م)

لما توفي السلطان صلاح الدين الأيوبي في سنة (٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) ورثت عائلته الدولة الأيوبية ، فكان من نصيب أخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر من الفرات إلى بلاد الشرق ، و أصبح مصر للملك العزيز عمادالدين عثمان ، و دمشق للملك الأفضل نورالدين علي ، و حلب للملك الظاهر غياث الدين غازي ، و بعلبك للملك الأمجد مجدالدين بهرام شاه بن فرخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب ، و أما حماه و المعرة و قلعة نجم فأعطاها للملك المنصور ناصرالدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر ، و حمص و الرحبة(١) و تدمر إلى الملك المجاهد أسدالدين شيركوه بن محمد بن شيركوه(٢) ، واليمن و أعمالها للملك العزيز ظهيرالدين طغتكين بن أيوب ، وأما باقي الملوك الآخرين فكانوا في خدمة الملك الأفضل في دمشق(٣) .

١ . الملك العزيز عمادالدين عثمان (٥٨٩ – ٥٩٥ هـ / ١١٩٣ – ١١٩٨ م) :

توقفت عملية الوحدة التي فرضها صلاح الدين بشخصيته و سلطته على العالم الإسلامي ، فأصبحت كل ولاية في الدولة الأيوبية إمارة مستقلة و يدار من قبل أمير أيوبي(٤) ، فاندلعت النزاعات و الصراعات بين أمراء الدولة الأيوبية ، وكان كل ذلك بسبب

---

(١) الرحبة : وهي مدينة كبيرة في بلاد الجزيرة ، تقع في غربي نهر الفرات . ينظر : الاصطخري ، المصدر السابق ، ص٧٧ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٣٣ .

(٢) أسدالدين شيركوه : هو أسدالدين شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادي بن مروان ، ولد سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) ، تولى الحكم في حمص سنة (٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) ، توفى سنه (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) . ينظر : إبن دقماق ، نزهة الأنام .. ، ص١١٨ – ١١٩ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ١٢٣ .

(٤) هاملتون . آ . ر . جب ، صلاح الدين الأيوبي ، ت : يوسف ايبش ، دار بيسان للنشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٦ م، ص٢٠٢ – ٢٠٣ .

تطلعاتهم لتوسيع مناطق حكمهم ، أو الحكم بالسلطة المركزية لإدارة الدولة ، فيشير إبن الدواداري إلى نشوب نزاع بين الملك العزيز عمادالدين عثمان (٥٨٩ – ٥٩٥ هـ / ١١٩٣ – ١١٩٨ م) حاكم مصر و بين الملك الأفضل حاكم دمشق ، بعد سنة من وفاة صلاح الدين ، فلما قام الملك الأفضل بعزل الأمراء الذين كانوا في مناصب الدولة في عهد أبيه إستجابة لطلب ثلاثة من كبار شيوخ ذلك العصر ، وهم عزالدين بن الأثير و ضياءالدين بن الأثير و مجدالدين أبو السعادات ، وطالبوا منه أن يعين في مكانهم الأمراء الموالين له ، لجأ هؤلاء الأمراء المبعدون إلى الملك العزيز بمصر ، وطلبوا منه أن يفعل كل شيء كي يرجعوا إلى أماكنهم ، فرحب العزيز بهم بحفاوة و أكرمهم على أحسن وجه ، ووعدهم بأن يفعل ما بوسعه ويستجيب لطلبهم [(١)].

ويذكر إبن الدواداري ضمن أحداث سنة (٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م) أن العزيز أمر بجمع جيشه كي يتوجه نحو الشام ، وأراد في البداية الإستيلاء على بيت المقدس ، ثم بعد ذلك الإتجاه نحو دمشق للسيطرة عليها ، ولكن هؤلاء الأمراء المبعدون نصحوه بعدم القيام بهذا العمل لأنه يعطي فرصة أحسن للأفضل ، كي يقوم بهجوم معاكس على بلاد مصر ، وبذلك تفلت الأمور من يده وتهيأ الفرصة للأفضل حتى يستولي على مصر ، فعدل العزيز لذلك عن فكرته وأمر بالتوجه مباشرة إلى الشام ، ووضع في مكانه ولده المنصور ولي عهده حتى يرجع من الشام ، وعين بهاءالدين قراقوش نائباً له بسبب صغر المنصور ، وبعد وصول العزيز إلى أطراف دمشق أتى إلى خدمته عدد من أمراء الشام ، وهم ميمون القصري و سنقر الكبير و فخرالدين جهاركس و صارم الدين قايماز النجمي ، واعلنوا مساندتهم و تأييدهم له[(٢)] .

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ١٢٤ .

(٢) نفسه ، ٧ / ١٢٤ .

وكان الملك الأفضل لما علم بتحرك قوات مصر نحو الشام بعث برسالة إلى عمه الملك العادل ، طالبه فيها أن يساعده للخروج من هذه الظروف ، فاستجاب عمه لندائه و توجه مع قواته من الشرق نحو الشام(1) ، و عندما وصل إلى دمشق بعد إثنى عشر يوماً ، رأى أن قوات العزيز قد وصلت إلى مقربة من دمشق ، فتمكن الملك العادل أن ينهي الصراع بين الأخوين صلحاً ، وعرف هذا الصلح في التأريخ باسم (صلح العامرية) ، وبذلك رشق الماء على نار الفتنة و النزاع الداخلي بين الأخوة (2).

وقد أشار إبن الدواداري ضمن أحداث سنة (٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م) إلى أن سيف الدين بكتمر حاكم خلاط إستغل فرصة إبتعاد الملك العادل عن بلاد الشرق ، ومن الجدير بالذكر أنه كان من الفرحين بوفاة السلطان صلاح الدين ، فقرر الإستيلاء على الشرق كله ، وعلى هذا الأساس أرسل عدداً من الكتب إلى أمراء الشرق مثل عزالدين مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر حاكم الموصل ، و حسام الدين أرسلان بن إيلغازي حاكم ماردين ، وطلب منهم المشاركة معه في قتال الملك العادل ، والإستيلاء معاً على الشرق كله ، فاستجاب الأمراء له (3).

وكذلك ضمن أحداث سنة (٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م) أشار إبن الدواداري إلى أنه وقع خلاف بين الملك العزيز و أمراء الأسدية الكردية ، فترك هؤلاء صفوف جيشه و التحقوا بقوات عمه العادل و أخيه الأفضل ، ويصف إبن الدواداري هذا العمل الذي قام به هؤلاء بإنقلاب (الدست)(4) عليه ، فاضطر العزيز نتيجة ذلك أن يدخل في صلح مع عمه العادل و

---

(١) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ١٢٩ – ١٣٠ ؛ إبن الوردي ، تاريخ إبن الوردي ، ٢ / ١٠٨ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ١٢٤ – ١٢٥ .

(٣) نفسه ، ٧ / ١٢٥ .

(٤) الدست : وكانت هذه الوظيفة من أجل الوظائف و أرفعها قدراً ، وكان صاحب هذه الوظيفة له شأن رفيع عند السلطان ، وفي أيام المواكب كان يجلس خلف كاتب السر ، و يقرأون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب

أخيه الأفضل ، وكان الإتفاق على دفع المال من قبل العزيز لهم ، و إخلاء القصر الكبير لعمه ، فرجعت قوات الأفضل إلى ثكناتها ، ودخل العادل القاهرة [1] ، إلا أن المؤرخ إبن واصل ذكر هذا ضمن حوادث سنة (٥٩١ هـ / ١١٩٥ م) [2] .

ولما علم العادل بتحركات سيف الدين بكتمر ضده بعث كتباً إلى أولاد أخيه ، حتى يتعاونوا معه و يشاركوا في قتال جماعة بكتمر ، فالتحق به عدد من أمراء الأيوبيين و توجهوا إلى حران ونزلوا بها ، فتمكن العادل من السيطرة على الشرق كله ، وكذلك إستولى على الخابور و نصيبين ، وانكسر بذلك جماعة بكتمر في هذه المواجهة[3] ، وقد ذكر إبن الدواداري كل ذلك ضمن أحداث سنة (٥٩١ هـ / ١١٩٥ م) ، و أشار أيضاً إلى وفاة عزالدين مسعود حاكم الموصل[4]، إلا أن المؤرخ إبن واصل يذكر أن وفاة حاكم موصل كانت في سنة (٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) [5].

وكذلك يشير إبن الدواداري ضمن أحداث سنة (٥٩١ هـ / ١١٩٥ م) إلى أن قوات مصر تحركت نحو الشام مرة أخرى ، وتمكنت من محاصرة دمشق و إنتزاعها من الأفضل، فأعطيت حاكميتها إلى الملك العادل ، وبعد إستقراره في دمشق بعث الأخير برسالة إلى أولاد أخيه ، وطلب منهم أن يجمعوا قواتهم و يلتحقوا بقواته حتى يشنوا هجوماً على بلاد الشرق ، بسبب تحركات حاكم خلاط في المنطقة ، و أول من إستجاب لندائه كان الملك العزيز ، فتمكن العادل من الإستيلاء على حران و الخابور و نصيبين ،

السر، ويكتبون عليها بما يقتضيه الحال ، بعد إشارة السلطان بالكتابة ، ثم يحمل ما يكتبون عليه من القصص إلى كاتب السر فيعينها . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ١١ / ٣٣٣ .

(١) كنز الدرر ، ٧ / ١٢٥ .

(٢) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ٣ / ٤١ – ٤٢ .

(٣) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ١٢٣ – ١٢٤ .

(٤) كنز الدرر ، ٧ / ١٢٦ – ١٢٧ .

(٥) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ٣ / ١٩ – ٢٠ .

وعاد الملوك إلى بلادهم ، والعادل إلى دمشق[1]، وقد أكد إبن الأثير أيضاً على وقوع هذه الحادثة في سنة (٥٩١ هـ / ١١٩٥ م)[2] .

وكانت مدة حكم الملك الأفضل لدمشق ثلاث سنين و بضعة أشهر ، وأخضع حكم دمشق و أعمالها منذ سنة (٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م) إلى الملك العادل عم الملك العزيز ، وأشار إبن الدواداري إلى أن العادل كان بمثابة نائب العزيز على دمشق ، وأصدر الخطبة و السكة باسم الملك العزيز في بلاد الشام[3] ، وكذلك أشار إبن الأثير إلى أن الملك العادل أبوبكر بن نجم الدين أيوب تملك مدينة دمشق في سنة (٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م)[4] .

ويذكر إبن الدواداري بأن الملك العزيز خرج في سنة (٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م) من مصر حتى يواجه الفرنج الصليبيين ، عندما علم بأنهم هاجموا تبنين و حاصروها[5] ، فتمكن من إعادة سلطة المسلمين إليها ، ورحل الصليبيون منها[6]، إلا أن إبن الأثير أشار إلى أن هذه المواجهة حدثت في سنة (٥٩٣ هـ / ١١٩٧ م)[7] .

٢ . الملك المنصور ناصرالدين محمد (٥٩٥ – ٥٩٦ هـ / ١١٩٨ – ١١٩٩ م) :

بعد إستلام الملك المنصور ناصرالدين محمد (٥٩٥ – ٥٩٦ هـ / ١١٩٨ – ١١٩٩ م) الحكم في بلاد مصر ، بعد وفاة أبيه الملك العزيز في سنة (٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) ، وكان صغير السن لما تولى الحكم ، فقام بإستدعاء عمه الملك الأفضل من صرخد ، ومنح له أتابك جيوشه في بلاد مصر[8] ، ويعود سبب ذلك إلى تخوف المنصور من الملك العادل ، والبعض

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ١٢٧ – ١٢٨ .

(٢) الكامل في التاريخ ، ١٠ / ١٣٧ – ١٣٩ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ١٣٠ .

(٤) الكامل في التاريخ ، ١٠ / ١٤٠ .

(٥) كنز الدرر ، ٧ / ١٣٣ .

(٦) إبن الوردي ، تاريخ إبن الوردي ، ٢ / ١١٠ .

(٧) الكامل في التاريخ ، ١٠ / ١٤٧ – ١٤٨ .

(٨) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ١٥٧ – ١٥٩ ؛ إبن الوردي ، تاريخ إبن الوردي ، ٢ / ١١١ .

يقول بأنه كان بوصية من العزيز له ، ولما تولى الملك الأفضل وظيفته قام بإرسال جيش من مصر إلى الشام في سنة (٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) ، وكان في نيته محاصرة عمه العادل و الإستيلاء على مدينة دمشق ، وتمكن خلال حملته على الشام من القبض على أخيه المؤيد مسعود و مجموعة من الأمراء ، ثم أودعهم في السجن[1] .

وأورد إبن الدواداري ضمن أحداث سنة (٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) عندما ضاق الأوضاع على الملك العادل بسبب حصار جيوش الأفضل ، وخلاص القوت بدمشق ، ومفارقة جماعة من أنصاره ، قام بمشاورة كبار دولته على فعل شيء لكي يحصلوا على مخرج من هذا الوضع ، نصحوه أن يبعث إلى ولده الكامل حتى يأتي له بالأموال و الرجال ، فاستنجد العادل بولده الكامل ، وبعث أيضاً كتاباً إلى النائب بقلعة جعبر[2]وأمره بأن يسلم للكامل جميع ما في القلعة من الأموال و السلاح ، ولما وصل إليه الكامل بالأموال و الجيوش إطمأن قلبه وأدرك بأن حاله يستقر بعد هذا ، وفي الوقت نفسه حصل الخلاف بين الأفضل و أخيه الظاهر حاكم حلب ، وافسد هذه الأحداث الأحوال أكثر على الأفضل ، وتعرض جيشه إلى إنكسار أمام العادل ، فاضطر الأفضل أن يرجع إلى مصر مهزوماً [3].

وبعد عودته إلى القاهرة قام الأفضل باصلاح حاله ، وفي هذه الأوقات وصل جيش العادل إلى الصالحية ، فقرر الأفضل أن يخرج لمواجهتهم ، فالتقى الطرفان في الصالحية ، وانكسر جنود الأفضل فيها وتراجع إلى القاهرة بعدد قليل من أنصاره ، وفي هذا الوقت أرسل إليه العادل كتاباً جاء فيه : ((أنت تعلم أن مصر إقليم عظيم ، وله في أنفس الناس ناموساً عظيماً ، فالله لاتحوجني[4] أخذها منك بالسيف ، فيكون ذلك نقصاً في حق هذا

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ١٣٨ .

(٢) قلعة جعبر : تقع على نهر الفرات قرب صفين ، وكانت قديماً تعرف بدوسر ، فتملكها رجل من بني نمير يقال له (جعبر بن مالك) ، فسميت بذلك نسبة إليه . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ١٦٤ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ١٤٠ – ١٤١ .

(٤) وردت هذه الكلمة خطأ في (كنز الدرر) ، والصحيح (لايحوجني) .

الإقليم ، فارحل عنها إلى مكانك بصرخد ، وأنت آمن على نفسك ومالك و حريمك))[١] ، فوافق الأفضل على هذا الطلب ، وتوجه إلى صرخد ، فتمكن بذلك العادل دخول بلاد مصر في سنة (٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م)[٢] .

٣ . الملك العادل سيف الدين أبوبكر (٥٩٦ – ٦١٥ هـ / ١١٩٩ – ١٢١٨ م) :

وفي سنة (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) قام الملك العادل سيف الدين أبوبكر (٥٩٦ – ٦١٥ هـ / ١١٩٩ – ١٢١٨ م) بإعتقال أولاد أخيه المؤيد و المعز في دار بهاء الدين قراقوش ، وكذلك خرج في هذه السنة الملك العادل لمواجهة الملك الظاهر حاكم حلب ، بعدما وصلت إليه الأخبار بأن الظاهر قد إستولى على منبج ، فلما وصل العادل إلى نابلس و خيم بها ، قرر الظاهر بأن يعود إلى حلب ، ومنح العادل حكم دمشق لولده الملك المعظم عيسى ، ثم توجه بعد ذلك إلى بلاد الشرق ودخله ، وتمكن من السيطرة على عدة مناطق ، هي : حران ، و الرها ، وسروج[٣] ، و سميساط[٤] ، وكذلك سيطر على ميافارقين و جعل ولده الملك الأوحد نجم الدين حاكماً عليها ، ثم عاد بعد ذلك إلى بلاد مصر [٥] .

ترك الملك المنصور محمد بن العزيز بلاد مصر في سنة (٥٩٨ هـ / ١٢٠٠ م) ، وتوجه مع والدته و إخوته إلى حلب واستقروا فيها عند الملك الظاهر ، وكان تركه بلاد مصر بسبب تخوفه من أمراء الصلاحية[٦].

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ١٤١ .

(٢) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ١٦٩ – ١٧٠ .

(٣) سروج : وهي في بلاد الجزيرة الفراتية ، تقع في شمال حران . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٢١٦ ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص٣١٥ .

(٤) سميساط : وهي مدينة على نهر الفرات في بلاد الشام ، لها قلعة حصينة . ينظر : الاصطخري ، المصدر السابق ، ص٦٢ ؛ الإدريسي ، المصدر السابق ، ص٦٥١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٢٥٨ .

(٥) كنز الدرر ، ٧ / ١٤٨ – ١٤٩ .

(٦) نفسه ، ٧ / ١٥٣ .

ففي سنة (٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) حاصر الصليبيون عكا ، وكان في نيتهم أن يهاجموا بلاد مصر ، ولما دخلت سنة (٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م) كان الصليبيون على عكا والعادل مرابط لهم ، وكذلك الرسل تتردد بينهم حتى إتفقوا على عقد صلح ، وبعد مدة من هذا الصلح أغارت طائفة من الصليبيين يطلق عليهم الإسبتارية على حماه ، وقاموا بقتل عدد كبير من أهلها ، ولاسيما من التركمان ، ورمى بعض من الناس أنفسهم إلى الخندق خوفاً منهم ، وأسر أيضاً عدد من أهل المدينة [(١)] .

وأشار إبن الدواداري إلى خروج الملك المنصور تقي الدين في سنة (٦٠١ هـ / ١٢٠٤م) لقتال الصليبيين ، لأنهم هاجموا مدينة حماه ، وأخذوا النساء من على نهر العاصي ، فتمكن المنصور من إرجاع النساء الذين أخذوا . و في سنة (٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م) قام الملك العادل بتجهيز خمسة عشر أسطولاً شينياً وشحنهم بالرجال ، ووجهها إلى الشام من خلال البحر ، ولكنهم تعرضوا إلى هجوم ، فغرق و أسر عدد منهم ، ولم ينج منهم سوى ستة من الشواني [(٢)].

بعدما هاجم الصليبيون حصن الأكراد[(٣)] في سنة (٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م) ، قرر الملك العادل أن يخرج لهم و سار إليهم حتى وصل إلى هذا الحصن ، ووقع بينهم قتال عظيم ، قتل فيه خلق كثير ، وتمكن العادل أن يكسرهم ، ثم توجه إلى طرابلس محاولاً السيطرة عليها ، وجرت بينهم بعض المواجهات حتى تم عقد الصلح بين العادل و الريدكور حاكم طرابلس ، وفي سنة (٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م) نزل الملك العادل في عكا ، وأقام فيها ثلاثة أيام ، وتمكن من تحرير ألف و ثلاثمائة أسير من المسلمين[(٤)]، إلا أن إبن الأثير يذكر موقعة حصن

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ١٥٤ – ١٥٥ .

(٢) نفسه ، ٧ / ١٥٨ – ١٥٩ .

(٣) حصن الأكراد : هو حصن منيع ، من أعمال طرابلس . ينظر : إبن شاهين ، المصدر السابق ، ص٤٨ .

(٤) كنز الدرر ، ٧ / ١٦٠ – ١٦٥ .

الأكراد و طرابلس ضمن أحداث سنة (٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م)[١] .

وضمن أحداث سنة (٦١١ هـ / ١٢١٣م) أشار إبن الدواداري إلى أن الملك الكامل إستولى على بلاد اليمن ، و في أحداث سنة (٦١٢ هـ / ١٢١٤ م) ذكر بأن إبنه الملك المسعود أقسيس تمكن من الإستيلاء على بلاد اليمن [٢] .

وقد أشار إبن الدواداري إلى حدوث منازعات بين ولدي الملك الظاهر ، وهما الملك العزيز و الملك الصالح أحمد ، وذلك على خلافة أبيهما في حكم بلاد مصر ، وكان عمر العزيز عند وفاة أبيه سنتين و أشهر ، وعمر أخيه الصالح أحمد إثنتى عشرة سنة ، فأبوهما الملك الظاهر كتب وصية قبل وفاته بأن يكون الملك العزيز بعده ، ثم يأتي بعده الملك الصالح أحمد[٣] .

ويذكر إبن الدواداري ضمن أحداث سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٦ م) بأنه حدث مناوشات عسكرية بين المسلمين و الصليبيين ، ففي الوقت الذي كان الصليبيون محاصرين منطقة الطور[٤] ، جهز الملك العادل جيشه في بلاد مصر و توجه إلى الشام ، فمر بنابلس و استقر في بيسان ، ثم إنسحب العادل منها ونزل في مرج الصفر ، ثم غار الصليبيون على تبنين و بانياس ، وكان الصليبيون في نيتهم الإستيلاء على أكثر المناطق في بلاد المسلمين ، فكان العادل وجه جل إهتمامه بتحصين سائر الثغور الإسلامية و عمائرها ، وبعد ذلك حاول الصليبيين أن يستولوا على دمشق [٥]، وكذلك وردت هذه الأحداث عند إبن الأثير دون أن يكون بينهم أي إختلاف[٦] .

---

(١) الكامل في التاريخ ، ٧ / ٢٦٢ – ٢٦٣ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ١٧٧ – ١٨٢ .

(٣) نفسه ، ٧ / ١٨٥ – ١٨٦ .

(٤) الطور : وهي جبل معروف ببلاد الشام ، يطل على مدينة طبرية و بحيرة طبرية ، قريب من مدينة دمشق ، يبعد عنها ثلاثة أيام . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٤٧ ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص٣٩٧ .

(٥) كنز الدرر ، ٧ / ١٨٧ – ١٩١ .

(٦) الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٣٠٣ – ٣٠٤ .

ولم يقف الصليبيون عن محاولاتهم للإستيلاء على بلاد المسلمين ، فهاجموا هذه المرة دمياط ، فلما علم الملك الكامل ذلك توجه إليهم و تحصن لهم بثغر دمياط ، وفي هذه السنة أيضاً خرب الصليبيون الطور[1] ، وأنشئت بعد ذلك من جديد ، وبعد سيطرة الصليبيين على دمياط تمكنوا أن يستولوا على برج السلسلة ، وقد بني هذا البرج في وسط نهر النيل ، ثم هاجم الصليبيون بعد ذلك القيمون ، ولكن لم يتمكنوا من السيطرة عليها ، بل إنكسروا أمام المسلمين هذه المرة ، ووردت حادثة حصار دمياط من قبل الصليبيين في (كنز الدرر) ضمن حوادث سنة (٦١٥ هـ / ١٢١٧ م)[2] ، إلا أنه ورد عند إبن الأثير ضمن أحداث سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)[3] .

٤ . الملك الكامل ناصرالدين محمد (٦١٥ – ٦٣٥ هـ / ١٢١٧ – ١٢٣٧م) :

ففي الوقت الذي كان الملك الكامل ناصرالدين محمد (٦١٥ – ٦٣٥ هـ / ١٢١٧ – ١٢٣٧م) مشغولاً في حرب الصليبيين ، إذ ورد عليه الخبر بموت والده السلطان الملك العادل ، ولما أراد كبار أمراء الدولة الأيوبية أن يختاروا الملك الكامل كي يخلف أباه ، ولكن وقف أحد أمراء الدولة ضد هذه الفكرة[4] ، كما يشير إليه إبن الدواداري حين يقول أن الأمير عمادالدين إبن المشطوب الهكاري[5] قال للأمراء المجتمعين : ((هذا صبي خفيف ، ولا يأتينا منه خير)) ، وكان يقصد إبن المشطوب من كلامه هذا أن الملك الكامل غير مؤهل لقيادة الأيوبيين في هذه المرحلة ، ويشير إبن الدواداري إلى أن غالبية جنود الجيش

(١) العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : محمود رزق محمود ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م ، ٣ / ٣١٨ – ٣١٩ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ١٩٥ – ١٩٨ .

(٣) الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٣٠٤ – ٣٠٥ .

(٤) العيني ، المصدر السابق ، ٣ / ٣٣٧ .

(٥) عمادالدين إبن المشطوب : هو أبوالعباس أحمد بن سيف الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن أبي الهيجاء بن عبدالله بن أبي الخليل بن مرزبان الهكاري ، المعروف بـإبن المشطوب ، و الملقب بـ (عمادالدين) ، ولد سنة (٥٧٥ هـ / ١١٨٠ م) ، توفي سنة (٦١٩ هـ / ١٢٢٤ م) . ينظر : إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١ / ١٨٠ . ١٨٢ .

الأيوبي في بلاد مصر كانوا من الكرد[1] ، ولاسيما في عهد صلاح الدين الأيوبي فكان مؤلفاً من كثير من العشائر الكردية و الأمراء الكرد ، الذين شاركوا في جميع حروبه و فتوحاته في بلاد مصر و الشام[2] .

ويشير إبن الدواداري ضمن أحداث سنة (٦١٦ هـ / ١٢١٨ م) إلى هدم سور بيت المقدس و قلاعه و أبراجه و صهاريجه ، وقد تم ذلك بعدما توجه الملك المعظم حاكم الشام إلى أخيه الملك الكامل ، و أبلغه بأن طائفة من الصليبيين يعزمون التوجه إلى بيت المقدس و الإستيلاء عليه ، فاتفق مع الأمراء على خرابه ليؤمن شره ، وحتى لايفكر الصليبيين بمهاجمته ، والجدير بالذكر أن الأمير عزالدين أيبك جد المؤرخ إبن الدواداري و الملك العزيز فخرالدين عثمان كانا موجودين يومئذ بالقدس[3] .

وقد إستولى الصليبيون على دمياط في شهر شعبان من سنة (٦١٦ هـ / ١٢١٨ م) ، فاجتمع أمراء الأيوبيين لقتالهم ، وأول من قدم بجيشه إلى الملك الكامل وهو الملك المعظم عيسى حاكم الشام ، ثم الملك الأشرف موسى[4] ، وفي سنة (٦١٧ هـ / ١٢١٩ م) وقع القتال بين المسلمين و الصليبيين في البحر ، فتمكن شواني المسلمين أن يتغلبوا على أساطيل الصليبيين ، وأخذوا من مراكبهم ثلاث قطع ، بما فيها من الرجال و العدد و السلاح ، ففرح المسلمون بهذا الإنتصار كثيراً[5] .

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ١٩٨ – ٢٠٠ .

(٢) محمدامين زكي بك ، خلاصة تاريخ الكرد و كردستان ، ت : محمد علي عوني ، مطبعة دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ط٢ ، ٢٠٠٥ م ، ق١ / ٢٢٠ – ٢٢١ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٢٠٢ .

(٤) العيني ، المصدر السابق ، ٤ / ٩ – ١١ .

(٥) كنز الدرر ، ٧ / ٢٠٣ – ٢٠٩ .

تمكن المسلمون من إستعادة دمياط في شهر رجب من سنة (٦١٧ هـ / ١٢١٩ م) [(١)]، وكان ذلك بموجب صلح أبرم بين المسلمين و الصليبيين ، بعدما بقي بأيدي الصليبيين لمدة ثلاث سنين و ثلاثة أشهر ، وقيل أيضاً ثلاث سنين و سبعة أشهر[(٢)] .

ويشير إبن الدواداري إلى أن السلطان الملك الكامل خرج في سنة (٦٢٠ هـ / ١٢٢٢ م) إلى لقاء ولده الملك المسعود حاكم اليمن ، والتقى به عند منزلة البويب ، ثم سار إلى مكة المكرمة وبعد وقوفه بعرفة نزل على الينبع ، وبقى فيها يومين وبعد ذلك تركها وجعل فيها الأسد جغريل ، ثم عين الأمير صمصام الدين الخزندار[(٣)] أميراً على مكة المكرمة [(٤)]. و في سنة (٦٢١ هـ / ١٢٢٣ م) توجه الملك المسعود بن الكامل إلى القاهرة ، ودخلها وكانت بين يديه الفيلة ، فأخلي له قصرها و سكن فيه ، وفي السنة نفسها قام الملك الكامل بإلقاء القبض على مجموعة من أمراء البحرية من مماليك والده ، وسجنهم في الجب الكبير [(٥)].

وكذلك أشار إبن الدواداري إلى أن السلطان الملك الكامل زوج في شهر جمادي الآخرة من سنة (٦٢٣ هـ / ١٢٢٥ م) إبنته من إبن حاكم الروم ، وفي شهر شعبان من تلك السنة خرج السلطان إلى بلاد الشام ، ثم عاد بعد ذلك إلى القاهرة . وفي السنة نفسها توجه الملك المسعود أقسيس إلى بلاد اليمن ، وودعه والده السلطان الملك الكامل إلى قلعة صدر ، ثم توجه بعد ذلك إلى ثغر الإسكندرية[(٦)].

---

(١) العيني ، المصدر السابق ، ٤ / ٣٧ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٢١١ – ٢١٢ .

(٣) الخزندار : هو لقب مركب من لفظين أحدهما عربي وهو (خزانة) وهي ما يخزن فيه المال ، والثاني فارسي وهو (دار) ومعناه ممسك ، فحذفت الألف و الهاء تخفيفاً ، فصار خزندار ، ويكون المعنى ممسك الخزانة ، والمراد المتولي لأمرها . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٥ / ٤٦٢ ـ ٤٦٣ .

(٤) كنز الدرر ، ٧ / ٢٥٢ .

(٥) نفسه ، ٧ / ٢٦١ .

(٦) نفسه ، ٧ / ٢٧٩ – ٢٨٠ .

وفي سنة (٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م) توجه الملك الكامل إلى بلاد الشام ، واستناب ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب بمصر ، وأما في سنة (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) تبادلت المراسلات بين الملك الكامل و ملك الصليبيين الأنبرور ، حتى عقد الصلح بينهم ، وكذلك في السنة نفسها فرض الملك الكامل حصاراً شديداً على دمشق ، فاضطر نتيجة ذلك أن يترك الملك الناصر داود بن المعظم عيسى (٦٢٤ – ٦٤٧ هـ / ١٢٢٦ – ١٢٤٩ م) الكرك و عجلون و الصلت و نابلس و القدس و قلعة الخليل ، ثم دخل بعد ذلك الملك الكامل إلى دمشق في شهر ربيع الأول من تلك السنة ، ثم سار إلى حماه و انتزعها من الناصر قليج أرسلان ، وأعطى حاكميتها إلى أخيه الملك المظفر تقي الدين محمود[١] ، وفي السنة نفسها توجه الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبوبكر بن أيوب إلى الكرك ، و أقام الأشرف موسى بدمشق[٢] .

فلما إستولى جلال الدين خوارزم شاه على مدينة خلاط سنة (٦٢٧ هـ / ١٢٢٩م) ، إتفق الأخوة الملك الكامل و فخرالدين و تقي الدين عمر مع الملك الأشرف لمواجهتهم ، وكان الكامل في الرقة عندما وصل إليه خبر إستيلاء جلال الدين على خلاط ، وأما الملك الأشرف فانه كان بدمشق ، فخرج إلى أن وصل الرقة ، وفي هذه الأثناء أرسل حاكم الروم كيقباد إلى الملك الأشرف ، ويقول : ((تحضر إلى عندي لنتفق على هذا الذي أخرب البلاد و أهلك العباد ، فعندي المال و الرجال)) ، فشاور الأشرف أخاه الكامل على ذلك ، فقال بها : ((مصلحة))[٣] ، إلا أن إبن الأثير يذكر إستيلاء جلال ا لدين خوارزم شاه على مدينة خلاط ضمن أحداث سنة (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)[٤] .

---

(١) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٤٣٤ – ٤٣٨ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٢٨٩ – ٢٩٥ .

(٣) نفسه ، ٧ / ٢٩٩ .

(٤) الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٤٣٨ – ٤٣٩ .

ثم يشير إبن الدواداري إلى أن السلطان الملك الكامل أمر في سنة (٦٢٨ هـ /١٢٣٠م) بحفر البحر من دار الوكالة[١] إلى صناعة التمر ببلاد مصر ، واستعمل فيه الملوك و الأمراء و العوام ، و عمل هو بنفسه فيه أيضاً، وكان البحر في نقصه[٢] ، وقد صار بذلك طريقاً من مصر إلى الجزيرة ، فخشي عليه من ردمه ، لذلك إجتهد على هذا الأمر فيه[٣] .

تمكن الملك الكامل في سنة (٦٢٩ هـ /١٢٣١م) من الإستيلاء على مدينة آمد[٤] ، ثم ملكها لولده الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكذلك في هذه السنة قام الملك الكامل بتزويج إبنته عاشوراء خاتون من الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى حاكم الكرك[٥] .

وفي سنة (٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م) توجه الملك الكامل بصحبة الملك الأشرف إلى بلاد الروم ، فاستقر قواته عند نهر الأزرق ، ثم تحركوا بعد ذلك نحو خرتبرت ودخلوا إليها ، ولكن تم محاصرتهم من قبل قوات حاكم خرتبرت ، وأسر جماعة منهم ، وفي السنة نفسها ألزم الملك الكامل الملك الناصر داود بطلاق إبنته ، وكان ذلك قبل دخولها عليه ووصولها إليه[٦].

ويشير ضمن أحداث سنة (٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) إلى أن السلطان الملك الكامل عاد من بلاد الشرق إلى بلاد مصر ، بعدما قبض على حاكم آمد [٧] و اعتقله بالقلعة ، وتعود سبب عودته سريعاً إلى مصر لما بلغه أن الملوك اتفقوا عليه ، وهم الأشرف موسى ، والناصر داود ، و الأمجد بهرام شاه حاكم بعلبك ، وفي هذه السنة أيضاً عهد الملك الكامل لإبنه

---

(١) دار الوكالة : إسم منطقة ببلاد مصر ، بجانب دار الضرب في القاهرة ، وموضعها الآن على يمنة السالك من رأس الخراطين إلى سوق الخيميين ، و الجامع الأزهر . ينظر : المقريزي ، الخطط ، ٢ / ٣٦٥ – ٣٦٦ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٣٠٤ .

(٣) إبن دقماق ، نزهة الأنام .. ، ص٤٧ .

(٤) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ٤٤٧ .

(٥) كنز الدرر ، ٧ / ٣٠٦ – ٣٠٨ .

(٦) نفسه ، ٧ / ٣١٢ .

(٧) لم يذكر لنا إبن الدواداري إسم هذا الحاكم في كتابه ، ولكن بعدما راجعنا المصادر التاريخية عرفنا بأن هذا الحاكم وهو الملك المسعود بن أرتق .

الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ونزل في دار الوزارة بالقاهرة ، ثم توجه إلى الشام ، بعدما سمع بأن حاكم الروم علاءالدين كيقباد يقصد غزو بلاد حران و الرها ، واستولى على بعض قلاعها ، فنزل الكامل بقواته في منزلة تل العجول[١] .

وفي سنة (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) تمكن الملك الكامل من فتح عدة أماكن في بلاد الشام ، منها حران و قلعة الرها و قلعة السويداء و قلعة قطينا ، وقد تم أسر عدد كبير من جنود الروم ، ثم أخذ جميعهم إلى بلاد مصر ، وبعد تفرغه من فتح هذه الأماكن توجه الكامل إلى دمشق ، وكلف الملك الصالح نجم الدين أيوب بحكم تلك الأماكن ، وكذلك في هذه السنة إستولى الملك الكامل على دنيسر[٢] .

ويشير إبن الدواداري إلى أن الملك الكامل توجه في سنة (٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م) إلى ثغر دمياط ، ثم من هناك إلى ثغر الإسكندرية ، ثم يذكر في السنة نفسها بأنه وقع خلاف بين الملك الأشرف و الملك الكامل ، وكان ذلك بسبب إعتماد الأشرف على جنود الخوارزميين في صراعاته مع الآخرين ، لذلك نجد لما يصل خبر وفاة الملك الأشرف إلى الملك الكامل ، يسجد شكراً لله سبحانه و تعالى ، ثم أشار إبن الدواداري إلى أن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل تمكن في هذه السنة من الإستيلاء على سنجار و نصيبين و الخابور[٣] .

وضمن أحداث سنة (٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م) أشار إبن الدواداري إلى مجموعة من الحوادث منها تملك الجواد مظفرالدين يوسف بن مودود بن سيف الدين العادل دمشق ، ثم وقوع الخلاف بين أمراء سائر الأقاليم شرقاً و غرباً ، ثم انقطاع الخطبة باسم الملك العادل الثاني بن الملك الكامل بدمشق ، واستقرت باسم الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وفي هذه السنة أيضاً وقع الصلح بين الملك الصالح و أسدالدين شيركوه حاكم حمص ،

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٣١٣ – ٣١٤ .

(٢) نفسه ، ٧ / ٣١٥ – ٣١٦ .

(٣) نفسه ، ٧ / ٣١٧ – ٣١٩ .

وكذلك في هذه السنة توجه الملك الناصر داود حاكم الكرك إلى مصر ، وأبرم إتفاقاً مع الملك العادل الثاني[١] .

٥ . الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧ – ٦٤٧ هـ / ١٢٣٩ – ١٢٤٩ م) :

وقد تسلم الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧ – ٦٤٧ هـ / ١٢٣٩ – ١٢٤٩ م) السلطة في الدولة الأيوبية في سنة (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) ، بعدما تمكن من الإستيلاء على مصر ، وينزل أخاه العادل الثاني من الحكم ، ثم يسجنه في قلعة الجبل[٢] ، وأشار إبن الدواداري ضمن أحداث سنة (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) إلى أن الملك الناصر داود حاكم الكرك سلم القدس الشريف للصليبيين[٣] ، ولكن نجد أن إبن واصل يذكر هذه الحادثة ضمن أحداث سنة (٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م) ويشير إلى إتفاق ثلاث من أمراء الأيوبيين وهم الملك الصالح حاكم دمشق و الملك المنصور حاكم حمص و الملك الناصر حاكم حلب ، على تسليم القدس و طبرية و عسقلان للصليبيين[٤] .

أشار إبن الدواداري إلى أن الملك الصالح نجم الدين أيوب هاجم في سنة (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م) دمشق و استولى عليها ، فاتفق لهذا الغرض مع الملك المجاهد حاكم حمص ، و الأمير عزالدين أيبك حاكم صرخد ، أن يديروا دمشق نائباً عنه ، ثم يشير إلى أن الصليبيون إستولوا في سنة (٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م) على صفد و الشقيف[٥] .

إستغل الخوارزميون النزاعات الداخلية بين أمراء الأيوبيين ، ولاسيما بين الملك الصالح نجم الدين أيوب حاكم مصر ، والملك الصالح إسماعيل حاكم الشام ، فهاجموا على الشام وتمكنوا من الإستيلاء على غزة ، ثم سيطروا على القدس الشريف ، فأرسلوا

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٣٢٨ – ٣٣٤ .

(٢) إبن واصل ، ٥ / ٢٦٥ – ٢٦٦ ؛ طقوش ، تاريخ الأيوبيين .. ، ص٣٥٧ .

(٣) كنز الدرر ، ٧ / ٣٤٠ .

(٤) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ٥ / ٣٣٢ – ٣٣٣ ؛ خضر إلياس جلو ، المرجع السابق ، ص٩١ – ٩٢ .

(٥) كنز الدرر ، ٧ / ٣٣٥ – ٣٤٧ .

في ذلك الوقت إلى الملك الصالح بمصر وطلبوا منه أن يأذن لهم بأن يستولوا على دمشق ، ولما سمع الملك الصالح بمحاولات الخوارزميين لمهاجمة دمشق ، لجأ إلى الصليبيين و استنجد بهم ، واتفقوا على توزيع مصر و الشام بينهم بالمساواة ، فوقعت معركة عظيمة بين قوات الشام و معهم الصليبيون مع قوات مصر و معهم الخوارزميون ، فانتصرت قوات الملك الصالح و الخوارزميين فيها[1] ، ثم يشير إبن الدواداري إلى عقد الصلح بين الملك الصالح نجم الدين أيوب و الملك الصالح إسماعيل في سنة (٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م)[2] .

ولكن يبدو أن هذا الصلح لم يستمر لوقت طويل ، بل نشبت بينهم النزاع من جديد ، فأشار إبن الدواداري إلى أن الملك الصالح نجم الدين أيوب حاكم مصر إستمر في حصاره لدمشق في سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) ، وبسبب شدة الحصار تمكن قوات مصر دخولها ، وهرب الملك الصالح إسماعيل (أبو الجيش) حاكم المدينة ، وكذلك الأمير عزالدين أيبك صاحب صرخد جد المؤرخ ، وعين صفي الدين نائباً بها من قبل الملك الصالح نجم الدين أيوب[3].

هاجم الصليبيون على بلاد مصر سنة (٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) ، ونشبت معركة كبيرة بين المسلمين و الصليبيين في البحر ، تمكن خلالها المسلمون الإنتصار عليهم و أخذ منهم إثنين و ثلاثين مركباً منهم ، فانهارت معنوياتهم و انتشر بينهم الفقر و الغلاء الفاحش ، فاضطروا طلب صلح من المسلمين ، فتبادل بينهم رسل السلام ، وكان زين الدين قراجا أمير جندار[4] وفد المسلمين لهذا الصلح ، وفي صحبته القاضي بدرالدين السنجاري ،

---

(١) إبن دقماق ، الجوهر الثمين .. ، ص١٤٩ – ١٥٠ ؛ خضر إلياس جلو ، المرجع السابق ، ص٩٢ – ٩٣ .

(٢) كنز الدرر ، ٧ / ٣٥٢ .

(٣) نفسه ، ٧ / ٣٥٦ .

(٤) أمير جاندار : وهو لقب يطلق على الذي يستأذن على الأمراء و غيرهم في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل ، وهو مركب من ثلاثة ألفاظ : أحدها عربي وهو أمير ، والثاني جان معناه الروح بالفارسية ، و بالتركية جميعاً ، والثالث دار و معناه ممسك ، فيكون المعنى : الأمير الممسك للروح . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٥ / ٤٦١ .

فالتقى وفد الطرفان لإجراء المفاوضات ، فوضع الصليبيون شروطهم لهذا الغرض منها أن يكون لهم القدس الشريف و بعض بلاد الساحل ، وبالمقابل يجري تسليم دمياط إلى المسلمين ، الذين لم يقبلوا بهذا العرض[1] .

إستمر الصليبيون في محاولاتهم لتوسيع نفوذهم في بلاد مصر ، فلما سيطروا على المنصورة حاولوا شن هجوم واسع على القاهرة ، ففي هذه الأوقات قدر الأجل أن يموت الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل في سنة (٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) ، وبذلك لم تتحقق أمنية الصالح من إستعادة المناطق التي وقعت تحت سيطرة الصليبيين بمصر ، حتى أتى إبنه تورانشاه من حصن كيفا وتمكن من الإنتصار على الصليبيين ، وأخرجهم من بلاد مصر[2] ، والجدير بالذكر أن زوجته شجرة الدر أخفت موته ، ودبرت أمور الدولة بشكل مخفي ، وبعدما تزوج شجرة الدر بأحد مملوكي الدولة وهو عزالدين أيبك ، إنتقلت مقاليد الحكم من الأيوبيين إلى المماليك بشكل كامل ، وكما هو معلوم أن الملك الصالح أول من اشترى المماليك و استفاد منهم من الناحية العسكرية ، واستخدمهم في بناء قلعة الروضة ، ثم أسكنهم بها وسماهم البحرية ، وبمرور الزمن دخلوا في وظائف مهمة في الدولة الأيوبية ، وتمكنوا من السيطرة على زمام الدولة بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب[3] .

---

(١) كنز الدرر ، ٧ / ٣٧٨ .

(٢) نفسه ، ٧ / ٣٧٥ – ٣٧٨ .

(٣) الجبرتي ، تاريخ عجائب الآثار في التراجم و الأخبار ، دار الجيل ، بيروت ، د . ت . ، ١ / ٢٨ – ٢٩.

الخاتمة

١ . تبين من خلال هذه الدراسة أن المؤرخين الذين عاصروا إبن الدواداري لم يهتموا به كثيراً في مدوناتهم ، ولاسيما الذين كانوا يعملون في مجال التراجم و الأنساب و الطبقات ، على الرغم من أن المؤرخ كان أحد أبرز الأعلام و رجال الدولة في القرنين السابع و الثامن الهجريين / الثالث عشر و الرابع عشر الميلاديين ، وكتابه (كنز الدرر و جامع الغرر) يعد أحد المصادر الأساسية عن الأيوبيين و المماليك ، لأن صاحب الكتاب كان من معاصري هاتين الحقبتين من التأريخ .

٢ . كان إبن الدواداري و عائلته من المشاركين في صنع الأحداث في حقبة المماليك ، وتقلدوا مناصب إدارية رفيعة ، ولاسيما المؤرخ نفسه الذي تولى الحكم في مدينة صرخد بعد وفاة أبيه ، لذلك تعد كتاباته مهمة في المجال التأريخي ، لأنها تبين وجهة نظر فئة مهمة من المجتمع ، ولاسيما إنه كان من ضمن الفئة الحاكمة في دولة المماليك ، وهذا الأمر يعد مهماً لمعرفة تلك الفئة و نظراتهم تجاه الأحداث بشكل عام ، والأيوبيين الذين حكموا قبلهم بشكل خاص .

٣ . لم يكن كتاب (كنز الدرر و جامع الغرر) أقل شأناً من الكتب التأريخية التي تشبهه في الحجم و الأسلوب ، ولاسيما كتب الذين إعتمدوا على النظام الحولي في الكتابة التأريخية ، أمثال كتاب تاريخ الأمم و الملوك للطبري ، والكامل في التأريخ للمؤرخ عزالدين إبن الأثير، و المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم لإبن الجوزي ، ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط إبن الجوزي ، فسلك إبن الدواداري منهجهم في التدوين التأريخي ، معتمداً في كتابه كنز الدرر على المنهج الحولي .

٤ . يتوزع أسلوب إبن الدواداري في الكتابة التأريخية إلى نوعين ، الأول يتسم بالنقل و الجمع و التلخيص ، ويظهر هذا الأسلوب في الأجزاء الستة الأولى من كتابه ، لأن المؤرخ لم يكن معاصراً للأحداث التي وقعت في تلك الحقبة ، ولكنه غير أسلوبه في الثاني إلى

التمحيص و التعليل و التحليل ، وكذلك أبدى رأيه في معظم الأحداث و الروايات في الأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتابه .

٥ . إهتم إبن الدواداري بالأدب كثيراً إلى جانب إهتمامه بالتأريخ ، و كان له مؤلفات كثيرة في هذا المجال ، و خصص أيضاً في أواخر كل جزء من كتابه صفحات عديدة لذكر شعراء ذلك العصر ، ودون فيها مقتطفات من أشعارهم ، وكذلك أشار إلى كثير من الأبيات الشعرية في مروياته التأريخية .

٦ . يتضح أن المؤرخ إبن الدواداري مثل جميع المؤرخين المصريين الآخرين خصص جل إهتماماته في الكتاب بتأريخ بلاد مصر ، ولذلك نرى أن معظم الموضوعات التي وردت في كتاب كنز الدرر تتعلق بتأريخ و جغرافية بلاد مصر ، فضلاً عن ذلك إبتكر شيئاً لم يقم به أحد من قبله وهو ذكر قياس نهر النيل تحت عنوان : (النيل المبارك في هذه السنة) ، واقتدى به بعده كثير من المؤرخين ومن بينهم المؤرخ إبن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، ويرجع سبب ذلك إلى أهمية هذا النهر من الناحية الإقتصادية و السياسية و الأمنية لسكان المنطقة بشكل عام ، وللمجتمع المصري بشكل خاص .

٧ ـ أورد إبن الدواداري في كتابه تراجم رجال و أعلام الكرد الأيوبيين ، كما دون تراجم أعلام و أعيان المسلمين عامة ، وكان من عادته أيضاً أن يذكر في كل سنة عدداً من وفيات تلك السنة ، فإما يوردها في بداية كلامه على حوادث تلك السنة ، أو في نهاية ذكر الحوادث يأتي على ذكر وفيات هذه السنة .

٨ . لم ينس إبن الدواداري أن يذكر أيضاً المرأة ودورها في التأريخ الإسلامي ، وإسهاماتها في التقدم الحضاري في المجتمع ، فدون في كتابه أسماء عدد من نساء الكرد ، ولاسيما النساء الأيوبيات ، وأشار أيضاً إلى دورهن السياسي و الإجتماعي في الدولة .

٩ . يعد إبن الدواداري من المؤرخين الذين إهتموا بأصل الكرد الأيوبيين و نسبهم ، وأورد في هذا المجال آراء و روايات مختلفة ، وبعض من هذه الآراء و المرويات بعيد عن الحقيقة، كما إهتم بدورهم السياسي و العسكري في التأريخ الإسلامي ، ولاسيما دورهم في الحروب الصليبية و صد هجمات التتار و المغول على العالم الإسلامي ، مع بيان مدى تأثير هذه الحروب على المنطقة .

١٠ . خصص إبن الدواداري الجزء السابع من كتابه (كنز الدرر) لذكر بني أيوب فقط ، حيث أشار إلى أسماء أمرائهم الذين تولوا الحكم في بلاد مصر و الشام ، وكذلك إلى علاقاتهم الحميمة بالزنكيين و القوى الإسلامية الأخرى ، و إسهاماتهم في الحضارة الإسلامية و تقديمهم الخدمات الجليلة في الجانبين الإقتصادي و العمراني لأهل المنطقة .

١١ . أفرد إبن الدواداري الجزأين الثامن و التاسع من كتابه لذكر دولة المماليك ، والتي لعب هو و عائلته دوراً كبيراً فيها ، وقدموا كثيراً من الخدمات لهذه الدولة و سلاطينها ، لاسيما فيما يخص ذكر سيرة أحد سلاطين المماليك البارزين وهو السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

أولاً / المصادر العربية المطبوعة :

١ . القرآن الكريم

الإدريسي : أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٢ م)

٢ . نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .

إبن الأثير: عزالدين أبوالحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت٦٣٠ هـ /١٢٣٢م)

٣ . التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق : عبدالقادر أحمد طليمات ، د . ت .

٤ . الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، دارالكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٦ م .

الأزدي : جمال الدين أبوالحسن علي بن منصور ظافر بن حسين (ت ٦١٣ هـ /١٢١٦ م)

٥ . أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق : عصام هزايمة و الآخرين ، دار الكندي ، إربد . الأردن ، ١٩٩٩ م .

الاصطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت بعد ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م)

٦ . مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٢٧ م .

الأصفهاني : الكاتب عمادالدين أبو عبدالله محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)

٧ . البرق الشامي ، تحقيق : فالح صالح حسين ، مؤسسة عبدالحميد شومان ، ١٩٨٧ م .

٨ . تاريخ دولة آل سلجوق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤ م .

٩ . الفتح القسي في الفتح القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ م .

إبن إياس : أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م)

١٠ . بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ م .

إبن بطوطة : محمد بن عبدالله بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م)

١١ . تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار (رحلة إبن بطوطة) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ٢٠١١ م .

البغدادي : صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م)

١٢ . مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

البناكتي : أبو سليمان داود بن أبي الفضل محمد (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٣١ م)

١٣ . روضة أولى الألباب في معرفة التواريخ و الأنساب (تاريخ البناكتي) ، ت : محمود عبدالكريم علي ، الهيئة العامة لشؤن المطابع الأميرية ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م .

البنداري : قوام الدين الفتح بن علي (ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م)

١٤ . سنا البرق الشامي ، تحقيق : فتحية عبدالفتاح النبراوي ، دار اللواء ، الرياض ، ١٩٨٩ م .

بيبرس المنصوري : ركن الدين بيبرس بن عبدالله المنصوري الدوادار (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م)

١٥ . التحفة الملوكية في الدولة التركية (تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨– ٧١١هـ) ، تحقيق : عبدالحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

١٦ . مختار الأخبار (تاريخ الدولة الأيوبية و دولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢ هـ) ، تحقيق : عبدالحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٣ م .

التطيلي : بنيامين بن يونه البناري الأندلسي (ت بعد ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م)

١٧ . رحلة بنيامين التطيلي ، ت : عزرا حداد ، دار الوراق للنشر ، د . ت .

إبن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)

١٨ . حوادث الدهور في مدى الأيام و الشهور ، تحقيق : محمد كمال الدين عزالدين ، عالم الكتب، بيروت ، ١٩٩٠ م .

١٩ . الدليل الشافي على المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د . ت .

٢٠ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

الجبرتي : عبدالرحمن بن حسن برهان الدين (ت ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٥ م) .

٢١ . عجائب الآثار في التراجم و الأخبار ، دار الجيل ، بيروت ، د . ت .

إبن جبير : أبوالحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)

٢٢ ـ إعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة و المناسك (رحلة إبن جبير) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ م .

إبن الجوزي : أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)

٢٣ ـ المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا و مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

إبن حجر العسقلاني : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)

٢٤ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣ م .

٢٥ ـ رفع الأصر عن قضاة مصر ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د . ت .

الحميري : محمد بن عبدالمنعم (ت ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م)

٢٦ ـ الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، مطبعة هيدلبرغ ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ م .

الحنبلي : أبو البركات عزالدين أحمد بن إبراهيم (ت ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م)

٢٧ ـ شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق :ناظم رشيد شيخو، دار الحرية للطباعة ،بغداد، ١٩٧٩م .

أبو حنيفة الدينوري : أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ / ٨٨٥ م)

٢٨ ـ الأخبار الطوال ، تحقيق : عصام محمد الحاج علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١ م

إبن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٨ م)

٢٩ ـ صورة الأرض ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د . ت .

إبن خرداذبة : أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله (ت ٢٨٠ هـ / ٨٨٢ م)

٣٠ ـ المسالك و الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٩ م .

إبن خلدون : عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)

٣١ ـ ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر (تاريخ إبن خلدون) ، دارالفكر ، بيروت ، ٢٠٠٠م .

إبن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)

٣٢ . وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٩ م .

إبن دقماق : صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمير العلائي (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م)

٣٣ . الجوهر الثمين في سير الملوك و السلاطين ، تحقيق : محمد كمال الدين ، عالم الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٧م .

٣٤ . نزهة الأنام في تاريخ الإسلام ، تحقيق : سمير طبارة ، المكتبة العصرية ، صيدا . بيروت ، ١٩٩٩م.

إبن الدواداري : أبوبكر بن عبدالله بن أيبك (ت ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م)

٣٥ . كنز الدرر و جامع الغرر (الدرة العليا في أخبار بدء الدنيا) ، تحقيق : بيرند راتكه ، القاهرة، ١٩٨٢ م .

٣٦ . كنز الدرر و جامع الغرر (الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة) ، تحقيق : إدوارد جدين ، بيروت ، ١٩٩٤ م .

٣٧ . كنز الدرر و جامع الغرر (الدر الثمين في أخبار سيد المرسلين و الخلفاء الراشدين) ، تحقيق : محمد السعيد جمال الدين ، القاهرة ، ١٩٨١ م .

٣٨ . كنز الدرر و جامع الغرر (الدرة السمية في أخبار الدولة الأموية) ، تحقيق : جونهيلد جراف و إريكا جلاسن ، بيروت ، ١٩٩٤ م .

٣٩ . كنز الدرر و جامع الغرر (الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية) ، تحقيق : دوروتيا كرافولسكي ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

٤٠ . كنز الدرر و جامع الغرر (الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية) ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

٤١ . كنز الدرر و جامع الغرر (الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب) ، تحقيق : سعيد عبدالفتاح عاشور ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

٤٢ ـ كنز الدرر و جامع الغرر (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية) ، تحقيق : أولرخ هارمان ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

٤٣ ـ كنز الدرر و جامع الغرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) ، تحقيق : هانس روبرت رويمر ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)

٤٤ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٩ م .

٤٥ ـ سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من الباحثين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٤م .

إبن رسته : أبو علي أحمد بن عمر (ت بعد ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م)

٤٦ ـ الأعلاق النفيسة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت .

الزبيدي : محمد بن محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م)

٤٧ ـ ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب ، تحقيق : مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .

إبن سباهي زاده : محمد بن علي البرسوي (ت ٩٩٧ هـ / ١٥٨٩ م)

٤٨ ـ أوضح المسالك إلى معرفة البلدان و الممالك ، تحقيق : المهدي عيد الرواضية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٨ م .

سبط إبن الجوزي : شمس الدين أبو المظفر يوسف بن القزاوغلي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م)

٤٩ ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مطبعة دائرة العثمانية ، حيدر آباد ـ الدكن ، الهند ، ١٩٥١م.

السبكي : تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي (ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م)

٥٠ ـ طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود محمد الطناحي و عبدالفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

٥١ ـ معيد النعم و مبيد النقم ، تحقيق : محمد علي النجار و أبو زيد شلبي و محمد أبو العيون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣ .

السخاوي : شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م)

٥٢ . الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التأريخ ، تحقيق : فرانز روزنثال ، ت : صالح أحمد العلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)

٥٣ . حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م .

أبو شامة : شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م)

٥٤ . الروضتين في أخبار الدولتين (النورية و الصلاحية) ، تحقيق : إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٧ م .

إبن شاهنشاه الأيوبي : محمد بن تقي الدين عمر (ت ٦١٧ هـ / ١٢١٨ م)

٥٥ . مضمار الحقائق و سر الخلائق ، تحقيق : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م .

إبن شاهين : غرس الدين خليل الظاهري (ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م)

٥٦ . زبدة كشف الممالك وبيان الطرق و المسالك ، تحقيق : بولس راويس ، مطبعة الجمهورية ، باريس ، ١٨٩٤ م .

إبن شداد : القاضي بهاءالدين يوسف (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣١ م)

٥٧ . النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٤م.

إبن شداد : عزالدين محمد بن علي إبراهيم (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م)

٥٨ . الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة ، تحقيق : يحيى زكريا عبارة ، مطبعة وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ١٩٩١ م .

الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م)

٥٩ . الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٠ م .

الصوري : وليم (ت ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م)

٦٠ . تاريخ الحروب الصليبية ، ت : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠ هـ / ٩١٢ م)

٦١ . تاريخ الأمم و الملوك ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٨ م .

إبن الطقطقا : محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)

٦٢ . الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية (تاريخ الدول الإسلامية) ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .

إبن طولون : شمس الدين محمد (ت ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م)

٦٣ . نقد الطالب لزغل المناصب ، تحقيق : محمد أحمد دهمان و خالد محمد دهمان و نزار أباظة ، دارالفكرالمعاصر ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

إبن عبدالظاهر : محيى الدين أبوالفضل عبدالله (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٣ م)

٦٤ . الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد ، أوراق شرقية للطباعة ، بيروت ، ١٩٩٦ م .

إبن العبري : غريغوريوس أبو الفرج بن اهرون (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)

٦٥ . تاريخ الزمان ، ت : الأب إسحق أرملة ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩١ م .

٦٦ . تاريخ مختصر الدول ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠١ م .

إبن العديم : كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م)

٦٧ . زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق : سامي الدهان ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٩٥٤ م .

إبن العماد الحنبلي : شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٨٧م)

٦٨ . شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : محمود الأرناؤوط و عبدالقادر الأرناؤوط ، دار إبن كثير ، دمشق ـ بيروت ، ١٩٩١ م .

عمارة اليمني : نجم الدين أبو محمد (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م)

٦٩ ـ النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية ، مطبعة مرسو ـ شالوت ، ١٨٩٧ م .

العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)

٧٠ ـ التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة ، مصر ، ١٣١٢ هـ .

العيني : بدر الدين محمود (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)

٧١ ـ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : محمود رزق محمود ، دار الكتب و الوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م .

الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد (٥٠٥ هـ / ١١٠٩ م)

٧٢ ـ إحياء علوم الدين ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .

أبو الفداء : عمادالدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)

٧٣ ـ التبر المسبوك في تواريخ الملوك ، تحقيق : محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد ـ مصر ، ١٩٩٥ م .

٧٤ ـ تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠ م .

٧٥ ـ المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : محمد زينهم و يحيى سيد ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٩م

الفراهيدي : عبدالرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ / ٧٩٣ م)

٧٦ ـ كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، دار و مكتبة الهلال ، د .ت.

القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م)

٧٧ ـ آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)

٧٨ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩١٤ م .

٧٩ ـ مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق :عبدالستار أحمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٦م.

الكتبي : أبوعبدالله محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م)

٨٠ . عيون التواريخ ، تحقيق : فيصل السامر و نبيلة عبدالمنعم داود ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٤ م .

٨١ . فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .

إبن كثير : الحافظ عمادالدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م)

٨٢ . البداية و النهاية ، دار إبن كثير ، بيروت ، ١٩٩٠ م .

إبن كنان : محمد بن عيسى (ت ١١٥٣ هـ / ١٧٤٢ م)

٨٣ . حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء و السلاطين ، تحقيق : عباس صباغ ، دار النفائس، بيروت ، ١٩٩١ م .

المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)

٨٤ . أخبار الزمان ومن أباده الحدثان و عجائب البلدان و الغامر بالماء و العمران ، دار الأندلس، بيروت ، ١٩٩٦ م .

٨٥ . التنبيه و الأشراف ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٩٣ م .

المقدسي : أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٣٨٠ هـ / ٩٨٢ م)

٨٦ . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

المقريزي : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر العبيدي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

٨٧ . إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق : محمد حلمي محمد أحمد ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .

٨٨ . إغاثة الأمة بكشف الغمة ، مطبعة دار الكتب و الوثائق القومية ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٢ م .

٨٩ . السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م .

٩٠ . المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار (المعروف بالخطط المقريزية) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨ م .

إبن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)

٩١ . لسان العرب ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .

النعيمي : عبدالقادر بن محمد (ت ٩٧٨ هـ / ١٥٧٨ م)

٩٢ . الدارس في تاريخ المدارس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ م .

النويري : شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م)

٩٣ . نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : نجيب مصطفى و حكمت كشلي ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤م .

الهمداني : رشيد الدين فضل الله بن عمادالدولة بن موفق الدولة (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م)

٩٤ . جامع التواريخ ، ت : فؤاد عبدالمعطي الصياد ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

إبن واصل : جمال الدين أبو عبدالله محمد بن سالم بن نصرالله (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م)

٩٥ . مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، دار الفكر العربي، القاهرة ، د .ت .

إبن الوردي : أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م)

٩٦ . تاريخ إبن الوردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦ م .

٩٧ . خريدة العجائب و فريدة الغرائب ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ .

إبن أبو الوفاء الحنفي : محيى الدين أبي محمد عبدالقادر بن محمد (ت ٧٧٥ هـ / ١٣٧٥ م)

٩٨ . الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق : عبدالفتاح محمد الحلو، دارهجر للطباعة ، ١٩٩٣م.

اليافعي : أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٧٠ م)

٩٩ . مرآة الجنان و عبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م .

ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)

١٠٠ . معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثامنة ،٢٠١٠ م .

اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م)

١٠١ . تاريخ اليعقوبي ، تعليق : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢ م .

١٠٢ . كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨ م .

اليوسفي : موسى بن محمد بن يحيى (٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م)

١٠٣ . نزهة النظار في سيرة الملك الناصر ، تحقيق : أحمد حطيط ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٦م .

اليونيني : قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م)

١٠٤ . ذيل مرآة الزمان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن . الهند ، ١٩٦٠م.

ثانياً / المراجع العربية :

أ . ب . هه ورى :

١ . صلاح الدين الأيوبي أسد القارتين ، مطبعة سلمان الأعظمي ، بغداد ، ١٩٦٧ م .

أحمد الأوتاني :

٢ . دمشق في العصر الأيوبي ، دار التكوين ، دمشق ، ٢٠٠٧ م .

أحمد خالد جيده :

٣ . المدارس و نظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ٢٠٠١ م .

أحمد مختار العبادي :

٤ . قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

بسام العسلي :

٥ . صلاح الدين الأيوبي ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

تامارا تابوت رايس :

٦ . السلاجقة تاريخهم و حضارتهم ، ت : لطفي الخوري و إبراهيم الداقوقي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٨ م .

ج . أ . درايفر :

٧ . الكرد في المصادر القديمة ، ت : فؤاد حمه خورشيد ، مطبعة الديواني ، بغداد ، ١٩٨٦ م .

حسن عيسى علي الحكيم :

٨ . كتاب المنتظم لإبن الجوزي (دراسة في منهجه و موارده و أهميته) ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٥م.

حسين عاصي :

٩ . المؤرخ أبو شامة و كتابه الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠م.

حسين مؤنس :

١٠ . التأريخ و المؤرخون ، دار الرشاد ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .

دريد عبدالقادر نوري :

١١ . سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر و الشام و الجزيرة ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٦ م .

سعيد عبدالفتاح عاشور :

١٢ ـ العصر المماليكي في مصر و الشام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٦م .

١٣ . المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٢ م .

سمير فراج :

١٤ . الدولة الأيوبية ، مكتبة فكري ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م .

سيد عبدالماجد الغوري :

١٥ . المدخل إلى دراسة علم الجرح و التعديل ، دار إبن كثير ، دمشق . بيروت ، ٢٠٠٧ م .

سيد علي الحريري :

١٦ . الأخبار السنية في الحروب الصليبية ، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٥م .

سيدة إسماعيل كاشف :

١٧ ـ صلاح الدين الأيوبي ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

شاكر مصطفى :

١٨ ـ التاريخ العربي و المؤرخون ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٠ م .

١٩ ـ صلاح الدين الفارس المجاهد و الملك الزاهد المفتري عليه ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٨ م .

طارق محمود أبو هدهود :

٢٠ ـ إبن الأثير و دوره في الكتابة التاريخية ، دار فضاءات للنشر ، عمان ـ الأردن ، ٢٠٠٩ م .

عادل عبدالحافظ حمزة :

٢١ ـ نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧ م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ٢٠٠٠ م .

عبد الله ناصح علوان :

٢٢ ـ صلاح الدين الأيوبي بطل حطين و محرر القدس من الصليبيين ، دارالسلام ، القاهرة ، الطبعة الثانية عشرة ، ٢٠٠٢ م .

عثمان موافى :

٢٣ ـ منهج النقد التاريخي الإسلامي و المنهج الأوربي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ـ مصر ، ١٩٩٤م .

عزت سليمان حسين :

٢٤ ـ الكرد في جيش الدولة المملوكية البحرية ، مطبعة الحاج هاشم ، أربيل ، ٢٠١١ م .

علي بيومي :

٢٥ ـ قيام الدولة الأيوبية في مصر ، دار الفكر الحديث ، القاهرة ، ١٩٥٢ م .

علي جمعة محمد :

٢٦ ـ المكاييل و الموازين الشرعية ، دار القدس للإعلان و النشر ، القاهرة ، ٢٠٠١ م .

علي محمد الصلابي :

٢٧ ـ صلاح الدين الأيوبي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٨ م .

عمادالدين خليل :

٢٨ . في التاريخ الإسلامي مواقف و دراسات ، مطبعة الزهراء الحديثة ، الموصل ، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م .

٢٩ . عمادالدين زنكي ، مطبعة الزهراء الحديثة ، الموصل ، ١٩٨٥ م .

فرست مرعي :

٣٠ . الكرد و كردستان جدلية الأسطورة و التاريخ و الدين ، مؤسسة بانكي حق ، السليمانية ، ٢٠٠٦م .

فؤاد عبدالمعطي الصياد :

٣١ . المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية ، بيروت ،١٩٨٠ م .

قاسم عبده قاسم :

٣٢ . ماهية الحروب الصليبية ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٠ م .

قدري قلعجي :

٣٣ . صلاح الدين الأيوبي ، دار الكاتب العربي ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٩ م .

كرڤان آميدي :

٣٤ . الكرد في كتابات المؤرخ إبن الأثير الجزري ، مطبعة الحاج هاشم ، أربيل ، ٢٠٠٦ م .

محسن محمد حسين :

٣٥ . الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ، مطبعة وزارة التربية ، أربيل ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٣م .

محمدامين زكي بك :

٣٦ . خلاصة تاريخ الكرد و كردستان ، ت : محمد علي عوني ، مطبعة دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٥ م .

٣٧ . مشاهير الكرد و كردستان في العهد الإسلامي ، ت : الآنسة الكريمة ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٤٧م .

محمد جمال الدين سرور :

٣٨ . دولة بني قلاوون في مصر ، دار الفكر العربي ، د . ت .

محمد الحافظ النقر :

٣٩ . تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، دار البداية ، عمان . الأردن ، ٢٠٠٦ م .

٤٠ ـ تاريخ بيت المقدس من الفتح العمري حتى نهاية العهد الأيوبي ، دار الرازي للطباعة ، عمان ـ الأردن ، ٢٠٠٣ م .

محمد حمزة إسماعيل الحداد :

٤١ . السلطان المنصور قلاوون ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٨ م .

محمد سهيل طقوش :

٤٢ . تاريخ الأيوبيين في مصر و بلاد الشام و إقليم الجزيرة ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٨ م .

٤٣ . تاريخ الحروب الصليبية (٤٨٩ – ٦٩٠ هـ / ١٠٩٦ – ١٢٩١ م) ، دار النفائس ،بيروت ، ٢٠١١م.

٤٤ . تاريخ الزنكيين في الموصل و بلاد الشام ، بيروت ، ١٩٩٩ م .

٤٥ . تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩ م .

محمود الدرة :

٤٦ . القضية الكردية ، منشورات دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٦ م .

محمود سعيد عمران :

٤٧ . تاريخ الحروب الصليبية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ٢٠٠٠ م .

محمود علي خليل عطاالله :

٤٨ . نيابة غزة في العهد المملوكي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

محمود محمد الحويري :

٤٩ . بناء الجبهة الإسلامية المتحدة و أثرها في التصدي للصليبيين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٢ م.

محمود ياسين التكريتي :

٥٠ . الأيوبيون في شمال الشام و الجزيرة ، دار الرشيد للطباعة ، بغداد ، ١٩٨١ م .

منصور عبدالحكيم :

٥١ . صلاح الدين المنقذ المنتظر ، دار الكتاب العربي ، دمشق . القاهرة ، ٢٠٠٨ م .

هاملتون . آ . ر . جب :

٥٢ . صلاح الدين الأيوبي ، ت : يوسف ايبش ، دار بيسان للنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦م .

هيثم جمعة هلال :

٥٣ . الناصر صلاح الدين الأيوبي ، دار النهج ، حلب . سوريا ، ٢٠٠٧ م .

ثالثاً / المعاجم و القواميس و الموسوعات :

حسان حلاق و عباس صباغ :

١ . المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية و المملوكية و العثمانية ذات الأصول العربية و الفارسية و التركية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٩ م .

خيرالدين الزركلي :

٢ . الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة عشرة ، ٢٠٠٢ م .

زامباور :

٣ . معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ت : زكي محمد حسن و حسن أحمد محمود ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

سوبرنهيم (M. Sobrenheim) :

٤ . دائرة المعارف الإسلامية ، ت : أحمد الشنتناوي و إبراهيم زكي خورشيد و عبدالحميد يونس ، القاهرة ، د . ت .

قتيبة الشهابي :

٥ ـ معجم القاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية ، مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٥ م .

كليفورد . أ . بوزورث :

٦ ـ الأسرات الحاكمة في التأريخ الإسلامي ، ت : سليمان إبراهيم العسكري ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٥ م .

محمد أحمد دهمان :

٧ ـ معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٠ م .

رابعاً / الأطاريح و الرسائل الجامعية :

أحمد محمد عبدالكريم :

١ ـ الكرد في عهد الأتابكية الزنكية (٥٢١ – ٥٨٩ هـ / ١١٢٧ – ١١٩٣ م) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ، أربيل ، ٢٠١٠ م .

جنان جليل محمد الهموندي :

٢ ـ مرآة الزمان في تأريخ الأعيان (٣٤٥ – ٤٤٧ هـ) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٨٧ م .

حكيم أحمد مام بكر :

٣ ـ عمادالدين الكاتب الأصفهاني ومنهجه التأريخي من خلال كتابه البرق الشامي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ، أربيل ، ١٩٩٦ م .

٤ ـ الكرد و بلادهم عند البلدانيين و الرحالة المسلمين (٢٣٢ ـ ٦٢٦ هـ / ٨٤٦ ـ ١٢٢٩ م) ، أطروحة الدكتوراه ، قسم التاريخ ـ كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ـ أربيل ، ٢٠٠٢ م .

خانزاد صباح محيى الدين :

٥ ـ علاقة الدولة الفاطمية بالكرد ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ـ كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ـ أربيل ، ٢٠٠٩ م .

خضر إلياس جلو :

٦ . إبن واصل مؤرخاً للحروب الصليبية ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ . كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٩ م .

زاهدة محمد طه محيى الدين المزوري :

٧ . الصراع على السلطة في العصر المملوكي الأول في مصر و بلاد الشام (٦٤٨ – ٧٨٤ هـ / ١٢٥٠ – ١٣٨٢ م) ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ . كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠١ م .

سجى مشعل رشيد الطائي :

٨ . النساء الأيوبيات و دورهن الحضاري في بلاد الشام في العصر الأيوبي ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ . كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٩ م .

سلطان جبر سلطان :

٩ . الدور السياسي للعلماء المسلمين ابان الحروب الصليبية ، أطروحة الدكتوراه ، قسم التاريخ . كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٩ م .

شوكت عارف محمد الأتروشي :

١٠ . الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي (٥٦٧ – ٦٤٨ هـ / ١١٧١ – ١٢٥٠ م) ، أطروحة الدكتوراه ، قسم التاريخ . كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين . أربيل ، ٢٠٠٤ م .

العزاوي :

١١ . الطبري و منهجه في التأريخ ، أطروحة الدكتوراه ، قسم التاريخ . كلية الآداب ، جامعة بغداد، ١٩٨٦ م .

ناصر عبدالرزاق عبدالرحمن ملاجاسم :

١٢ . صلاح الدين الأيوبي في الدراسات الإستشراقية الإنكليزية و الأمريكية ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ . كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٢ م .

نبز مجيد أمين :

١٣ . المشطوب الهكاري دراسة عن دور الهكاريين في الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ . كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين . أربيل ، ١٩٩١ م .

نشوان محمد عبدالله الزبيدي :

١٤ . الأوضـاع الحـضارية في مـصر في عـصر المماليـك البحريـة (٦٤٨ – ٧٨٤ هـ / ١٢٥٠ – ١٣٨٢م) ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ . كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠١٠ م .

هادي حسين حمود :

١٥ . منهج المسعودي في بحث العقائد و الفرق الدينية ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ . كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥ م .

الملاحق

ملحق رقم (١)

سلاطين المماليك

أ ـ دولة المماليك البحرية

٦٤٨ ـ ٧٨٤هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٣٨٢م

السلطان	التاريخ
شجرة الدُّر	٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م
المعز عز الدين أيبك	٦٤٨ ـ ٦٥٥هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٢٥٧م
المنصور نور الدين علي	٦٥٥ ـ ٦٥٧هـ/ ١٢٥٧ ـ ١٢٥٩م
المظفر سيف الدين قطز	٦٥٧ ـ ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩ ـ ١٢٦٠م
ركن الدين بيبرس البندقداري	٦٥٨ ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧م
السعيد ناصر الدين محمد بركة خان	٦٧٦ ـ ٦٧٨هـ/ ١٢٧٧ ـ ١٢٧٩م
العادل بدر الدين سلامش	٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م
المنصور سيف الدين قلاوون	٦٧٨ ـ ٦٨٩هـ/ ١٢٧٩ ـ ١٢٩٠م
الأشرف صلاح الدين خليل	٦٨٩ ـ ٦٩٣هـ/ ١٢٩٠ ـ ١٢٩٣م
الناصر ناصر الدين محمد: المرة الأولى	٦٩٣ ـ ٦٩٤هـ/ ١٢٩٣ ـ ١٢٩٤م
العادل زين الدين كتبغا	٦٩٤ ـ ٦٩٦هـ/ ١٢٩٤ ـ ١٢٩٦م
المنصور حسام الدين لاجين	٦٩٦ ـ ٦٩٨هـ/ ١٢٩٦ ـ ١٢٩٩م
الناصر ناصر الدين محمد: المرة الثانية	٦٩٨ ـ ٧٠٨هـ/ ١٢٩٩ ـ ١٣٠٩م
المظفر بيبرس الجاشنكير	٧٠٨ ـ ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩ ـ ١٣١٠م
الناصر ناصر الدين محمد: المرة الثالثة	٧٠٩ ـ ٧٤١هـ/ ١٣١٠ ـ ١٣٤٠م
المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد	٧٤١ ـ ٧٤٢هـ/ ١٣٤٠ ـ ١٣٤١م
الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد	٧٤٢هـ/ ١٣٤١م
الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد	٧٤٢ ـ ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م
الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد	٧٤٣ ـ ٧٤٦هـ/ ١٣٤٢ ـ ١٣٤٥م
الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد	٧٤٦ ـ ٧٤٧هـ/ ١٣٤٥ ـ ١٣٤٦م
المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد	٧٤٧ ـ ٧٤٨هـ/ ١٣٤٦ ـ ١٣٤٨م
الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر محمد:	
المرة الأولى	٧٤٨ ـ ٧٥٢هـ/ ١٣٤٨ ـ ١٣٥١م
الصالح صلاح الدين بن محمد بن الناصر محمد	٧٥٢ ـ ٧٥٥هـ/ ١٣٥١ ـ ١٣٥٤م
الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر محمد:	
المرة الثانية	٧٥٥ ـ ٧٦٢هـ/ ١٣٥٤ ـ ١٣٦١م
المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي	٧٦٢ ـ ٧٦٤هـ/ ١٣٦١ ـ ١٣٦٣م

الأشرف أبو المعالي زين الدين شعبان بن حسين	٧٦٤ ـ ٧٧٨هـ/ ١٣٦٣ ـ ١٣٧٧م
المنصور علاء الدين علي بن شعبان بن حسين	٧٧٨ ـ ٧٨٣هـ/ ١٣٧٧ ـ ١٣٨١م
الصالح صلاح الدين حاجي بن شعبان بن حسين	٧٨٣ ـ ٧٨٤هـ/ ١٣٨١ ـ ١٣٨٢م

ب ـ دولة المماليك البرجية
٧٨٤ ـ ٩٢٣هـ/١٣٨٢ ـ ١٥١٧م

الظاهر سيف الدين برقوق: المرة الأولى	٧٨٤ ـ ٧٩٠هـ/ ١٣٨٢ ـ ١٣٨٨م
الصالح حاجي بن شعبان	٧٩٠ ـ ٧٩٢هـ/ ١٣٨٨ ـ ١٣٩٠م
الظاهر سيف الدين برقوق: المرة الثانية	٧٩٢ ـ ٨٠١هـ/ ١٣٩٠ ـ ١٣٩٩م
الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق	٨٠١ ـ ٨١٥هـ/ ١٣٩٩ ـ ١٤١٢م
الخليفة العباسي المستعين	٨١٥هـ/ ١٤١٢م
المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي	٨١٥ ـ ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ ـ ١٤٢١م
المظفر أحمد بن شيخ	٨٢٤هـ/ ١٤٢١م
الظاهر سيف الدين ططر	٨٢٤هـ/ ١٤٢١م
محمد بن ططر	٨٢٤ ـ ٨٢٥هـ/ ١٤٢١ ـ ١٤٢٢م
الأشرف برسباي	٨٢٥ ـ ٨٤١هـ/ ١٤٢٢ ـ ١٤٣٨م
أبو المحاسن يوسف بن برسباي	٨٤١ ـ ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م
الظاهر جقمق	٨٤٢ ـ ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ ـ ١٤٥٣م
المنصور عثمان بن جقمق	٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م
الأشرف إينال	٨٥٧ ـ ٨٦٥هـ/ ١٤٥٣ ـ ١٤٦١م
المؤيد أحمد بن إينال	٨٦٥هـ/ ١٤٦١م
الظاهر خشقدم	٨٦٥ ـ ٨٧٢هـ/ ١٤٦١ ـ ١٤٦٧م
الظاهر يلباي المؤيدي	٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م
الظاهر تمربغا	٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م
الأشرف قايتباي	٨٧٢ ـ ٩٠١هـ/ ١٤٦٨ ـ ١٤٩٦م
محمد بن قايتباي: المرة الأولى	٩٠١ ـ ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦ ـ ١٤٩٧م
الأشرف قانصوه خمسمائة	٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م
محمد بن قايتباي: المرة الثانية	٩٠٢ ـ ٩٠٤هـ/ ١٤٩٧ ـ ١٤٩٨م
الظاهر قانصوه الأشرفي	٩٠٤ ـ ٩٠٥هـ/ ١٤٩٨ ـ ١٥٠٠م
الأشرف جانبلاط	٩٠٥ ـ ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠ ـ ١٥٠١م
العادل طومان باي الأول	٩٠٦هـ/ ١٥٠١م
الأشرف قانصوه الغوري	٩٠٦ ـ ٩٢٢هـ/ ١٥٠١ ـ ١٥١٦م
الأشرف طومان باي الثاني	٩٢٢ ـ ٩٢٣هـ/ ١٥١٦ ـ ١٥١٧م

سلاطين دولة بني قلاوون

المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ)، (١٢٧٩-١٢٩٠م)

الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ)، (١٢٩٠-١٢٩٣م)

الناصر محمد بن قلاوون (١) (٦٩٣-٦٩٤هـ)، (١٢٩٣-١٢٩٤م)

العادل زين الدين كتبغا (٦٩٤-٦٩٦هـ)، (١٢٩٤-١٢٩٦م)

المنصور حسام الدين لاجين (٦٩٦-٦٩٨هـ)، (١٢٩٦-١٢٩٨م)

الناصر محمد بن قلاوون (٢) (٦٩٨-٧٠٨هـ)، (١٢٩٨-١٣٠٨م)

المظفر بيبرس الجاشنكير (٧٠٨-٧٠٩هـ)، (١٣٠٨-١٣٠٩م)

الناصر محمد بن قلاوون (٣) (٧٠٩-٧٤١هـ)، (١٣٠٩-١٣٤١م)

المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد (٧٤١-٧٤٢هـ)، (١٣٤١ م)

الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد (٧٤٢-٧٤٣هـ)، (١٣٤١-١٣٤٢م)

الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد (٣٤٣ هـ)، (١٣٤٢ م)

الصالح عماد الدين اسماعيل بن الناصر محمد (٧٤٣-٧٤٦هـ)، (١٣٤٢-١٣٤٥م)

الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد (٧٤٦-٧٤٧هـ)، (١٣٤٥-١٣٤٦م)

المنصور سيف الدين حاجي بن الناصر محمد (٧٤٧-٧٤٨هـ)، (١٣٤٦-١٣٤٧م)

الناصر حسن بن الناصر محمد (١) (٧٤٨-٧٥٢هـ)، (١٣٤٧-١٣٥١م)

الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد (٧٥٢-٧٥٥هـ)، (١٣٥١-١٣٥٤م)

الناصر حسن بن الناصر محمد (٢) (٧٥٥-٧٦٢هـ)، (١٣٥٤-١٣٦١م)

المنصور محمد بن المظفر حاجي (٧٦٢-٧٦٤هـ)، (١٣٦١-١٣٦٣م)

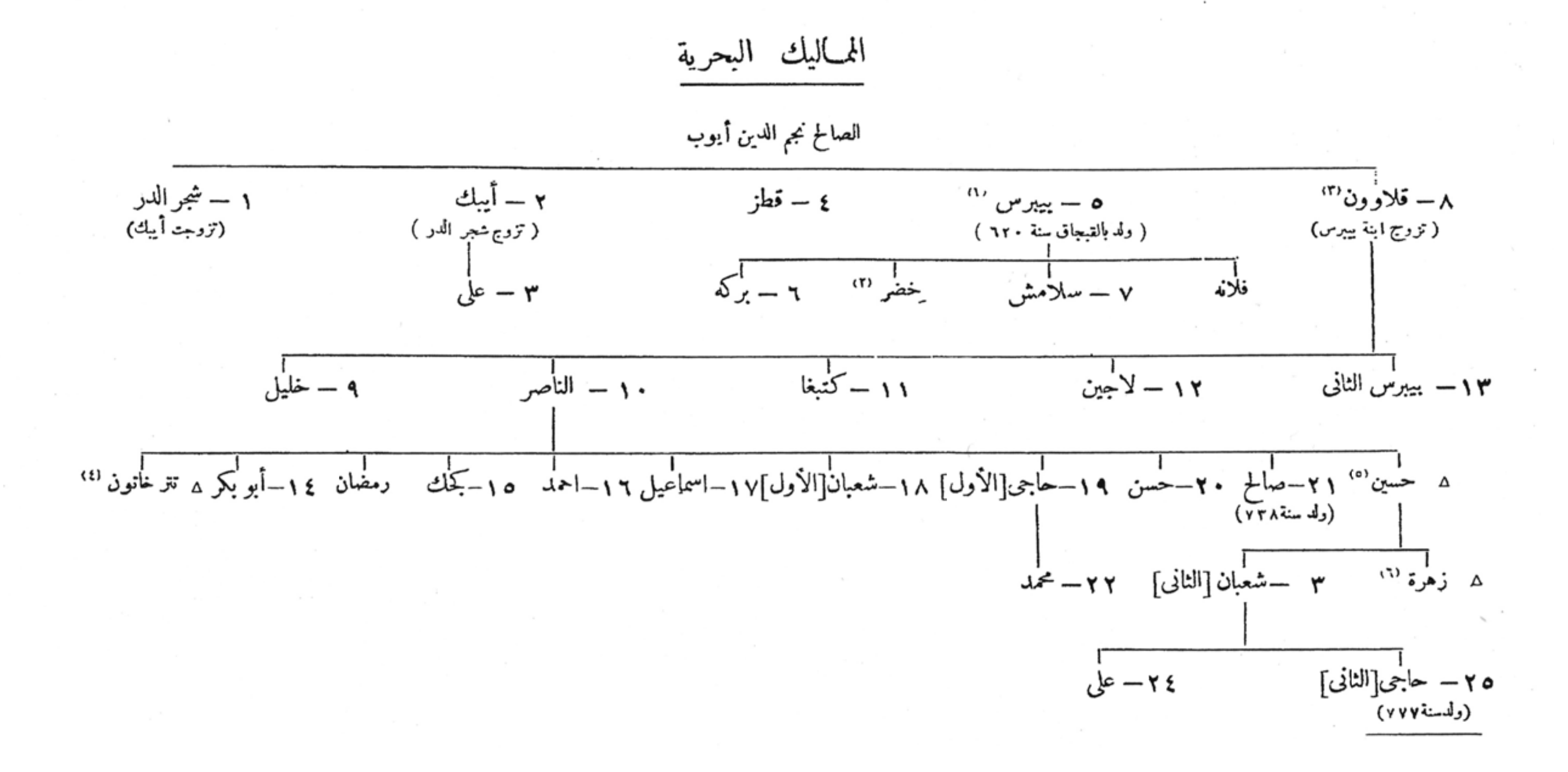
الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد (٧٦٤-٧٧٨هـ)، (١٣٦٣-١٣٧٦م)

المنصور علي بن الأشرف شعبان (٧٧٨-٧٨٣هـ)، (١٣٧٦-١٣٨١م)

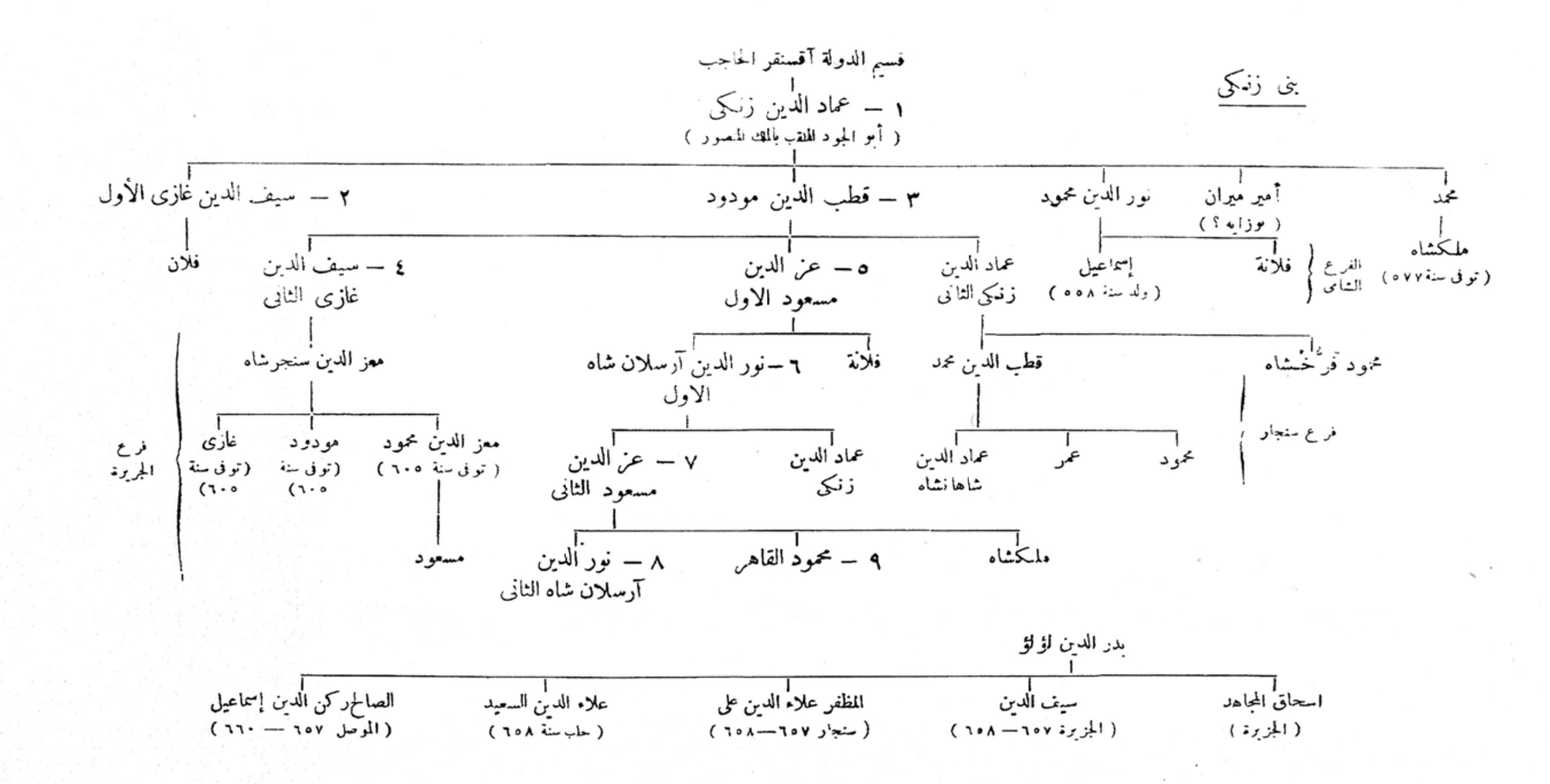
الصالح أمير حاج بن الأشرف شعبان (١) (٧٨٣-٧٨٤هـ)، (١٣٨١-١٣٨٢م)

(الملك الظاهر سيف الدين برقوق) (٧٨٤-٧٩١هـ)، (١٣٨٢-١٣٨٩م)

المنصور أمير حاج بن الأشرف شعبان (٢) (٧٩١-٧٩٢هـ)، (١٣٨٩-١٣٩ م)



المماليك البحرية
الصالح نجم الدين أيوب
١ – شجر الدر
(تزوجت أيبك)
٢ – أيبك
(تزوج شجر الدر)
٣ – على
٤ – قطز
٥ – بيبرس [١]
(ولد بالقبجاق سنة ٦٢٠)
٦ – بركه
خضر [٢]
٧ – سلامش
فلانه
٨ – قلاوون [٣]
(تزوج ابنة بيبرس)
٩ – خليل
١٠ – الناصر
١١ – كتبغا
١٢ – لاجين
١٣ – بيبرس الثانى
تتر خاتون [٤]
١٤ – أبو بكر
رمضان
١٥ – كجك
١٦ – احمد
١٧ – اسماعيل
١٨ – شعبان [الأول]
١٩ – حاجى [الأول]
٢٠ – حسن
٢١ – صالح
(ولد سنة ٧٣٨)
حسين [٥]
٢٢ – محمد
٢٣ – شعبان [الثانى]
زهرة [٦]
٢٤ – على
٢٥ – حاجى [الثانى]
(ولد سنة ٧٧٧)


بنى زنكى
قسيم الدولة آقسنقر الحاجب
١ — عماد الدين زنكى
(أبو الجود الملقب بالملك المنصور)
٢ — سيف الدين غازى الأول
٣ — قطب الدين مودود
نور الدين محمود
أمير ميران
(بوزابه ؟)
محمد
فلان
٤ — سيف الدين
غازى الثانى
٥ — عز الدين
مسعود الاول
عماد الدين
زنكى الثانى
إسماعيل
(ولد سنة ٥٥٨)
فلانة
الفرع الشامى
ملكشاه
(توفى سنة ٥٧٧)
معز الدين سنجرشاه
٦ — نور الدين آرسلان شاه
الاول
فلانة
قطب الدين محمد
محمود قرخشاه
فرع الجزيرة
غازى
(توفى سنة ٦٠٥)
مودود
(توفى سنة ٦٠٥)
معز الدين محمود
(توفى سنة ٦٠٥)
٧ — عز الدين
مسعود الثانى
عماد الدين
زنكى
عماد الدين
شاهانشاه
عمر
محمود
فرع سنجار
مسعود
٨ — نور الدين
آرسلان شاه الثانى
٩ — محمود القاهر
ملكشاه
بدر الدين لؤلؤ
الصالح ركن الدين إسماعيل
(الموصل ٦٥٧ — ٦٦٠)
علاء الدين السعيد
(حلب سنة ٦٥٨)
المظفر علاء الدين على
(سنجار ٦٥٧ — ٦٥٨)
سيف الدين
(الجزيرة ٦٥٧ — ٦٥٨)
اسحاق المجاهد
(الجزيرة)

(١)

الأيوبيون

(ابناء صلاح الدين الثمانية عشر)

مروان

شادى [١٠]

نجم الدين أبو الشكر أيوب
(توفى فى ١٨ ذى الحجة سنة ٥٦٨)[١]

سيف الدين
(انظر ص ١٥٨)

الناصر (الأول) صلاح الدين يوسف
(ولد بتكريت سنة ٥٣٢ ؟) [٢]

١ — الأفضل على نور الدين
(ولد بمصر سنة ٥٦٥ ، وتوفى سنة ٦٢٢) [٣]
دمشق ٥٨٢—٥٩٢

الصالح اسماعيل

٢ — العزيز (الأول) أبو الفتح عثمان عماد الدين [٤]
(ولد بمصر فى ٨ جمادى الأولى سنة ٥٦٧)
مصر ٥٨٩—٥٩٥

المنصور محمد ناصر الدين
مصر ٥٩٥—٥٩٦

٣ — الظاهر أبو العباس احمد مظفر الدين
(ولد بمصر فى ٥ شعبان سنة ٥٦٨ ، وتوفى بحران فى جمادى الاولى سنة ٦٢٧)

٤ — الظاهر أبو منصور غازى (الاول) غياث الدين
(ولد بمصر فى ١٥ رمضان سنة ٥٦٨ [٥] ، وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ٦١٣)
حلب ٥٨٢—٦١٣

ضيفة خاتون

الصالح أحمد صلاح الدين [٩]
صاحب عينتاب
(ولد سنة ٥٩٩ وتوفى فى شعبان سنة ٦٥٠)

العزيز محمد غياث الدين [٦]
حلب ٦١٣—٦٣٤

الناصر يوسف [الثانى] صلاح الدين
(ولد فى ١٩ رمضان سنة ٦٢٧ وتوفى فى جمادى الأولى سنة ٦٥٩)
حلب ٦٣٤ — ٦٣٨
دمشق ٦٤٨ — ٦٥٨

الظاهر غازى
(توفى سنة ٦٥٩)

غازية خاتون [٧]

عائشة خاتون
(تزوجت المنصور الثانى صاحب حماه)

٥ — العزيز أبو يعقوب اسحق فتح الدين
(ولد بدمشق فى مستهل ربيع الأول سنة ٥٧٠)

٦ — الوليد أبو الفتح مسعود نجم الدين
(ولد بدمشق سنة ٥٧١ وتوفى سنة ٦٠٦)

٧ — الأعز أبو يوسف يعقوب شرف الدين
(ولد بمصر سنة ٥٧٢)

٨ — الزاهر أبو سليمان داود محيى الدين
(ولد بمصر فى ٢٢ ذى الحجة سنة ٥٧٣ [٨] ، وتوفى فى ٩ صفر سنة ٦٣٢)

٩ — الفضل أبو المظفر موسى قطب الدين
(ولد بمصر سنة ٥٧٣)

١٠ — الأشرف أبو عبد الله محمد عزيز الدين
(ولد بدمشق سنة ٥٧٥)

١١ — محسن أبو العباس أحمد ظهير الدين
(ولد بمصر سنة ٥٧٧)

١٢ — المعظم أبو منصور توران شاه (الثانى) فخر الدين
(صاحب روحين) ، (ولد بمصر فى ربيع الأول سنة ٥٧٧
وتوفى سنة ٦٥٨)

١٣ — الجواد أبو سعيد أيوب ركن الدين
(ولد سنة ٥٧٨)

١٤ — غالب أبو الفتح ملك شاه ناصر الدين
(ولد فى رجب سنة ٥٧٨)

١٥ — المنصور أبو بكر عز الدين
(ولد بحران بعد وفاة أبيه)

١٦ — شاذى ، إمام الدين ، (أمه أم ولد)

١٧ — مروان نصرة الدين ، (أمه أم ولد)

١٨ — الخضر مظفر الدين المشمر ، (صاحب بصرى)
(ولد سنة ٥٦٨ وتوفى سنة ٦٢٧)

١٩ — مؤنسة خاتون ، (تزوجت الكامل محمد بن العادل)

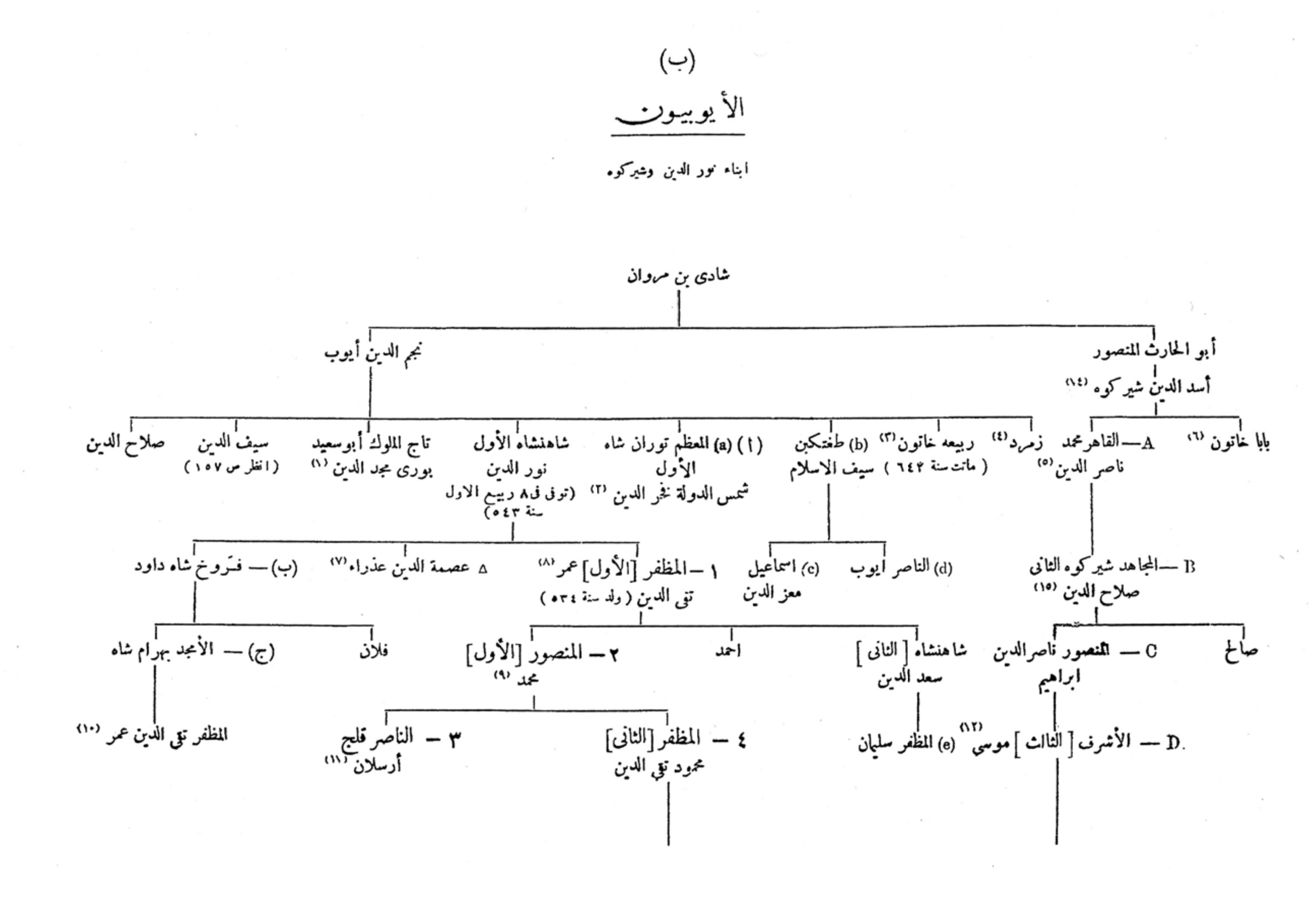
٢٠ — فلانة ، (تزوجت حسام الدين لاجين عمر)

العزيز محمد

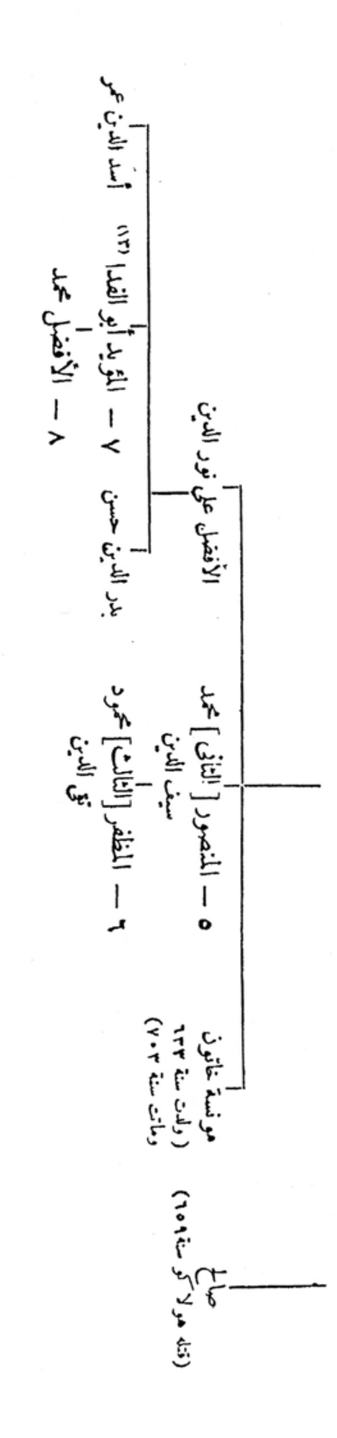
المعظم توران شاه الثالث
(توفى سنة ٦٥٨)

نصرة الدين

زهير
أسد الدين
(توفى بحلب سنة ٦٥٨)

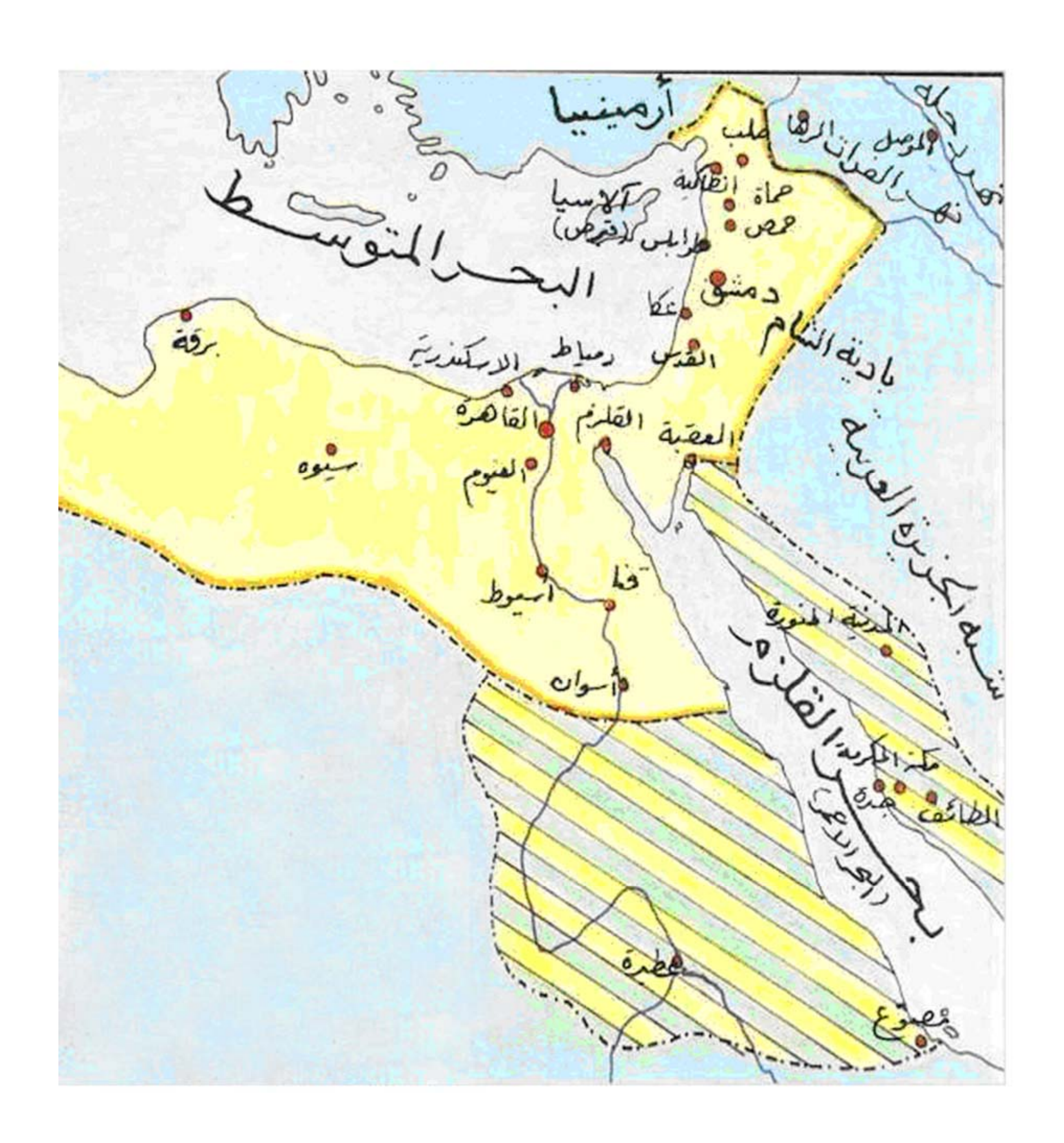


(ب)
الأيوبيون
ابناء نور الدين وشيركوه
شادي بن مروان
نجم الدين أيوب
أبو الحارث المنصور
أسد الدين شيركوه (١٤)
صلاح الدين
سيف الدين (انظر ص ١٥٧)
تاج الملوك أبوسعيد بورى مجد الدين (١)
شاهنشاه الأول نور الدين (توفى فى ٨ ربيع الاول سنة ٥٤٣)
(١) (a) المعظم توران شاه الأول شمس الدولة فخر الدين (٢)
(b) طغتكين سيف الاسلام
ربيعه خاتون (٣) (ماتت سنة ٦٤٢)
زمرد (٤)
A — القاهر محمد ناصر الدين (٥)
بابا خاتون (٦)
(ب) — فروخ شاه داود
٥ عصمة الدين عذراء (٧)
١ — المظفر [الأول] عمر (٨) تقى الدين (ولد سنة ٥٣٤)
(c) اسماعيل معز الدين
(d) الناصر أيوب
B — المجاهد شيركوه الثانى صلاح الدين (١٥)
(ج) — الأمجد بهرام شاه
فلان
٢ — المنصور [الأول] محمد (٩)
احمد
شاهنشاه [الثانى] سعد الدين
C — المنصور ناصر الدين ابراهيم
صالح
المظفر تقى الدين عمر (١٠)
٣ — الناصر قلج أرسلان (١١)
٤ — المظفر [الثانى] محمود تقى الدين
(e) المظفر سليمان
D. — الأشرف [الثالث] موسى (١٢)



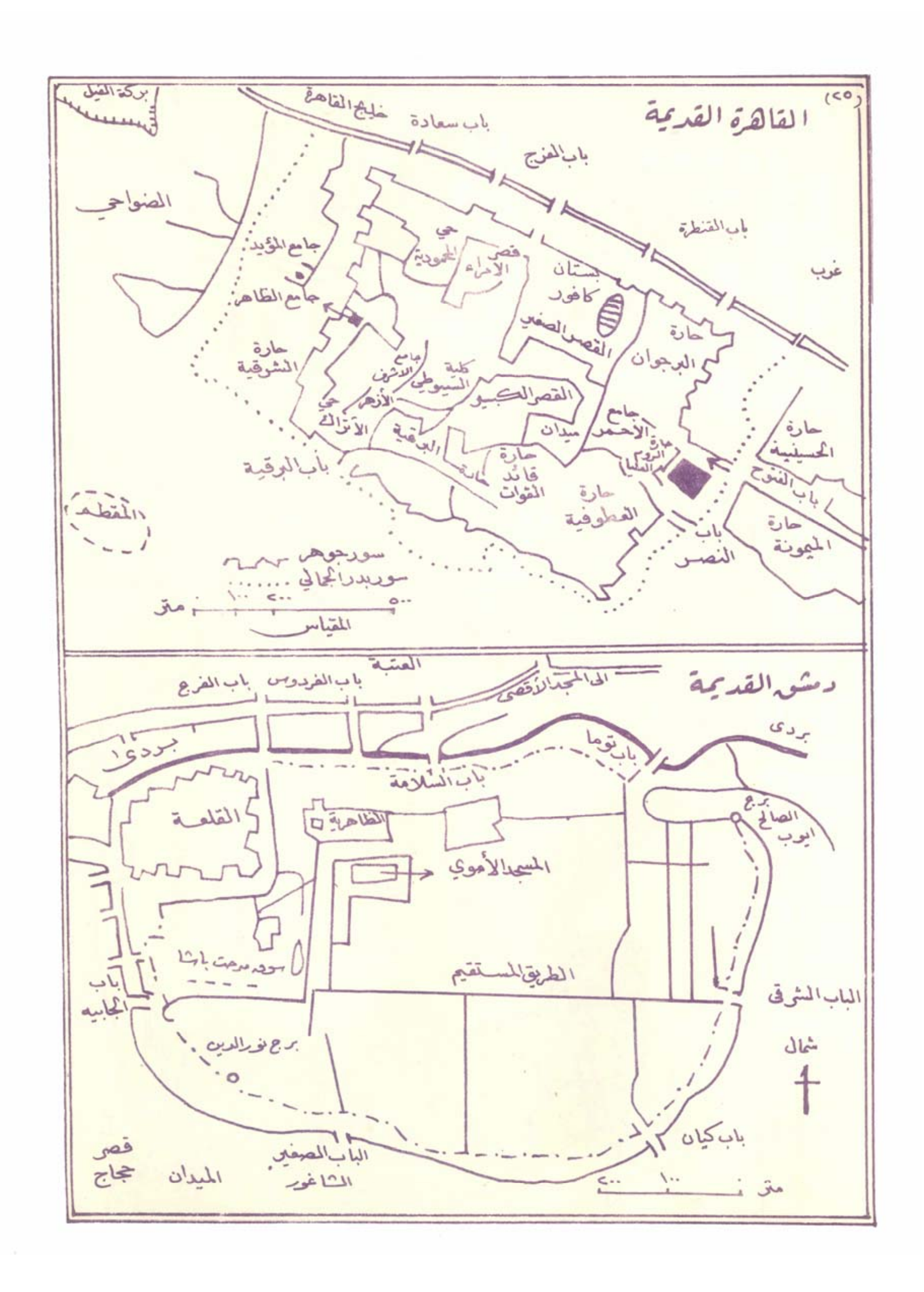
صالح
(له مولاي كر سنة ٦٥٩)
مؤنسة خاتون
(ولدت سنة ٦٣٣
وماتت سنة ٧٠٣)
٥ — المنصور [الثاني] محمد
سيف الدين
٦ — المظفر [الثالث] محمود
تقي الدين
الأفضل علي نور الدين
بدر الدين حسن
٧ — المؤيد أبو الفدا (١٣)
٨ — الأفضل محمد
أسد الدين عمر

الخرائط



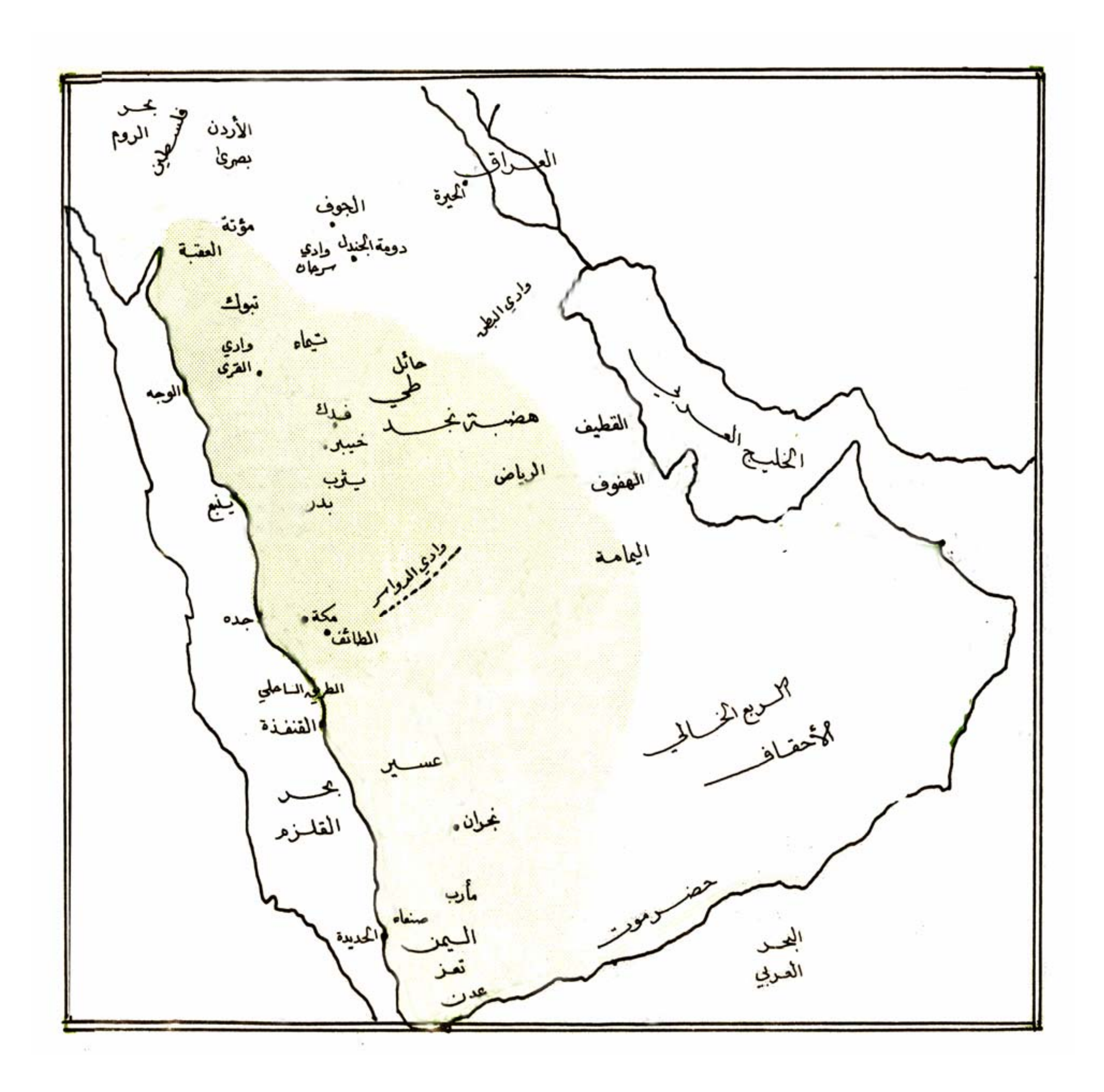
دولة المماليك

خارطة رقم (١)



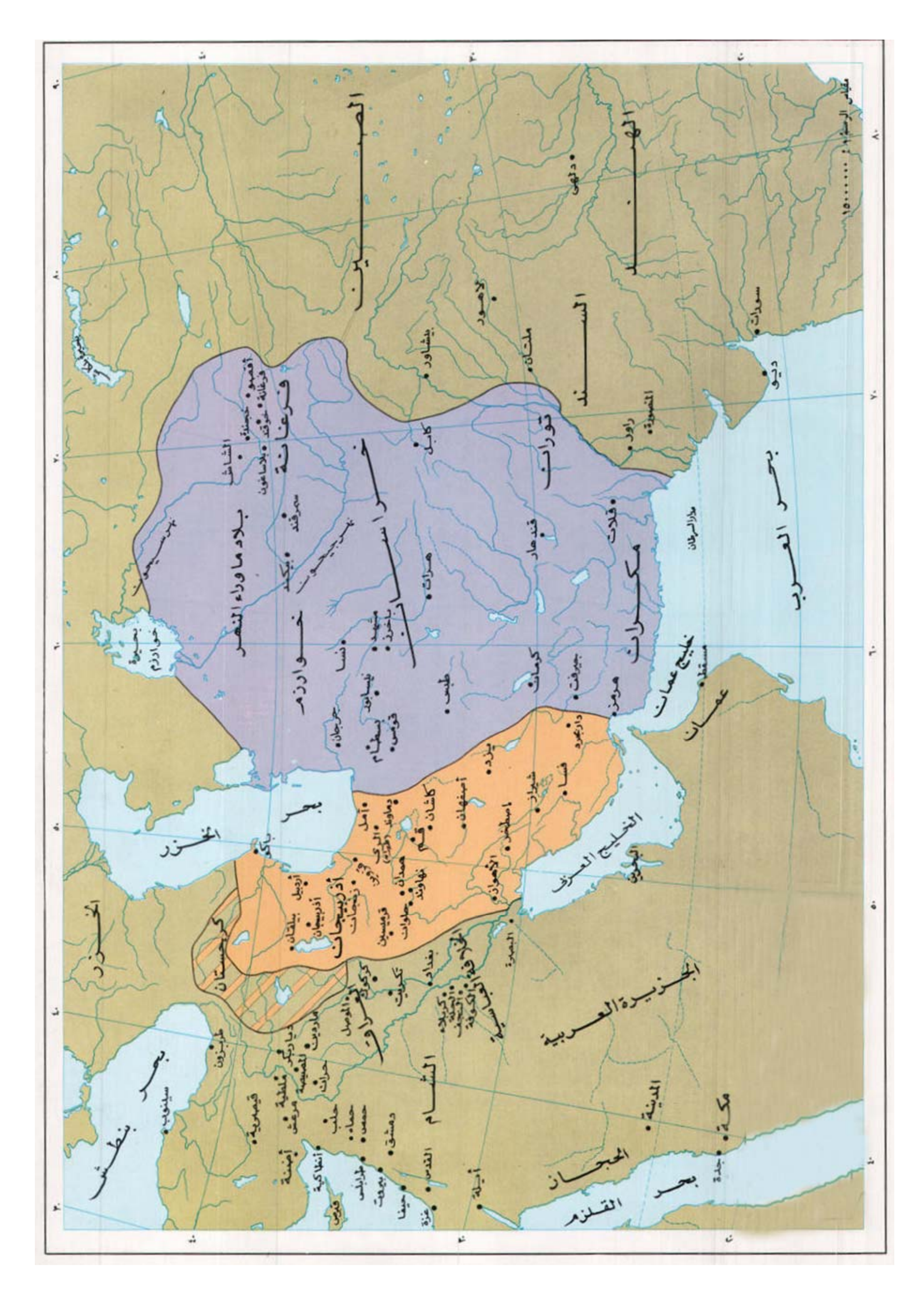
خارطة رقم (٢)

المصدر : عدى يوسف مخلص ، الأطلس التاريخي وفقاً للمنهج المدرسي ، بغداد ، ١٩٧٠ م ، ص٢٥ .



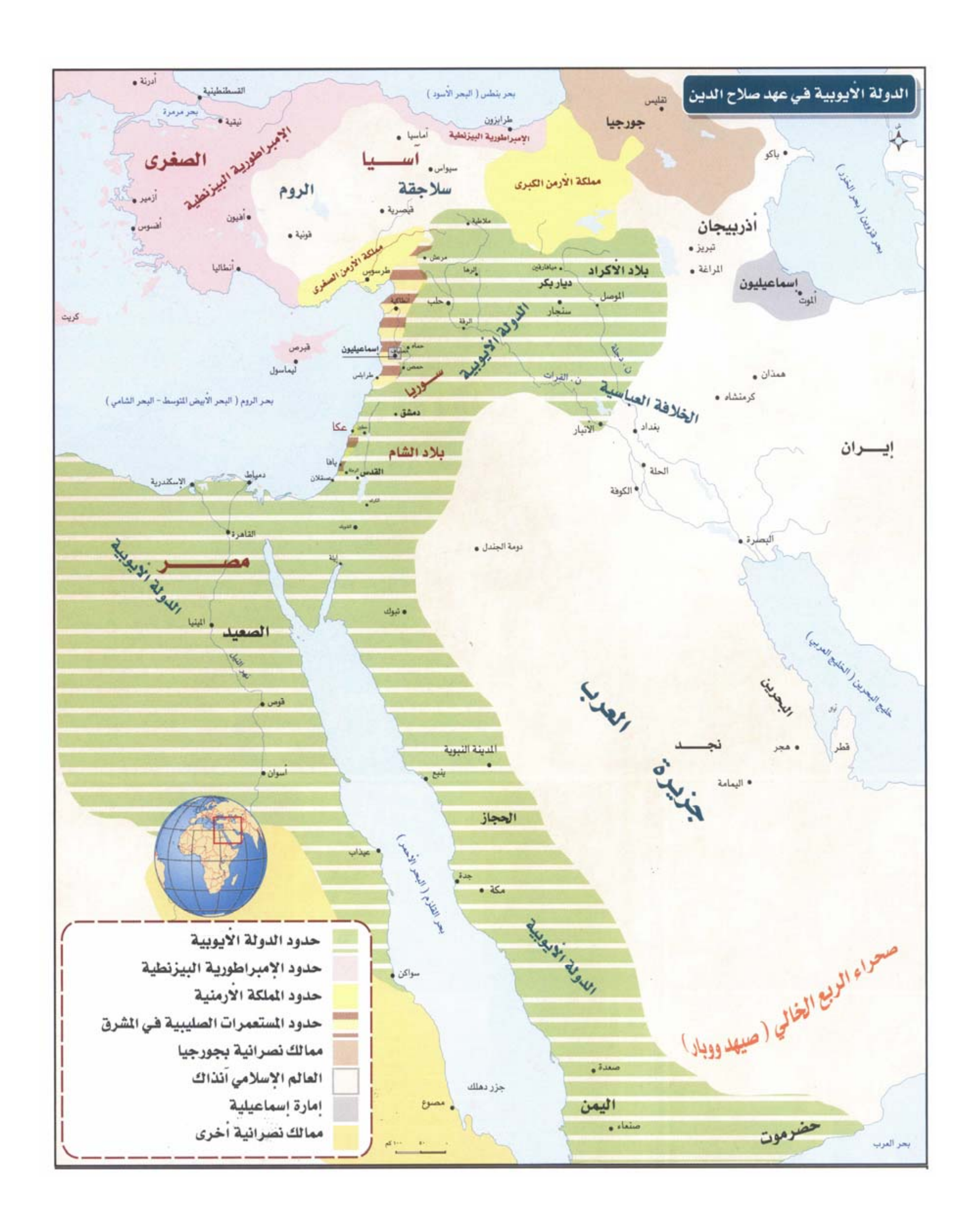
خارطة رقم (٣)

المصدر : عدى يوسف مخلص ، المرجع السابق ، ص١٩ .



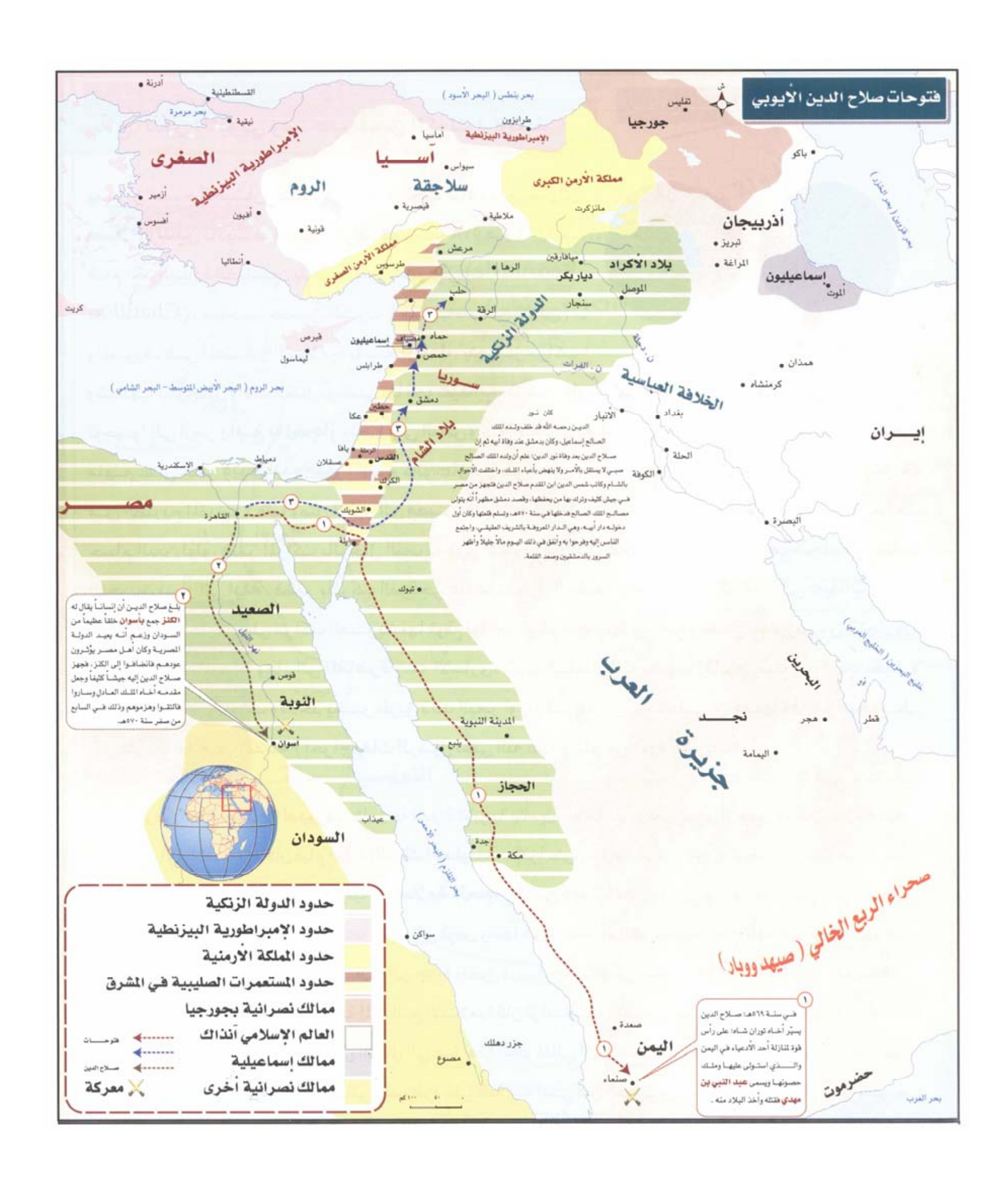
خارطة رقم (٤)

المصدر : حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي ،القاهرة ، ١٩٨٧ م ، ص٢٢١ .



خارطة رقم (٥)

المصدر : سامي بن عبدالله ، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، شركة العبيكان ،الرياض ، ١٤٢٩هـ، ص١٢٩ .



خارطة رقم (٦)

المصدر : سامي بن عبدالله ، المرجع السابق ، ص٩٩ .



هەرێمی کوردستان / عێراق
وەزارەتی خوێندنی باڵا و توێژینەوەی زانستی
زانکۆی سەلاحەددین / هەولێر

ئیبن دواداری مێژوونووسی دەوڵەتی ئەیوبی و پەرتوکەکەی (کنز الدرر و جامع الغرر) توێژینەوەیەکی مێژووییە

نامەیەکی دکتۆرایە پێشکەش بە ئەنجومەنی کۆلێژی ئەدەبیات کراوە
وەك بەشێك لە پێداویستیەکانی بەدەست هێنانی بڕوانامەی دکتۆرا
لە مێژووی ئیسلامی

لەلایەن
ئاری کاکل محمد تاهیر ، بەکالۆریۆس مێژوو ـ زانکۆی سەلاحەددین ـ هەولێر ـ ٢٠٠٣
ماستەر مێژووی ئیسلامی ـ زانکۆی موسل ـ ٢٠٠٧

بەسەرپەرشتی
پ. ی. د. ئەحمەد عبدالعزیز محمود

ڕێبەندان ٢٧١١ کوردی　　صفر ١٤٣٣ هیجری　　کانونی دووەم ٢٠١٢ زایینی

پوختە

نووسین و ئەنجامدانی توێژینەوەی مێژوویی لە بواری ژیاننامەدا ، کارێکە پێویستی بە خۆماندووکردن و وردیەکی زۆر هەیە ، بە کارێکی گرنگ و پێویستیش دەزانرێت ، لەبەرئەوەی لە رێگای ئەم توێژینەوانەدا دەتوانرێت شارەزاییەکی باش دەربارەی خاوەنی بەرهەمە مێژووییەکە بە خوێنەر بدات ، بێگومان سەرچاوەی مێژوویی رەنگدانەوەی سەرنج و بۆچوونی نووسەرەکەیەتی ، بۆیە لە رێگای ئەم جۆرە توێژینەوانە لەسەر مێژوونووس و نووسینە مێژووییەکانیان زانیاریمان دەست دەکەوێت دەربارەی نووسینەوەی مێژوویی سەردەمی ئەوان ، هەروەها گرنگی و بایەخی ئەم سەرچاوە مێژووییەمان بۆ روون دەبێتەوە .

لەگەڵ هەموو ئەوانەدا خوێندنەوەی سەرچاوەی مێژوویی زانیاری و هەواڵی نوێ و تازەت پێ دەگەیەنێ ، کە لەوانەیە لە پێشوودا مێژوونووسانی تر باسیان لێوە نەکردووە ، هەروەها بۆت دەردەکەوێت ئەم مێژوونووسە داهێنەری رەوتێکی تازەی بزووتنەوەی نووسینەوەی مێژوو بووە ، یاخود تەنها وەرگر و دووبارەکەرەوەی ئەوانەی پێش خۆی بووە .

ئەم تێزەی دکتۆرایە بە ناوی (ئیبن دواداری (.. ـ ٧٣٦ ك) مێژوونووسی دەوڵەتی ئەیوبی و پەرتوکەکەی (كنز الدرر و جامع الغرر) توێژینەوەیەکی مێژوویی یە) ، دەربارەی ژیاننامەی مێژوونووسێکی سەردەمی مەمالیکەکانە ، کە لە کۆتاییەکانی سەدەی حەوتەم تا سەرەتاکانی سەدەی هەشتەمی کۆچی / کۆتاییەکانی سەدەی سیانزەم تا سەرەتاکانی سەدەی چواردەمی زاینی ژیاوە ، ئەم سەردەمەش بە دیارترین سەردەم دادەنرێت بۆ دەرکەوتنی ژمارەیەکی زۆر لە بیرمەندان و مێژوونووسان ، لەناویاندا ئیبنو مەنزور (.. ـ ٧١١ ك / ١٣١١ ز) ، بێبرس مەنصوری ئەلدوادار (.. ـ ٧٢٥ ك / ١٣٢٥ ز) ، یۆنینی (.. ـ ٧٢٦ ك / ١٣٢٦ ز) ، نوەیری (.. ـ ٧٣٣ ك / ١٣٣٣ ز) ، ئەلبەرزالی (.. ـ ٧٣٩ ك / ١٣٣٩ ز) ، ئیبنول جەزری (.. ـ ٧٣٩ ك / ١٣٣٩ ز) ، ئەلزەهەبی (.. ـ ٧٤٨ ك / ١٣٤٧ ز) ، ئیبن فەزلوللا عومەری (.. ـ ٧٤٩ ك / ١٣٤٨ ز) ، صەفەدی (.. ـ ٧٦٤ ك / ١٣٦٣ ز) ، شاکر ئەلکەتەبی (.. ـ ٧٦٤ ك / ١٣٦٣ ز) ، ئەلحوسەینی (.. ـ ٧٦٥ ك / ١٣٦٤ ز) ، ئەلسەبکی (.. ـ ٧٧١ ك / ١٣٧٠ ز) ، ئیبن کەسیر (.. ـ ٧٧٤ ك / ١٣٧٣ ز) ، ئیبنو رافع (.. ـ ٧٧٤ ك / ١٣٧٢ ز) ، ئیبنو رەجەب ئەلحەنبەلی (.. ـ ٧٩٥ ك / ١٣٩٢ ز) .

سەرەتای تەمەنی ئیبن دواداری دەگەڕێتەوە بۆ هەشتاكانی سەدەی حەوتەمی كۆچی ، واتا هاوسەردەم بووە لەگەڵ سەرەتاكانی فەرمانڕەوایەتی دەوڵەتی مەمالیك (٦٤٨ . ٩٢٣ ك / ١٢٥٠ . ١٥١٧ ز) ، لە هەمان كاتدا نزیكیش بووە لە كۆتایی فەرمانڕەوایەتی دەوڵەتی ئەیوبی (٥٦٧ . ٦٤٨ ك / ١١٦٩ . ١٢٥٠ ز) ، هاوسەردەمیش بووە لەگەڵ ئەو ئەیوبیانەی لە دوای نەمانی دەوڵەتەكەیان لە چەند شوێنێك دەسەلاتیان مابوو ، بە تایبەتی ئەیوبیەكانی ولاتی شام ، لەبەرئەوە نووسینەكانی ئیبن دواداری بە سەرچاوەیەكی گرنگ و پێویست دەزانرێت لە بواری ئەنجامدانی توێژینەوە لەسەر سەردەمی هەردوو دەوڵەتی ئەیوبی و مەمالیك ، چونكە هەرسێ بەرگی پەرتوكی (كنز الدرر و جامع الغرر) لەسەر ئەم دوو دەوڵەتە بووە .

ئەم توێژینەوەیە لە چوار بەش پێك دێت ، یەكەمیان تەرخانكراوە بۆ باس كردن لە ژیاننامەی مێژوونووس ئیبن دواداری و سەردەمی ئەو ، سێ تەوەرەی سەرەكی لەخۆ دەگرێت ، یەكەمیان تەرخان كراوە بۆ باس كردنی بارودۆخی گشتی سەردەمی ئیبن دواداری ، دووەمیان بۆ باس كردنی ژیاننامەی مێژوونووس ، سێیەمیان بۆ پێگەی رامیاری و زانستی ئەو .

بەشی دووەمیش تایبەت كراوە بۆ ناساندنی پەرتوكی (كنز الدرر و جامع الغرر) ، چوار تەوەرە لە خۆ دەگرێت ، یەكەمیان تایبەتە بە وەسفی پەرتوكەكە ، دووەم تیشك دەخاتە سەر ناوەڕۆكی پەرتوكەكە ، سێیەم لە سەرچاوەكانی پەرتوكەكە دەكۆڵێتەوە ، چوارەم گرنگی و بایەخی پەرتوكەكە روون دەكاتەوە .

بەشی سێیەم تایبەتە بە مەنهەجی ئیبن دواداری لە نووسینەوەی مێژوودا ، ئەمەش سێ تەوەرە لەخۆ دەگرێت ، یەكەمیان تەرخانكراوە بۆ مەنهەجی ئیبن دواداری لە خستنە رووی رووداوەكانی مێژوو ، دووەمیان مەنهەجی مێژوونووس لە ژیاننامەی نووسەری ئەو گێڕانەوە مێژووییانەی بۆ پەرتوكەكەی سوودی لێ وەرگرتووە ، سێیەمیان تایبەتمەندییەكانی مەنهەجی نووسینەوەی مێژوو لەلای ئیبن دواداری روون دەكاتەوە .

دوای ئەوانە بەشی چوارەم دێت ، ئەو بەشەش تایبەت كراوە بۆ باسی ئەیوبیەكان لەم پەرتوكەدا ، چوار تەوەرە لەخۆ دەگرێت ، یەكەمیان ناساندنی ئەیوبیەكان ، دووەمیان باس لە ئەیوبیەكانی سەردەمی ئەتابەگی و فاتمی دەكات ، بەشی پێنجەم و كۆتایی لە سێ تەوەرە پێك

دێت ، یەکەمیان بۆ باس کردنی ئەیوبیەکانی سەردەمی سەلاحەدینی ئەیوبی تەرخانکراوە ، دووەمیان باس لە جەنگی خاچ دروشمەکانی سەردەمی سەلاحەدین دەکات ، سێیەمیان تیشك دەخاتە سەر ئەیوبیەکانی دوای سەلاحەدین .

لە کۆتاییدا ئەنجام و پوختەی ئەم تێزە دێت ، پاشان پاشکۆکان دێن ، ئینجا لیستی سەرچاوە و ژێدەرەکان هاتووە ، ئینجا توێژینەوەکە بە پوختەی کوردی و ئینگلیزی تەواو دەبێت .

سەرئەنجام دەلێین : ئەم توێژینەوەیە تایبەتە بە مەنهەجی مێژوونووس ئیبن دواداری لە نووسینەوەی مێژووی ئەیوبیەکان ، هەروەها رادەی گرنگی و بایەخی پەرتوکی (کنز الدرر و جامع الغرر) وەك سەرچاوەیەکی سەدەکانی حەوتەم و هەشتەمی کۆچی روون دەکاتەوە .

Kurdistan Region - Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Salahaddin University - Erbil



Ibn Al-Dawadari The Historian of Ayyubide State and His Book (kanz aldurar wa Jami Al ghurar) A Historical research

A Dissertation

Submitted to the Council of the College Arts Salahaddin University in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy in Islamic History

By
Ari Kakil Mohammad Tahir
B.A. Salahaddin University - Erbil 2003
M.A. Mosul University 2007

Supervised by

Assist Prof. Dr. Ahmad Abulaziz Mahmud

January 2012 A.D. **Safar 1433 Al-H.** **Rebandan 2711 K.**

Abstract

Conducting a research on the biography is not an easy act . It needs to make every effort . It is significant for through it one can provide a lot of information to the readers . There is no doubt that historical sources reflect the view points of the writers . Ample information can be obtained through doing researches on their lives and their historical writings .

In addition , reading historical sources may provide the readers with new facts that might not have been mentioned by historians . One may discover that this historian was an inventer of a new trend in the movement of writiny history or he may be merely an imitator of the previons ones .

This study which is entitled Ibn Al-Dawadari (736 H.) the Historian of Ayyubide state and His Book (Kanz Al-Durar wa Jami Al- Gurar) deals with the biography of historian in Mamalik era .

He lived in the period between the end of 7th century and the early stage of 8th century the Hijri, i.e, the end of 13th and the beginning of 14th A.D.

In this era a number of prominent thinkers and historians emerged such as Ibn Manzoor , Bebris Al-Dawadari , Nuwayri , Al-barzali and others .

Since Ibn Al-Dawadari lived in the era between the early power of Mamalik and the end of the reign of Ayyubide and his life was also coincided with the Ayyubides who were still in power here and there particularly those of Sham , his writings can be considered significant and prerequisite for making researches on both states : Ayyubide and Mamalik . It is to be mentioned that the three volumes of his book (Kanz Al-Durar wa Jami Al- Gurar) entirely dealt with the above mentioned states .

The study comprises five chapters and each chapter is divided into further sections .

The first chapter covers the period in which Ibn Al-Dawadari lived in and his biography . It is of three sections : the first one is devoted to the general condition of the period ; the second tackles the biography of the historian while the third section is about his political and scientific position.

Chapter two which is allocated for introducing his book (Kanz Al-Durar wa Jami Al- Gurar) consists of four sections : in the first section a description of the book is presented ; the second one sheds

light on the contents of the book ; the third and the fourth sections investigate and explain the sources and the significance of the book .

Chapter three handles the methodology of Ibn Al-Dawadari research in writing history . This chapter forms three sections . His methods in presenting the historical episodes make up the first section ; the second one is restricted to his methods in the biography of the historians whom he benefited from ; the third section clarifies the features of Ibn Al-Dawadaris methods in writing history .

Chapter four deals with the history of Ayyubides . It is of two sections : the first section for Ayyubides ; the second section looks into the Ayyubides at Atabak and Fatimide Era . Chapter five it is of three sections: the first section is devoted to the Ayyubides during Salahadin Ayyubis Reign ; the second for Crusaders during Salahadin ; the third section highlights the Ayyubides after Salahadin s Reign and finally .

The study ends with a conclusion , appendices , a list of refrences and Kurdish and English abstracts .